محمد فؤاد عيسى

طبعة 3

كرافته

رواية

الملائكة لا تسكن قلوب البشر

دَارْ دَوِّنْ

كرافتة

الطبعة الأولى: نوفمبر ٢٠١٤
الطبعة الثانية: ديسمبر ٢٠١٤
الطبعة الثالثة: يناير ٢٠١٥
رقم الإيداع: ١٩٥٤٥/ ٢٠١٤
الترقيم الدولي: ٧-٥٩-٦٤٢٦-٩٧٧-٩٧٨
تصحيح لغوي: محمود الغنام
تحرير: أحمد سلامة
تصميم الغلاف: أحمد مراد

تليفون: 01020220053
E-mail: info@dardawen.com
www.dardawen.com

كـــرافتة

الملائكة لا تسكن قلوب البشر

محمد فؤاد عيسى

رواية



دار دوّن للنشر والتوزيع

إهـداء

إلى أبي...

الذي وضع الكتاب أمامي منذ صغري..

وإلى أمي..

التي علمتني كيف أكتب...

هذا ثمار ما زرعتماه داخلي..

إليكِ وكم أشتقت سنين لكِ..

أعلم أنه لولا وجودك لما وُجِدت تلك الكلمات التي خرجت إلى النور..

زوجتي..

وإليك يا صغيري.. "إياد"

[إن الذين يصنعون أعمدة الدخان لحجب الرؤية ما هي إلا ريح خفيف من الحقيقة وينقلب عليهم العمى]

الفصل الأول
الأسرار

٢٠١٠ - كوبري قصر النيل

على كوبري الأسدين وقف يتأمل ملامح البنايات المنعكسة على ماء النهر، والتي تداعبها الأمواج المنبعثة من تراقص المراكب في رحلاتها النيلية، تخلل إلى أذنه خرير الماء وأنغام الموسيقى مع تراقص وتمايل الفتيات داخل تلك المراكب.. نظر لهن وهن يعبرن النهر بأسفل الجسر، ابتسم ثم عاد بنظره إلى الأفق البعيد، وماهي إلا ثوانٍ معدودة حتى قطع شروده صوت رجل عجوز تجاوز الخمسين:

- ممكن تنفّعني يا بيه؟؟؟ أي حاجة.

نظر له وقد أثارته حالة الرجل وهندامه الرث، وهو يمد يده بكيس مناديل ورقية مقابل أن يعطيه ما يجود به قلبه من خير، كرّر العجوز سؤاله في إلحاح:

- أي حاجة يا بيه.. أي حاجة لله.

فكّر لثوان ثم ابتسم بينه وبين نفسه، ومد يده في جيبه ثم أخرج منها ورقة مطوية من جريدة، وأعطاها له دون أن ينظر إليه، فتحها الرجل المسن ونظر متعجباً، وحاول فك الخط ثم نظر له في غضب:

- إيه دا يا بيه؟؟ أنت بتتمألس عليا؟؟

تركه دون ردّ وانصرف.. ظلّ الرجل الشحاذ معلقاً نظره إليه وهو يسير إلى الجهة المقابلة للجسر.. ترجّل حتى ظهر في الأفق القريب بوابة دار الأوبرا من

ناحية كوبري قصر النيل، كان مقصده كوبري الجلاء في محاولة لاستعادة الاستمتاع بمنظر النيل الذي أفسده اقتحام العجوز المتسول منذ قليل، استمر في حكي الذكريات معه إلى الحد الذي جعله لم يشعر بمرور الوقت، تجاوزت الساعة الحادية عشرة ببضع دقائق.. نظر لساعته متململاً ثم لملم شتات عقله وما تبقى من الذكريات على وعد مع النهر في أن يعود إليه يوماً آخر؛ لإكمال ما بدآه سوياً منذ سنين.

أولج المفتاح داخل الباب فظهرت الشقة بإضاءتها الخافتة.. الشقة ذات مساحة كبيرة، يقابل الباب من الداخل ردهة صغيرة تقود إلى صالة ممتدة طولاً وعرضاً، ومقسمة إلى قسمين طولاً، النصف الأول به أثاث من اللون الأبيض يحمل الطراز الأمريكي بشكل جلي، خلف الأريكة الكبيرة على اليمين يوجد ثلاثة شبابيك خشبية كبيرة بامتداد الصالة من طراز السلسلة المشهور، تغطيها ستائر خفيفة تسمح بدخول أشعة الشمس في أوقات معينة من اليوم، في مقابل الشبابيك يوجد مدفأة تحمل فوقها بعض الصور العائلية، أما النصف الآخر من الصالة فكان يتوسطه منضدة طعام بيضاء اللون أيضاً، يواجهها سُلّم يقود إلى الغرف العلوية.. في نهاية النصف الأخير يوجد بار على شكل دائري، يحيطه ثلاثة مقاعد من طراز "Bar chair" ليضفيا جواً معيناً لهذا الركن المميز من الشقة، الحوائط تزينها لوحات منتقاة أحضرها بعناية من معارض عالمية في أوروبا، ففي كل زيارة لبلد ما كان يحضر معه أشهر اللوحات لأفضل الرسامين المعاصرين، جلس إلى الأريكة التي تتوسط الجدار، والتقط أنفاسه قبل أن يميد بنظره إلى اللوحة المعلقة على الحائط، اختارتها بنفسها من أحد المعارض في فرنسا، تذكّره

هذه اللوحة بها دائماً. لم يفكر بعد ما حدث بينهما أن ينزعها من فوق الحائط.

تذكّر الدوسيه الرابض داخل الخزانة في غرفة مكتبه. أسرع إليه وأخرجه من مكانه، ثم بعثر محتواياته حتى وجد ضالّته. تلك الأوراق التي بدأت في الاصفرار، جلس إلى المكتب وأضاء نور المصباح الصغير، ثم ارتدى نظارته الطبية وبدأ في قراءة العناوين الصحفية، ثم أوغل في قراءة التفاصيل وهو يتمتم بمحتوى الكلام.

يحتوي الدوسيه على أوراق العقود المهمة وأكثر من أربعة جرائد يحملون جميعهم عناوين مختلفة لنفس الخبر في باب الحوادث، لكن التفاصيل الأكثر إثارة كانت في أوراق جرنال "الساعة".

سطّر بعينه المقالات المكتوبة عن الخبر، وتذكر تلك الأيام، وما أشدها أيام، مرّت بصعوبة في كل أوقاتها ليلاً ونهاراً.. الذكريات ارتسمت أمام عينيه.. أزاح الأوراق والجرائد من أمامه، واعتدل في جلسته مسنداً ظهره على المقعد، أشعل غليونه بهدوء واسترخاء.. الغرفة واسعة، مليئة بالكتب، وأمامه يرقد جهاز راديو قديم.. مدّ يده في جيبه وأخرج الموبايل وشرع يبحث في قائمة الأسماء المسجلة في الهاتف حتى وجد الاسم المقصود، لم ينتظر على الموبايل طويلاً، فسرعان ما لبّاه الطرف الآخر بالرد:

- ألو.. إزيك يا أشرف؟

- عزت بيه.. إزيك عامل إيه؟؟

اعتدل قليلاً على مقعده وهو يرد على أشرف سائلاً:

- بخير.. قولي خلصت العقود اللي مطلوبة منك ولا لسه هتاخد وقت؟

- يوم كمان وهتكون جاهزة قدامك.

- كويس جداً يا أشرف.

ثم تابع بلهجة من يؤكد على أمر مهم:

- ماتنساش تشيل اسم سلمان من على كل العقود الجديدة.. ماشي؟

- مفهوم يا عزت بيه.

أنهي المكالمة وأشعل غليونه –الذي انطفأ- مرة أخرى، قام متجهاً إلى الراديو القديم، وأدار محرك بحث القنوات الإذاعية حتى استقرّ على إذاعة الأخبار، لم يهتم، تركه ليؤنس وحدته التي اعتادها منذ رحيلها، فقد كانت الدقائق في عزلته تمر كالساعات، تذكّر أيامه الأولى في تجارة الأراضي والعقارات في مطلع التسعينيات عندما بدأ في بناء مملكته التجارية التي أصبحت من أشهر شركات تجارة الأراضي والعقارات في مصر، ومنذ فترة كان يتقاسم معه شريكه سلمان شركتهما –تقسيم للتجارة والمعمار- المبني الإداري الكبير في المهندسين، وجموع العاملين داخل هذا الصرح الكبير.. اقترب إلى حائط الإنجازات -كما يحب أن يطلق عليه- فهو يحمل الكثير من الصور التي تجمعه مع شخصيات كبيرة، اقترب من صورة كانت تجمعه هو وسلمان ووزير السياحة ووزير الإسكان في إحدى الحفلات في فندق الماريوت الزمالك في قاعة الهو الملكي، وشرد بينه وبين نفسه متسائلاً: " كم مضى على هذه الليلة حتى الآن، ست أم سبع سنوات؟ يااااه.. أيام!" ثم غرق تماماً في شروده.

٢٠٠٣

جلسا إلى الطاولة المخصصة لهم يتبادلان أطراف الحديث عن المشروع الجديد المزمع إقامته في الساحل الشمالي بمشاركة الحكومة..

- مبروك يا سلمان.

- الله يبارك فيك يا عزت.

- المشروع دا لازم يبقى أقوى مدينة سياحية في الساحل كله.. أهم حاجة التمويل عشان نقدر نحقق اللي احنا عايزينه.

- ماتقلقش أنت بس.. الفلوس هنعرف نجيبها.. هي أول مرة؟

- آه أول مره ندخل مع الحكومة بقلب جامد كدا.

- خلاص يبقي لازم نكمل بقلب جامد.

يبادل إحدى النساء الجميلات ابتسامة ثم يكمل:

- وإحنا قدها.. ولا أنت شاكك يا سلمان؟

- (وعينه صوب المرأة) مين دي؟؟

- واحدة أعرفها.. إيه أول مرة تشوفني أعرف واحدة؟

- لا.. أصل أنت معارفك كتير (قالها وهو يهمّ بالذهاب).

- رايح فين؟

- شايف الراجل اللي واقف هناك ده عند البار؟

- آه مش دا هشام منصور مدير بنك التكامل؟ أعرفه.. بس مافيش بينا كلام كتير.

- أنا هخلى يبقى في بينكوا كلام وبيزنس كمان.

نظر عزت إليه في تعجّب قبل أن يتركه "سلمان" ويتجه نحو مقصده، تصافحا بحرارة ووقفا يتبادلان الحديث، حتى التفت "سلمان" إلى عزت في

محاولة لدعوته إلى الحوار.. أيقن "عزت" ما يريده "سلمان" فاتجه إليه وصافح هشام عزت.. استمرّ الحديث بينهما قرابة النصف ساعة بعد أن رفض هشام دعوتهما إلى الطاولة المخصصة لهما؛ بحجة أن هناك من ينتظرونه، تركهم وانصرف إلى أصدقائه وعادا كلهما إلى مكانهما مرة أخرى، سأله عزت في شغف:

- أنت عرفته منين؟

- كنت بايع له حتة أرض في أكتوبر من فترة كبيرة.

- إنت بتشتغل من ورايا ولا إيه؟

- لا من وراك ولا حاجة، كان جايلي من طرف واحد معرفة، وأنا كنت مسقع الأرض دي من فترة كبيرة بعد ما رجعت من الكويت قبل ما نتشارك.. شافها وعجبته وكلم واحد معرفة وخلصنا فيها، كان لسه هشام موظف صغير في البنك، بس عرف يعمل فلوس الأرض دي إزاي الله أعلم..

- طب الفلوس هتيجي ازاي؟

- قرض بضمان الأرض، والمشروع يقف على رجله.

اعتدل في جلسته وأمسك "عزت" بغليونه، وسحب نفساً عميقاً وأطلقه في الهواء يلوثه.

- وأنت فاكر أن الحوار دا ماجاش في بالي؟

- ووصلت لإيه؟

- بص، كدا كدا اللي في الحكومة واخدين نسبتهم، إحنا هندَخَّل معانا اتنين مقاولين أو تلاتة يبنوا وياخدوا نسبتهم والتورتة تتقسم علينا.

ابتسم "سلمان" له قبل أن يردف قائلاً: بقى أنا بقولك ناكل التورته لوحدينا تدخّل لي ٣ مقاولين! أنت بتهزر؟؟ مش كفاية علينا حيتان الحكومة اللي هيكلوا.. بص.. هشام هياخد نسبة وخلاص، والفلوس هتبقى في جيبنا ومتنساش أراضي التجمع اللي أنا مسقعها لو خربت نبيع ونكمل المشروع ده..

- طب أنا هفكر وهرد عليك.

- مع النيل العظيم برده؟

- هو أنا ليا غيره؟

- يا راجل بقى حد يكون معاه هند ويقول كده؟

- مانت طيب ولا عارف حاجة.

ظهر على سلمان التعب واحمرّت عيناه:

- طيب، أنا هقوم بقى علشان الضغط علي عليّ وعايز أرتاح.

- ماشي.. أنا شويه كده وهقوم.. هقضي مصلحة وهمشي (وهو ينظر إلى المرأة التي بادلته الابتسام منذ قليل).

- عيش يا نمس.

٢٠١٠
الذكريات تلو الذكريات مفتاحها دائماً النيل والصور.. والصور لا تنقطع والنيل لا ينضب، والتفكير لا يتوقف منذ أن ظل وحيدًا، والأسئلة تشتعل في رأسه، لكنه لم ينجح في الإجابة.. كان على يقين في الماضي أن ذلك لن يكون ذا أهمية بالنسبة له، ولكن عندما نفقد الشيء نعرف قيمته فيما بعد، عاد ليجلس على مكتبه بعد أن تفحّص صور حائط الإنجازات، وضع رأسه بين راحتيه، لمح في إحدى الصحف التي أمامه الوصف التفصيلي لوضع الجثة، ووصفاً لمكان الحادث.. اقترب بالورقة إليه أكثر ليزيد من تركيزه، "ماذا فعلت ليؤول إليها كل هذا؟؟".

مصنع أفكاره لا تتوقف فيه العجلة عن الدوران، معروف عنه أنه لا يكلّ ولا يملّ من التفكير حتى يهتدي إلى الإجابة المناسبة له، والتي لابد وأن تتناسب مع منطقه وتفكيره، ولكن هذه المرة أُرهِقَت ذاكرته عن سرد حكايتها.. الماضي هو الماضي، لا يتغير، لا شيء يتغير أبداً، يظل معلقاً في الأذهان، يذهب بينا حيث نشاء، وإذا أردنا العودة نعود محملين بهموم المستقبل المنتظر لتزداد عبئاً فوق عبء الماضي.

سأل نفسه مجدداً ما الذي فعلته حتى تنتهي إلى ما انتهت اليه؟ يعرف أنها تحب المال والمجوهرات والعطايا من كل شكل ولون.. تستغل كل ما حولها ومن حولها لمصلحتها فقط، لكن هل في يوم خانته؟

لا لا تخون.. أنا واثق من ذلك.. الأسرار تحملها القلوب.. والقلوب ستأتي يوماً لتحاسب.. وعندئذٍ سيظهر كل شيء في وقته.

***

الفصل الثاني
البداية

نصف مليون جنيه.. ثروة طائلة.. ستقلب الأمور رأساً على عقب.. ستزداد قوة.. وسأظل أنا هكذا كالشعوب الجائعة التي تنتظر من الحكومات الطامعة فتات العيش كي تأكله.. القوة للمال.. تحكّم الدول الكبيرة الغنية في الشعوب الفقيرة بالمال.. أنا أعرفها جيداً.. ستصنع من تلك الفرصة قوة هائلة ضاربة بي عرض الحوائط كلها، محاولة استغلال الفرصة.. وسيأتي اليوم الذي تنضب فيها بحور الدموع ولن تجدي، ولن أجني إلا الندم الذي يمتص الدماء داخلي وتأكل عقلي أكل الجسد في الجير الحي.. سوف أبحث عن الفرصة التي لن تكون في يوم ضائعة.. سأحرر نفسي من تلك الأفكار المسمومة المستمدة من أفكارها.. المال + هي = القوة الغاشمة.

كان سلمان غارقاً في تلك الأفكار وهو متجه إلى مكتب حجز تذاكر السفر.

عاد إلى المنزل ودلف إلى الشقة، وجدها تجلس جوارها طفلهما ذو العامين، أسرع اليه الطفل يحتضنه، لم يهتم كثيراً به، إنما جلس وشرد بذهنه بعيداً.. فسألته:

- انت إيه اللي رجّعك بدري كدا؟

- ليكي حاجة عندي عشان تحاسبيني عليها؟

- براحتك..

ثم أكملت هي بعد صمت:

- أنا جبت تلاجة جديدة.

- كويس.. أشبعي بيها لوحدك.

قالت في كل برود:

- أنا قولت بس أعرّفك.

- ميرسي ليكي على المعلومة.

قام إلى غرفته وفتح حقائب السفر، ووضع فيها كل ملابسه، لم يترك شيئاً. ذهبت وراءه في محاولة للتطفل على ما يفعله. سألته باستغراب وهي تنظر إلى الحقيبة:

- أنت بتلم هدومك ليه؟؟

- مسافر.

- دا مرة واحدة كدا؟؟ ورايح فين بقى؟

- لا مالكيش تسألي.. (نظر إليها وابتسم في سخرية) أنا قلت بس أعرّفك.

نظرت إليه في غيظ مكتوم، واتسعت عيناها في توعّد وغضب، ظلا ينظران لبعضهما البعض هكذا، وكأن الزمن قد تجمّد تماماً بينهما. نظر في عينيها طويلاً وهو يسأل نفسه: "أهاتان العينان حقاً هما نفس العينين اللتين هام بهما يوماً".. وعاد يذكر من جديد ذلك اليوم الذي يخجل من نفسه كلما واتته مشاعر الندم تجاهه في كل مرة يحتدم فيه الكلام بينهما.

مايو/ ١٩٨٣

أضاءت القرية بأكملها احتفالاً، ودقّت الفرقة الموسيقية للقرية الطبول، وأتت الراقصات -أو الغوازي كما يسمونهن- ليعتلين المسرح المنصوب خصيصاً لتلك المناسبة.. كانت القرية بأكملها مدعوة للاحتفال دون مبالغة،

وقف كل من أهالي العروسين لاستقبال المدعوّين، وفي مقدمتهم الحاج صلاح شعبان والد العروس، والأستاذ عصام خال العريس، أُطلقت الأعيرة النارية، ووصل صداها إلى أركان القرى المجاورة.. منذ الصباح الباكر كان دار الخطاطبة يطنّ كخلية نحل تتحرك بداخلها النساء كالشغالات في خلايا النحل استعداداً لليوم المرتقب، كل واحدة لها دورها الذي تحفظه جيداً، منهن من تقوم بعمل الخبيز، ومنهن من تُعدّ الفطائر المشلتتة بالسمن البلدي، ومنهن من تذبح الطيور من الأوز والبط والفراخ البلدي، الكل يعمل في جد، الكل يريد أن يخدم الحاج صلاح في ليلة كهذه الليلة علّه يذكره.

الزغاريد تملأ المكان، وبعض الرجال والأطفال يرقصون مع الغوازي فرحاً بابنة الحاج صلاح أكبر تجار القطن في المحافظة، ولا مبالغة إن قلنا من أشهر وأهم تجار القطن في القطر المصري كله، ورث التجاره عن جده الأكبر "عزيز خطاب"، رغم تفرق الأبناء والأحفاد في الوظائف الحكومية، إلا أنه هو الوحيد الذي أحبّ هذه التجارة، كان يعمل مع والده الحاج شعبان محمود عزيز منذ الصغر، لذلك يعمل معه الآن ابنه الأكبر محمود.

وقف الحاج صلاح في بداية الصوان المقام في الأرض الخالية أمام داره الكبيرة، يستقبل كل معارفه وأحبابه، التفت الجميع إلى الجهة الأخرى عندما جاء أحد أبناء القرية مسرعاً صارخا بأعلى صوت له:

- رجالة مصر وصلووا.. الرجالة وصلوا.

أطلقت الأعيرة النارية من جديد، لكن أكثر تسارعاً احتفالاً بأصدقاء الحاج صلاح القادمون من القاهرة أو كما يقولون (من مصر)، ووقف في استقبالهم بكل حفاوة وحرارة، دخل معهم السرادق ليجلسوا في الأماكن

المخصصة لهم، كل في طاولته، وأشار إلى أحد الشباب الواقفين فأسرع إليهم ووضع أمامهم صحناً كبيراً مملوءاً بالفواكه الطازجة وزجاجات المياه الغازية ودوارق الماء المثلج الفضية. كان الاحتفال بهم فيه حفاوة ملحوظة، فمنهم شركاؤه في التجارة، ومنهم من هم أكبر عملائه في شراء حصص القطن من أراضيه.

وقفت العروس أمام المرآة تتأمل ملامحها بدقة، وتتغزل في جسدها كأي عروس جديد، بعد أن ارتدت فستان الزفاف، ووضعت مساحيق التجميل الخفيفة، وزيّنت شعرها الطويل كيفما اتفق لها أن تفعل، كانت معها في نفس الغرفة كل صديقاتها وأترابها من أهل القرية، وأيضاً رفقائها من الجامعة، الكل سعيد والكل يتمنى لها أن تكتمل سعادتها على خير، قالت لها إحداهن:

- مش يلا يا عايدة عشان سلمان مستنيكي تحت؟

نظرت عايدة لنفسها في المرآة مرة أخرى، ثم طلبت منهم أن يتركوها وحدها لدقائق معدودة.

خرج كل من في الغرفة، حتى أمها الطيبة خرجت دون نقاش معها، كان طلبها بالنسبة لهن غريباً، لكن من يجرؤ أن يرفض للعروس طلباً في يوم كهذا، كما أنهن يعرفنها جيداً، إذا أمرت أطيعت.. وقفت عايدة أمام المرأة، نظرت إلى عينيها تتأملهما لأول مرة، وكأنها تريد أن تقول شيئاً.. الجسد الذي ظل حبيس الأنوثة المراهقة اليوم خرج للنضوج.. الجسد الذي لم يروِه ماء قط سوف يروى اليوم حتى يشبع. مررت يدها على جسدها بالكامل، وكأنها تودع صبره، وتودّع آخر أيام المراهقة. فالليلة ستدخل عالم المرأة الحقيقي،

وستأخذ لقب زوجة. ابتسمت لنفسها في نشوة، وعضّت شفتها السفلى ثم تحركت.

وقف سلمان بالأسفل ينتظر عروسه وهي تهبط درجات السلم المؤدي إلى الغرف العلوية. نظر لها فابتسمت بغنج يخالطه بعض حياء.. من الخلف تأتي الزغاريد من الأصدقاء ونساء القرية والأقارب الذين أتوا من كل صوب؛ ليحتفلوا بعايدة ولينالوا رضا الحاج صلاح الذي هو كالطعام للجائع والمحتاج منهم.

جلسا في الكوشة على المسرح المقام في وسط السرادق، كان المنظر جديداً على أهل القرية. فليست تلك العادات التي تسير في ذلك الوقت، ولكن عايدة ابنه الحاج صلاح وخريجة كلية الهندسة لن تخضع لتلك العادات والتقاليد. الكل لابد أن يشاهد الجديد في فرحها، كان كل شيء من تصميمها، حتى سلمان لم يتدخل في أي شيء، فهي التي اتفقت مع الفرقة الموسيقية، وهي التي أعدّت ديكور السرادق، ووضع الكوشة وزينتها، كان كل شيء جديداً، وكل شيء به لمستها الكاملة دون تدخل من أحد.

اغرورقت عينا والدها بالدموع عندما رأى ابنته تتقدم إليه وهي تتأبّط يد زوجها، سائرين على السجادة الحمراء الرابطة بين مدخل الدار ومدخل السرادق، وقف ينظر لها ويتلقى القبل والتهاني من كل الملتفين حوله من الأصدقاء وأهل القرية. احتضنها وقبّلها على جبينها، نظرت له وبكت ثم استجمعت قواها، واحضنته بقوة، نظر إلى سلمان واحتضنه، ثم قال له هامساً:

- أنا هاهديك درة حياتي.. حافظ عليها يا سلمان.

- عايدة في عنيا يا حاج صلاح، أرجوك ماتقلقش.

سلمان يعرف جيداً من تكون عايدة بالنسبة لأبيها، فهي ابنته الوحيدة بعد أن رزقه الله بمحمود ولده الأكبر وساعِده الأيمن في التجارة.. الحاج صلاح تمنى من الله أن يرزقه بأنثى، فهو يعلم أن رزقها واسع، وحنانها لا ينقطع.. وعندما أتت عايدة إلى الدنيا كان الحاج صلاح يبتاع أرضاً جديدة لزراعتها بالقطن، وعاد عليه بيع المحصول بالمال الوفير الذي ادّخر جزءاً منه لابنته.

ترعرت عايدة داخل البيت في حياة مرفهة، لم يمنع الحاج صلاح شيئاً عنها، فهي أولى البنات اللاتي ذهبن إلى المدرسة رغم اعتراض أقارب الحاج صلاح وأخوته وإخوة زوجته، قائلين إنها تستطيع أن تتعلم في المنزل كسائر بنات العائلة، كما اعتادوا أن الفتاة ليس لها سوى بيتها وبيت زوجها، لكنه رفض؛ فهو يعلم أن ابنته ستصبح ذات شأن كبير في يوم من الأيام، وقد كان، فاحتفل بها احتفالاً كبيراً عندما حصلت على الشهادة الجامعية من كلية الهندسة، كانت الوحيدة من بنات العائلة التي تحصل على شهادة جامعية.

عايدة كانت مختلفة عن سائر البنات التي عرفتها القرية؛ كانت جريئة تتحدث مع الجميع دون حرج، فهي الواثقة من نفسها القادرة على مجادلة أكبر من في القرية، ظلت وراء أبيها حتى ابتاع سيارة جديدة موديل نفس العام، وحتى تكتمل الصورة أصرّت أن يبتاع أرضاً جديدة لبناء منزل جديد للعائلة، وكانت أول هدية له أن صنعت للبيت خصيصاً لوحاً من الرخام محفور عليه (ادخلوها بسلام آمنين.. دار الخطاطبة.. الحاج صلاح عزيز خطاب)، فصارت تلك المنطقة تطلق على اسم جدها الأكبر، الخطاطبة.. البيت على مساحة كبيرة تتوسطه حديقة زُيّنت بالنخيل وأشجار الموز،

ويتوسط الحديقة نافورة مياة كانت مزاراً لكل أهل القرية من خلف أسوار الدار، فهم لم يروا مثل هذا التصميم من قبل، أصبحت دار الخطاطبة أول دار تُبني بالطوب الأحمر الحراري، ودون العروق الخشبية في الأسقف.

كانت الدار مفتوحة للفلاحين المزارعين لأرض الحاج صلاح وغيرهم من أهل القرية.

ذات يوم طلبت عايدة من أبيها أن تعمل معه في تجارة القطن مثل أخيها محمود، لكنه رفض بشدة وأصر على رفضه، قائلاً:

- لا يا عايدة.. أنتي مهندسة والشغلانة دي مرمطة، عايزة راجل وكمان أهل البلد ياكلوا وشي، ويقولوا مشغل بنته معاه، ليه مش قادر أوكلك؟؟

- أهل القرية مين بس يا بابا، وكمان ماعاش ولا كان اللي ياكل وشك.. أنا بس قلت أشتغل معاك أهو أشيل عنك الحمل شوية، وكمان عشان أبقى فاهمة في التجارة.

- وانتي لازماكي التجارة في إيه؟؟ إنتي دراستك الهندسة وكمان أخوكي ما شاء الله عليه شايل عني كتير، وآهو بقى تاجر قد الدنيا وكلمته في السوق.

- طب أمسك معاك الحسابات؟

- وعمك مفيد أوديه فين؟ دا الراجل عشرة عمر.. لا لا يا عايدة خلاص الموضوع دا منتهي.

لم ترِد أن تزيد غضبه فأردفت قائلة:

- خلاص.. اللي يريحك يا ابو صلاح يا كبير.

مزّقت عايدة العادات والتقاليد المعروفة في القرية، أحبّت سلمان الشاب الوسيم الذي يعمل في مصر كمحاسب في إحدى الشركات الخاصة، كان كل

إجازة يأتي إلى القرية ليزور أمه وأخواته، وكان يأتي لقلبه الذي تركه في بلدته، في تلك المرة عندما تقابلا خلسة عند فرع النيل وسط أشجار الخوخ طلب منها أن يأتي إلى والدها ليتقدم رسمياً لها.. سألها:

- أبوكي هيرضى بجوازنا؟

- وهيرفض ليه؟ (ردّت في تعجب).

- مانتي عارفة الظروف اللي حصلت لعيلتي والتجارة اللي راحت والفلوس اللي بقت على القد..

- بص يا سلمان أبويا كان يعرف أبوك كويس، ويعرف إنه كان تاجر كبير، بس اللي حصل دا كان قدر ومكتوب، فمفيش حاجة هتمنعه، وإذا كنت باصص على البيت والعربية فدا كله عادي اللي في النفوس هو هو.

- إنتي متأكدة؟

- أكيد يا سلمان ما تقلقش (مبتسمة).

أثلجت صدره وجعلت ثقته في هذه الزيجة كبيرة.. اتفقا على كل شيء وتركها على وعد منها بأنها سوف تفاتح والدها في هذا الموضوع، على أن يأتي في الإجازة القادمة ليتخذا خطوة رسمية في موضوع ارتباطهما.

جلست عايدة بين يدي الحاج صلاح مستغرقة معه في حوار أخذ وقتاً طويلاً معها في محاولة منها أن تقنعه بتلك الزيجة، لم تحتج إلى أي شخص ليتدخل كي يوافق، فهي على درجة كبيرة من الوفاق مع والدها أكثر من أي شخص آخر.

- يا بابا انت عارف الحاج محمود الله يرحمه، وعارف إن سلمان من بيت عز بس اللي حصل دا كان خارج عن إرادتهم.

- أنا عارف سلمان كويس وأبوه كان صاحبي.

- الله؟ أمال انت تعابني معاك ليه يا ابو صلاح من الصبح.

-يا بنتي انتي كل حاجة ليا، وما قدرش اسيبك كدا بسهولة.

- (احتضنته قائلة): ماتخافش عليّ يا حاج وانا هجيلك كل أسبوع.

- طب انتي هتسيبي الهيلامان دا كله وتروحي تقعدي في شقة ٨٠ متر في مصر؟

- بداية لحد لما نقف على رجلينا.. وانت عارف بنتك كويس.

- براحتك أنا معودك إنك تختاري حياتك ودي مسؤليتك وانتي حرة.

استمر حفل الزفاف حتى فجر يوم جديد، الكل كان فرحاً، حتى غادر العروسان في منتصف الفرح إلى غرفتهما في الدار، ووسط فرحة المعازيم والزغاريد التي لم تتوقف إلى فجر اليوم الجديد.

كانت ليلة لا توصف بالنسبة لهما، كان اكتشافهما لبعضهما من أعظم مكتسبات القرن بالنسبة إليهما، لم يكن يتخيل أن عايدة بكل تلك الجرأة والرغبة، ارتويا حتى منتصف نهار اليوم التالي، صعدت أمها إلى الغرفة تاركة الطعام أمام باب الغرفة، أطعمها بيده وطبع على شفتيها قبلة استمرت لثوانٍ معدودة، حمد الله على النعمة التي أنعم بها عليه بزوجة يحبها واستقرار نفسي كبير.

بعد أسبوعين قضى معظمهما في الغرفة وفي استقبال الأهل والمهنئين، ودّع سلمان وعايدة الأهل وهما يستقلان السيارة متجهين إلى عين شمس، وأصر السائق على أن يخرجا من القرية بكلاكسات زفة العروسة رغم اعتراض سلمان الذي لم يدم أمام رغبة عايدة الكاسحة.

دخل سلمان إلى الشقة، أزاح بيده اليسرى بابها وبيده الأخرى أمسك بيد عايدة التي كانت تقف تنتظره مبتسمة:

- اتفضلي يا حبيبتي.

- متشكرة.

قالتها في خجل ثم ضحكا، فاحتضنها وطبع قبلة خاطفة على شفتيها، ووضع الحقائب، ثم أغلق باب الشقة وحملها على زراعه في حركة مفاجئة، تعالت ضحكتها معها في طريقهما إلى غرفة النوم، ثم استسلمت له تماماً.

***

في الشقة الصغيرة تبدلت الأشياء من الغرفة الخاصة لها والسرير الملكي والبيت الكبير الفسيح إلى شقة صغيرة في حي شعبي مزدحم لا تزيد على ٨٠ متراً، صالة وغرفتين، غرفة للنوم وأخرى للمعيشة أو للأطفال في المستقبل القريب، تطل الأخيرة على الصالة مباشرة والأخرى تطل على ممر طويل يتفرع من الممر المطبخ والحمام.

ظهر لها مصطلح جديد في حياتها إلا وهو الشريك.. فقد أصبح لديها شريك، شريك في السرير، شريك في دلاوب الملابس، وشريك في الطعام.. لم تعتد الأعمال المنزلية كسائر النساء المصريات؛ فهي ابنة الحاج صلاح لم تتفرغ إلا للمذاكرة والموضة والاهتمام بالجمال وأناقتها، وبين عشية وضحاها أصبح في الشقة رجل له متطلبات ورغبات، كل تلك الأمور جديدة عليها تماماً، لكن حبها لسلمان جعلها تحاول أن تكون الزوجة المثالية التي تشبع رغباته كلها.

يعود سلمان من العمل منهكاً ينتظر طعام الغداء الذي غالبا ما يكون سيئ الطهي لا روح ولا نفس فيه، تحمل ذلك على أمل أنها سوف تتعلم، وكان من

الغريب عليه أن تكون امرأة تعيش في القرية، ولا تعرف كيف تطبخ أكلاً شهياً أو حتى عادياً.. لكن هذا كان طبيعياً، فهي عايدة محطمة كل العادات والمصطلحات الاجتماعية.. بعد أن ينتهي من الطعام تعدّ له كوباً من الشاي بالنعناع الأخضر، وينتظرها في غرفة المعيشة على صوت أم كلثوم القادم من الراديو، تأتي له بالشاي ويجلسان يتحدثان في أمور الحياة، وما يمر عليه في العمل من مواقف كثيرة، كانت تلك هي الطريقة التي يقضيان بها وقتهما سوياً كزوجين بسيطين أقرب ما يكونان ليصبحا زوجين سعيدين.

بين المجلات وأخبار الموضة والفنانين كانت تقضي الساعات الأولى من اليوم وهي وحيدة أثناء وجود سلمان في العمل، حيث كانت الإمكانيات لا تسمح بشراء تلفزيون "نصر" المنتشر في ذلك الوقت.

كان الراديو أحياناً يشغل وحدتها، وخصوصاً مع الأغاني الرومانسية الجديدة المنتشرة بشدة تلك الأيام.

في إحدى جلسات الشاي بالنعناع والراديو فاتحته في موضوع كان يشغل بالها قبل الزواج، إلا وهو مستقبلها وحياتها المهنية التي رسمتها لنفسها، قالت وهي تناوله كوب الشاي:

- أنا هنزل شغل إن شاء الله.. بابا كلم لي واحد من معارفه هيشغلني في سنترال رمسيس.

-وليه الشغل؟ هو أنا مش مكفيكي ومش مكفي طلباتك؟

- الموضوع مش كدا وبس.. أنا مهندسة وعايزة أحقق ذاتي، وبالشغل هقدر أعمل اللي بحلم بيه.

- هدفك إنك تراعي البيت وتراعي الطفل اللي هييجي في الطريق (قالها بحدة كمن يعرف موقفها).

- ومين قالك إني مش هقدر أعمل كدا؟ وكمان دا مكانش كلامك ليّ زمان!!

- انتي بقالك شهرين متجوزة متسربعة على إيه؟؟

وكانت لهجته قد ازدادت حدة وهجوماً، ثم نهض من جلسته ووضع كوب الشاي على المنضدة متجهاً إلى الصالة.

بصوت مرتفع قالت غاضبة:

- استنى أنا ماخلصتش كلامي.. لازم تسمعني.

أدار وجهه لها، حدقت وقالت في ثقة:

- بص يا سلمان أنا هشتغل عشان أنا عايزة كدا وعشان أنا مش هقدر أدفن نفسي في البيت، ودا كل اللي عندي.

اقترب منها قليلا وسألها:

- وهو أنا التربي اللي هيدفنك؟

- بطريقتك دي.. آه.

قالتها وهي تسير متجاوزة المسافة بينهما لتعبر إلى الصالة ثم إلى غرفة النوم، قالت له وهي متجهة إلى غرفة النوم بصوت عالٍ:

- أنا هبدأ الشغل يوم السبت.. مستنية منك تقولي "مبروك".

صمت سلمان وكانت مفاجأة بالنسبة له، نظر لها وهي تجتاز الممر إلى الغرفة، ثم تغلق الباب بقوة فأحدثت صوتاً كبيراً اهتزّت له الشرفات في الشقة، واهتزت معها رجولته وكبرياؤه.. بات سلمان ليلته في غرفة المعيشة متجنباً الاقتراب منها أو التحدث إليها أو كما يعتقد كنوع من أنواع العقاب.

مرّ يومان.. ثلاثة.. أسبوعان.. كل ذلك وهو يعتقد أنها ستلين، وتبدأ الحديث معه، ولكن هيهات، ظلت على موقفها، تسلّمت الوظيفة الجديدة دون اعتراض منه، فهو مسالم أراد ألا تتطور الأمور أكثر من ذلك، تركها تذهب إلى العمل، ولكن لاحظ شيئاً جديداً عندما بدأت فيه، لاحظ أنها أصبحت أكثر اتقاناً في الطعام، وأيضاً اهتمت بكل واجبات المنزل على عكس ما كان، أيقن أن ذلك من الممكن أن يكون لها وقوداً للاهتمام بالمنزل والأولاد في المستقبل، وقرر أن يتنازل عن موقفه مؤقتاً وكسبت هي أول معركة لها معه. لم يتحمل البعاد والخصام كثيراً فهي قادرة على ذلك لسنين إذا أرادت، أما هو فحاول أن تعود المياه إلى مجاريها، ولكن بطريقة لا تدل على ذلك، فذات مرة ذهب إليها متحدثاً معها بصرامة مصطنعة:

- فرح عادل صاحبي بكره في الجيزة.. هتيجي معايا؟

قالت بحزم:

- هفكر وهرد عليك.

وكأنها كانت تنتظر تلك المبادرة فقط لتثبت له أنها قادرة على الاستمرار في الخصام إلى أبعد مما يتوقع، ندم على قوله ذلك.. كان لابد أن يعطي فرصة لكرامته، في كل مرة تهزمه في معركة مختلفة كبيرة أو صغيرة، لكن هل سيتحمل كثيراً؟

يقول علماء علم النفس إذا مرّ العام الأول في الزواج دون مشكلات كبيرة تحدث شرخاً في العلاقة الزوجية، فذلك مؤشر على نجاح العلاقة.

رُزِقا بطفلهما الأول وفيما يبدو ذات المسافة بينهما، كان سلمان دائماً يحاول أن يحافظ على قوام هذا البيت، لكن عايدة كانت لا تكترث بذلك.. كانت

تهتم بطفلها وأيضاً بوظيفتها، وخصوصا أنها في خلال عام واحد أصبحت من أهم مهندسي الدعم الفني في السنترال، بينما سلمان انهمك في وظيفته كما هو لا يتقدم إلا قليلاً.

وقف سلمان وبجواره محمود شقيق عايدة الأكبر في السرادق الكبير ليستقبل المعزّين الذين قدموا لعزاء الحاج صلاح شعبان الذي وافته المنية صباح ذلك اليوم البعيد، كانت صدمة قوية لعايدة.. امتلأ السرادق بكل المعارف والأصدقاء والأقارب وأهل القرية، واستمرّ العزاء لمدة ثلاثة أيام، ظل الناس يأتون إلى الدار حتى نهاية الأسبوع، وكان على سلمان أن يعود إلى القاهرة؛ لكي يتابع عمله، أما عايدة فأبلغت مديرها أنها ستمد إجازتها إلى نهاية الأسبوع التالي.

ورثت عايدة من أبيها أموالاً تقدّر بنصف مليون جنيه، وبحسابات عام ١٩٨٦ فهي ثروة طائلة بين يدي سيدة لم تتجاوز الخمسة والعشرين عاماً من عمرها، أيقن سلمان أن الفارق قد اتسع كثيراً، وأن ذلك لم يرجّح كفته بعد أن أصبحت العلاقة بينهما تقاس مؤخراً مادياً، فاتخذ القرار بالسفر إلى الكويت؛ حتى يستطيع أن يعدل الموازين التي انقلبت، وهو في نفسه متخذاً قراراً أنه لن يعود إلا إذا كان آخر شيء يستطيع أن ينطلق من خلاله إلى الأعلى بصاروخ يخترق السماء إلى الفضاء الفسيح الذي يرى فيه الكواكب الدائرة حول الشمس، سيعود ليكون تلك الشمس التي ستدور الكواكب المظلمة حولها لتستمد منه الضوء.

***

الفصل الثالث
"اسمُـه مالك"

الجيزة - ٢٠٠٩
مقر جرنال الساعة

خلية نحل تعمل داخل أقسام الجرنال، المقر عبارة عن شقتين متجاورتين بإحدى العمارات القريبة من ميدان المساحة بالدقي.. الكل يعمل وفقاً لما هو محدد له ووفقاً لاختصاصاته، ووفقاً لما يرسمه الرجل ذو القبضة الحديدية.

في آخر الردهة مكتب كبير بواجهة زجاجية تُغطيه الستائر المكتبية ذات الشرائح الطويلة التي تمنع الرؤية والإضاءة، وقف مصطفى جمال وظهر عليه الانفعال، اندفع الدم أسفل جلد الوجه وهو يلوّح إلى زُهير منصور الرابض أمامه، والأخير يحاول أن يتفادى كلماته الطاعنة.. حاول معه لتصحيح الموقف ولكن هيهات، فمصطفى إذا أصدر سارينة الحريق لا يطفئه إلا شخص واحد فقط، أما إذا زاد أحدهم المجادلة معه يزيد اندفاع الدم إلى وجهه فيشتاط أكثر وأكثر، قذف في وجهه الأوراق فتناثرت على المكتب والأرض، لم يحتمل زهير ما فعله مصطفى، فخرج من الغرفة، وما أن فتح الباب حتى خرج لهيب كلماته الحارقة، فأسمعت من في المكتب بأكمله:

- ماشوفش وشك هنا تاني.

- يعني همشي من الجنة يا أخي؟؟

قالها وهو يلوّح بيده محاولاً تفادي الحرج من الموظفين المتفرجين على المشاجرة.

التفّ الجميع حول زهير؛ لمعرفة ماذا حدث، وأيضاً لمحاولة تهدئة الرجل، ثم ظهرت من تهدّئ نيران الغضب والبركان الثائر، هناء.. سكرتيرة مصطفى مدير التحرير، تمشي فتهتز الأرض ومن عليها، ممتلئة امتلاءً خفيفاً من النوع الذي يثير مصطفى بشدة، ويطرق بابه في أي وقت، متوسطة الجمال ولكنها تمتلك أنوثة تفجّر براكين الرجولة داخل مصطفى ومعظم الموظفين الذكور في الجريدة.

دلفت إلى الغرفة وأغلقت الباب خلفها وأسدلت الستائر حتى لا يرى أحد ماذا سيحدث بالداخل، قال قائل منهم:

- خلاص يا سيدي أهو دلوقت هيهدى وهيبقى كويس.

- بس.. خليك في حالك وشوف شغلك مش ناقصاك انت كمان.

كان الحديث في الداخل عكس ما هو متوقع ممن هم بالخارج.

تحدث إليها وهو ينهج ويمسح عرقه:

- ماشفش وشه تاني.. فاهمة؟

- اللي تؤمر بيه.. ممكن تهدى؟ (في دلال ورقّة).

- أهدى؟؟ ابن الكلب دا ضيع فرصة للجرنال بغبائه وهيجانه وتقوليلي أهدى؟

- إزاي؟ (جلست أمامه في اهتمام).

- بعد لما تعبت عشان أجمع كل التفاصيل عن القضية يروح زي الأهبل يريل قدام مروة وبديها الورق كله؛ لمجرد أنه طمعان في حتة لحمة منها.. وسخ.

- طب وانت عرفت ازاي؟

- رأفت الوسخ بتاع جرنال الحدث كلمني وقالي كدا تبقى اتنين واحد.

- هو ماتش ولا قضية ولا إيه بالظبط؟

- كله.

-كله؟

أشعل سجارته وأطلق دخانها في الهواء ثم استطرد قائلاً:

- آه.. اللي ماتت دي تبقى مسئولة كبيرة في شركة محمول معروفة، ولو كنا عملنا التحقيق دا زي ما أنا كنت شايف كنا هنبيع ونجيب إعلانات ونشتغل صح.

- بصراحة انت عندك حق.

- أنا دمي محروق.. دا حتى الصور أخدتها.. أبو ريالة الوسخ.

- خلاص يا بوص.. ولا يهمك كل مشكلة ولها حل.

نظر لها بامتعاض:

- حل؟

قالت في حماس كأنها أمسكت أول الخيط:

- وجه جديد يدخل ينخور في القضية يكون عنده طاقة وعايز يثبت نفسه، وفي نفس الوقت موهوب، وهيساعدنا في جمع معلومات أكتر من اللي كانت

معانا، وكدا نبقى ضربنا رأفت بلعبة ثلاثية زي بتوع الباسكت يعني النتيجة تبقى أربعة ليك انتين ليه.

عاد بظهره إلى الخلف، وأدار جسده بالكرسي للجهة الأخرى في تفكير عميق..

قالت في محاولة لإقناعه بما تفكر وتخطط:

- بص يا أستاذ مصطفى، فيه ولد جديد بقاله معانا أربع شهور كان جاي من طرف الأستاذ علاء وجدي.. فاكره؟

- لا مش فاكره.. مين دا؟

- اسمه "مالك".. كان نازل تمرين عندنا لمدة شهرين، وبعد كدا زهير طلب إنه يستمر كمان لمدة شهرين.

التفت ناحيتها بقوة وحدجها بنظرة استنكار:

- إنتي عبيطة؟؟ دا عيل لسه طري وجديد في الشغلانة!

- أديله فرصه وتحت إشرافي.. الولد دا غريب شوية بس يطلع منه حاجات جامدة أوي، وبرضو فيه المواصفات اللي احنا محتاجينها، وهو كمان محتاج للفرصة دي أعتقد إن كده كل المعطيات بتقول إن النتائج هتكون إيجابية.

أغمض عينيه متجنباً الرد عليها كي يفكر على مهل.. انتظرت لثوانٍ حتى يجيب عليها.. فتح عينيه ناظراً إليها قائلاً:

- اتصرفي بمعرفتك المهم إن الموضوع دا يتغطى بطريقة مميزة مع إني أشك.. ماعنديش اختيار تاني أهو يمكن يطلع منه حاجة.. أديله الورق دا وقوليله يبدأ يحط الخطوط العريضة اللي هيمشي عليها ويجي يورهالي.. ماشي؟

نهضت كالمنتصرة فرحاً، أشار إليها أن تلملم الأوراق المتناثرة على المكتب والمتناثرة أيضاً على الأرض، انحنت حتى تلتقت الأوراق، فكشفت بذلك عن

موطن من مواطن أنوثتها العديدة، التهمها مصطفى بنظره، بينما تابعت هي بابتسامة خبيثة:

- ماتقلقش كله هيمشي زي مانت عايز.

أسرّ كلامه ولم يعلنه إلى أذنها:

- طب أقلق ازاي وانتي موجودة؟

اتجهت إلى الباب وطرقات الكعب تصنع إيقاعاً منتظماً، التفتت إليه ورسمت على وجهها ابتسامة لتوكد لنفسها أنها انتصرت لهذا الوجه الجديد.

***

على المقهى المجاور للجرنال جلس مالك في ركن بعيد يكتب بعض ما يمليه عليه الخيال في مفكرته الخاصة بالأفكار وتدعى (متسلسلة الأفكار).. الكل حوله شغوفون بمتابعة أخبار كرة القدم، وهو لا يكترث كثيراً لتلك الأخبار.. دائماً يفضّل الجلوس وحده يكتب ويرسم بعض الأشكال كعلامة على الأجزاء المهمة التي كتبها.. نظر في الأفق البعيد ثم نحى رأسه واضعاً قلمه على الورق وبدأ يكتب.

المتسلسلة كما يحب أن يطلق عليها عندما يسأله أحد عنها دائماً مليئة بالأفكار والقصص القصيرة وآرائه فيما يدور في المجتمع، وبعض أشعار نجيب سرور وجاهين وبيرم، وبعض آرائه في روايات نجيب محفوظ، وأيضاً قصص يوسف إدريس وإبراهيم أصلان، وبعض المقالات المفضلة لعمر طاهر، ينقل كل هذا على صفحته على "فيس بوك" والتي لا يزورها إلا القليل، كتب على صفحته:

يقول مورفي: (الفوضى تربح دائما لأنها أفضل تنظيما)[1].

وأقول أنا: اصنع الفوضى.. تحصل على أعلى الدرجات من الذين عاشوا في الظلام.. تلك الفوضي الخلاقة هي في الأصل خطة محكمة الصنع، إذاً لا تطلق عليها فوضى، إنما يجب أن تطلق عليها "الحدث المعاكس".

غربل المجتمع داخل مفاهيم خاطئة، يسير كل شيء على ما يرام.. تلك هي النظرية.

اصنع غامات للأعين حتى تستطيع أن تلتقي أنت وفريستك في مكان هادئ قابل للنقاش المفترس، من طرفك فقط بالطبع.

اغتنم تلك الفرصة، وانتقم من الأصوات العالية المتحكمة دائماً في الأشخاص، فالمجتمع لا يستطيع أن يحتمل كل هؤلاء المتحكمين ذوي الأيادي الطويلة الرفيعة والقادرة على أن تسرق الكحل من قلب العين.

لا تتعاطف مع الفريسة، فتلك هي الفرصة الجيدة.. ما أن تصنع "الحدث المعاكس" حتى تصل إلى الغرض المنشود.. سيتكلم المجتمع كثيراً عن الفرائس المتناثرة لحومهم ودماؤهم على شاطئ النهر، ثم اصنع تشتيتاً آخر....

سيأكل النهر اللحم ويشرب القاع الدم المعسول....

مالك سلمان

قطعه في خضم كتابته صوت القهوجي:

- تشرب حاجة يا بيه؟

---

[1] قانون مورفي: هو مجموعة من الأمثال الشعبية معظمها كوميدية وخيالية وتنسب إلى الكابتن أدوار مورفي والذي كان يعمل مهندسا في مشروع قياس مدي أحتمال الجسم البشري للتباطؤ المفاجئ للسرعة

- هات لي عناب ساقع.

الحبر ينتشر على يده، يرتدي بنطلوناً من الجينز وقميص كاروهات وشنطة جلد كروس تحتضنه من أعلى، يكتب بنهم وكأن المعلومات سوف تطير من رأسه إلى السماء حالاً.

يذهب مالك إلى المقهى في أوقات الراحة التي يمنحها له زهير منصور رئيس قسم الحوادث، لم يكن يعلم بعدُ أن زهير أصبح خارج قسم الحوادث، بل خارج الجرنال نهائياً.

حلم مالك لن يتوقف، خاصة بعد أن أمر مصطفى مدير التحرير أن يتدرب في قسم الحوادث.. هو يعلم جيداً أنه سيحقق ما يحلم به.. حاول مالك أن ينسجم مع مجموعة العمل ولكنه فشل تماماً، هم لا يرحبون بكل ما هو جديد داخل هذه الجدران، وهو لم ييأس ولن ييأس في صنع ما يتمناه، لكن ظل "هاني" هو أقرب الأشخاص إليه.

لم تمر ثوانٍ على مقاطعة القهوجي لأفكاره حتى رن هاتفه المحمول.. حملت الشاشة اسم هناء السكرتيرة:

- ألو.. ازيك يا هناء؟

- لولو ازيك يا حبيبي؟ عامل إيه؟ إنت فين؟

- أنا في البريك بتاعي.. خير؟

- كل خير إن شاء الله إنت خلَّص اللي وراك وعدّي عليا في المكتب، ماشي يا قمر؟

- يا رب يكون خير فعلاً!

- ماتقلقش يا حبيبي.

أسرع مالك إلى مكتب هناء، استقبلته بابتسامة أنثوية عريضة، شرحت له ما اتفقت عليه مع مصطفى جمال، لمعت عيناه وشعر أن الفرصة جاءت إليه أخيراً.. تسلّم من هناء نسخة من الأوراق الخاصة بالقضية، والتي كانت بمثابة مفتاح لسرداب عميق ليس به أي إضاءة إلا هذه الأوراق.

أسرع إلى مكتبه وبدأ في قراءة الأوراق التي أمامه، أبدى اهتماماً كبيراً بكل تفصيلة وبكل كلمة مكتوبة، أخرج من حقيبته متسلسلة الأفكار وبدأ يكتب:

بقلم "مالك سلمان":

- "منذ أن هبط آدم إلى الأرض وكان أول ذرياته هو من خطط لأول جريمة قتل، فاتبعه أبناؤه حتى صرنا الآن أمام جريمة قتل لا تقل بشاعة عما فعله قابيل في أخيه هابيل، الأحداث غريبة حرّكت الكثير والكثير من الآراء في المجتمع.. جريمة قتل بتلك البشاعة والعنف والاغتصاب، جديد كل هذا على مجتمعنا المصري، كيف نقبل بها؟ هل مازالت السلطات حائرة أمام تلك الجريمة، أم ستنفعل مثلما فعلت في جريمة مذبحة بني مزار التي راح ضحيتها أكثر من عشرة أفراد والتي وقعت في عام ٢٠٠٦ وفي النهاية يظهر القاتل على أنه مريض فصام ولم يُعرف حتى الآن من هو القاتل الحقيقي؟ القتيلة في العِقد الرابع من عمرها تعمل مديراً لقسم الدعم الفني في إحدى أكبر شركات المحمول، وأم لفتاة عمرها أربعة عشر عاماً، القاتل كان يتبعها جيداً ويعرف ما هو روتينها اليومي، اختار اليوم الذي سافرت فيه ابنتها إلى ألمانيا في رحلة صيفية مع مدرستها.. أتسال الآن لماذا قُتلت؟؟ وهل وراء كل ذلك يد خفية؟؟ نحن هنا لن ننتظر التحقيقات.. وأنا وفريق البحث معي سنتحرك لمعرفة تفاصيل أكثر عن تلك الجريمة البشعة، وسأقدم لكم على

صفحات الجرنال سلسلة حلقات لكي نكشف من هو القاتل الحقيقي، لذلك أرجو من سيادتكم أن تدعمونا لكي ننقل لكم الحقيقة وحتى نزيح من مجتمعنا ما يسبّب مثل هذه الجرائم".

على الفور وافق رئيس التحرير على تلك المقدمة. كان رهان هناء كاسباً، اختار مالك طريقة يرى أنها جديدة في التحقيقات الصحفية في جرائم القتل ويأمل في أن يتابع القراء تفاصيل الجريمة عبر صفحات الجرنال.

تفاءل مصطفى قليلاً وسرعان ما طلبه إلى مكتبه. جلس مالك أمامه في كل ثقة. تبادلا أطراف الحديث حول التحقيق، كان أهمها تلك المقدمة التي وافق مصطفى أن تنشر في الطبعة الأولى للجرنال في صباح اليوم التالي، لم يتوقع مصطفى أن هذا الشاب الرابض أمامه سيكتب عن هذه الجريمة، حتى تلك اللحظة لم يطمئن قلبه إلى أن مالك سيفعل ما لم يستطع زهير أن يفعله، ورغم فارق كبير في الخبرات، إلا أنه ينتظر منه المزيد عن تلك المقالة.

سأله وهو يغوص في مقعده أمام المكتب:

- إنت ازاي جت لك الفكرة دي؟

رد مالك بكل ثقة:

- فكرت إن القارئ لو حس إن التحقيق هيبقى على شكل رواية أو قصة، وكل يوم أو أسبوع حلقة هيتابع كويس للجرنال دا غير الإعلانات اللي هتيجي.. أنا كل دا بحاول أعمل حاجة للجرنال.

سأله ثانية في مراوغة ومحاولة لزعزعة ثقة مالك في نفسه:

- وانت واثق منين إنك هتقدر تجيب المعلومات اللي هتكتب بيها؟ لو أي شيء مش صح الجرنال هيفقد مصداقيته.

- أنا واثق من اللي هكتبه وكمان كل صحفي له مصادره (بابتسامة ثقة).

ضحك مصطفى حتى سعل قائلاً:

- صحفي؟؟ هما كلهم ٤ شهور خلاص بقيت صحفي؟!

وقف مالك من جلسته وبدا عليه الامتعاض:

- إيه يا مالك وقفت ليه؟

- بص يا أستاذ مصطفى اسمح لي أقول لك إنه مش من الذكاء خالص أستهون بقدرات اللي قدامي.

تعجّب مصطفى من جرأة مالك في لكمه بتلك الكلمات:

- مش من الذكاء، قصدك إيه يا ابني، وضّح كلامك؟

- معلش يا أستاذ مصطفى، مضطر أستأذن عندي شغل كتير بخصوص القضية دي.. عن إذنك.

رمقه بتفرّس وهمّ أن يرد عليه، لكنه آثر الانتظار وأشار إليه بالانصراف.

خرج مالك من غرفة مدير التحرير وقد ظفر بأول معركة يتحدى فيها مصطفى، ويثبت أنه جدير بما أوكل اليه من مهمة يرى أنها تحتاج إلى مجهود كبير.. دلف إلى الردهة فوجد هناء قبالته، قالت له في نعومة:

- ها نقول مبروك؟

- أجليها لحد لما الموضوع يكمل.. وساعتها هنحتفل احتفال كبير.

- أنا أتمنى إنك تبقى أحسن واحد في الجرنال.

اقترب منها حتى أصبحت المسافة بينهما لا تتعدى سنتيمترات قائلاً:

- شكراً.. بس غريبة إن مصطفى هو اللي كلمني مش زهير.

ابتسمت له:

- زهير مشي من الجرنال النهارده، وأنا أقنعت مصطفى إنك انت اللي تمسك الموضوع دا مكانه.

- غريبة!! مشي؟؟

قالها بتعجب شديد.

- أنت عارف الغلطة عند مصطفى بفورة.

- ليه إيه اللي حصل؟؟

- ورق القضية اللي معاك كله راح لجرنال الحدث، واحدة شغالة هناك اسمها مروة وقّعته وأخدت منه كل حاجة لها علاقة بالقضية حتى صور هاني اللي صورها.. وطبعاً انت عارف زهير رتّل على البت وسلّم لها.

- انت هتقوليلي على زهير.. عموماً مصائب قوم عند قوم.

اقتربت إليه ووضعت يدها على صدره:

- المهم انت خد بالك من نفسك ماشي؟

أزاح يدها بهدوء وابتسامة هادئة:

- ماتقلقيش.. سلام.

اتخذ ميدان التحرير قبلة له بعد أن تحرك من ميدان الدقي متجهاً ناحية شارع النيل، هاتفه "هاني" صديقه المصور بقسم الحوادث بعد نصف ساعة من رحيله قائلاً:

- ماكنش دا اتفاقنا.

- طب قول سلام عليكم الأول.. اتفاق إيه؟

- إنك تولع الدنيا كدا من أولها.. قولي هتكمل ازاي؟

- هو الخبر لحق ينتشر في الجرنال؟ ربنا يسامحك يا مصطفى.. بص يا هاني أنا تعبت كتير عشان أوصل للموضوع دا، ولا انت نسيت زهير عمل فيا إيه؟ لو انت عايز ترجع في كلامك واتفاقك أنا ماعنديش أي مشكلة.

حاول هاني أن يتجنب الصدام:

- الموضوع مش كدا.. بس أنا خايف إن الحوار يتطور.

- ماتقلقش كله تمام.

كان هاني سمير مصوراً بالجرنال في قسم الحوادث، تصادق هو ومالك بعد أن أتى الأخير بفترة قصيرة، كانت البداية بينهما عن طريق الصور القديمة التي يعشقها مالك، فوالد هاني كان مصوراً فوتوغرافياً، بدايته كانت أيام عبد الناصر، ذاع صيته كمصور عندما افتتح ستديو صغيراً في منطقة عابدين، حيث اشتهر بتصوير الأماكن الأثرية والشوارع والمنازل القديمة ولم يكن ذلك معهوداً وقتها، يملك أكثر من ٢٠٠٠ صورة لمصر قديماً، حصل مالك على جزء من الصور واحتفظ بها على جهاز اللابتوب الخاص بيه.

يسكن هاني في أحد الشوارع الضيقة في منطقة الطالبية بالقرب من حي العمرانية، بيت متهالك قديم لا تزيد مساحته على ٦٠ متراً يقطنه هو واثنان من أخواته، والده مريض غير قادر على العمل مثلما كان في السابق، أمه تكافح لكي يبقى البيت كما هو دون انهيار، لم يجد الاهتمام الكافي ممن حوله، فأوجد لنفسه عالماً خاصاً يصنع فيه وجوده الذاتي، وجده داخل هذا الصندوق الأسود ذي العدسات، قرر أن تكون بدايته عكس ما بدأ والده، فكر في كسب المال دون الفن، ابتاع في بداياته كاميرا ليست على المستوى التقني المطلوب وبدأ في تصوير الأفراح، تعلم من أحد أصدقائه

كيفية تعديل الصور على برنامج الفوتوشوب. بدأ في هذا المجال بعد أن أنهى دراسته الثانوية الصناعية، كانت بدايته في قاعة الأفراح الخاصة بنادي الطالبية، كان يلحّ على مدير القاعة حتى يشارك المصور الخاص بالنادي، حتى وافق المدير أن يساعد المصور الخاص للنادي في الأفراح التي يكون فيها أعداد المعازيم كبيراً وبالفعل بدأ، وكانت بداية جيدة له.. اجتهد حتى تعرف على سارة التي فتحت له أبواب دخوله إلى عالم الصحافة.

كان يوم صلاة الأحد بالكنيسة، ذهب وصلى وأحضر معه الكاميرا الجديدة ذات التقنية العالية التي ابتاعها بعد عام كامل من العمل بالنادي.. بعد أن أدى الصلاة تجول في ساحة الكنيسة وقاعتها ليصور بعض الصورة.. رأته فاتجهت إليه وتعرفت عليه، تعجب من جرأتها في البداية، عرفت منه أنه يعمل مصوراً للأفراح في أحد النوادي، فطلبت منه أن يحضر الأحد القادم لكي يصور فرح ابن خالتها بنفس الكنيسة سألته:

- ممكن أعرف هتاخد كام؟

- خليها بعدين مش هنختلف.

وبالفعل قام بالمطلوب منه على أفضل وجه ممكن، وركّز عليها في التصوير وصنع لها ألبوماً خاصاً يضم صوراً لها في الفرح.. سأل نفسه هل هذا حب أم إعجاب؟؟ أعجبت سارة بالصور كلها، رفض أن يأخذ منها مقابلاً، ألحّت عليه فوافق على شرط أن يحصل على نصف المبلغ، بعد أسبوع تلقى اتصالاً هاتفياً منها، سألته إذا كان يفضل أن يعمل في مجلة فنية أم لا، وافق دون تفكير، عمل يضمن منه دخلاً ثابتاً بجوار عمله مصوراً للأفراح.

بدأ يذيع صيته كمصور للأفراح، انتظر أن تتصل به، ولكنها لم تفعل، ظن في بادئ الأمر أنها تبادله إعجاباً ما لكنه خاب ظنه.

أثبت نفسه في المجلة، وأصبح من أهم المصورين بها، ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن. أغلقت المجلة وأنهت عملها نهائياً. فعاد مرة أخرى إلى تصوير الأفراح وتفرغ لها، حاول أن يقترب من سارة، لكنها أهملته ولم تبالِ بما يشعر به في داخله تجاهها، طلبها على الهاتف بعد تردد كاد أن يقتله وطلب منها أن تقابله لكنها رفضت.

تعرف هاني بعد ذلك على "زهير" في أحد الأفراح، طلب منه أن ينضم إلى فريق العمل في جرنال "الساعة"، لم يتردد، كل هذا وهو يحاول أن يثبت لنفسه وللآخرين أنه ناجح وموهوب، وأن يثبت لسارة أيضاً أنه كان جديراً بها.

في كل مرة كان يحاول معها فيها كانت دوماً تصده، ترفض مقابلته باستمرار، أحس أنه أصبح ثقيلاً عليها، فآثر الخير لكرامته وابتعد.

***

أكمل مالك دربه أمام دار الأوبرا في طريقة إلى المقهى الذي يفضّل الجلوس عليه في وسط البلد.. وصل إلى مقصده وجلس في ركن بعيد يفضله، أحضر له حسن المشروب المفضل لديه وبدأ يفكر ويكتب في متسلسلة الأفكار، بدأ يرسم الشكل الذي يضعه أمام الأفكار أو المقالات المهمة، رسمه بوسط الصفحة وكتب في أسفل الرسم.. "قضية النسر القناص".

في وسط كل هذا الضجيج الذي يملأ رأسه من تصارع الأفكار التي تنهمر كالشلال قرر أن يغادر المقهي نظر إلى ساعة هاتفه المحمول تجاوزت الثانية

عشرة بعد منتصف الليل تخطى شارع شامبليون سيراً. كان الطريق يزينه إنارة أعمدة الإضاءة الصفراء، وكانت بعض الكلاب الضالة تنبح من بعيد.. ظهر في الأفق البعيد التمثال الرابض في وسط الميدان للشهيد عبد المنعم رياض، كان اليوم يمثل له الكثير. استحضر إلى ذهنه بعض المعلومات التي كانت في الأوراق الخاصة بالقضية، تأكد أنه يريد مساعدة صديقة فبحكم العلاقة القريبة بينهم سيكون الأمر هيناً عليه للوصل إلى ما يريده.

***

الفصل الرابع
أول الحكاية

قبل الحادث بأربعة أشهر

غرفة كبيرة يتوسطها مكتب خشبي على سطحه من اليمين توجد قائمة من الأوراق المنتظرة للإمضاءات داخل ملف خاص، إلى اليسار يوجد جهاز اللاب توب، وخلف المكتب على الحائط يوجد برواز كبير أسود داكن يحيط بشهادة كُتبت باللغة الإنجليزية. على يسار الشهادة الشعار الخاص بالجامعة الأمريكية كتب في منتصفها من الأعلى باللغة الإنجليزية "ماجيستر في إدارة الأعمال"، ومن أسفل هذا العنوان بقليل كتب باللغة الإنجليزية بالخط السميك "نسرين وهبه أنيس". في يمين الغرفة يوجد منضدة من الخشب دائرية الشكل للاجتماعات يحيط بها أربعة كراسي من الجلد، وفي جهة اليسار يوجد شباك كبير يسمع بإضاءة الغرفة نهاراً.

دلفت إلى الغرفة وجلست إلى المكتب. التقطت يدها القلم واليد الأخرى التقطت هاتف المكتب، واتصلت بعامل البوفيه وطلبت منه أن يعد لها كوب النسكافيه المعتاد. أغلقت الخط ثم وضعت أصبع السبابة على الماوس الخاص للاب توب فأضاءت شاشته. كتبت اسم المستخدم وكلمة السر.. فتح الجهاز.. استعرضت البريد الإلكتروني الخاص بالشركة. وجدت ٦ رسائل غير مقروءة وصلت إليها أثناء اجتماعها الأسبوعي مع فريق العمل. تعمل "نسرين" مديرة لقسم الدعم الفني لدي إحدى أكبر شركات شبكات الهواتف المحمولة في مصر.. منضبطة في العمل.. تحب الصراحة.. تتجنب

كل ما هو قبيح الكلام، تمتلك سيارة (BMW) موديل العام بسائق خاص، تهتم كثيراً برشاقتها وجمالها وأنوثتها، ترتدي جيب رمادي قصيرة إلى الركبة وقميص أبيض وجاكت رمادي.. صوتها هادئ وناعم، نظرات عينيها ذكية وأسلوبها في الحديث إلى الآخرين قوي المنطق ومتماسك، كل هذا جعل منها أسطورة داخل الشركة.. حاول الكثيرون من زملائها التقرب إليها بعد الطلاق، ولكنها آثرت أن تحتفظ بحياتها لنفسها ولابنتها ذات الأربعة عشر عاماً، وراء كل هذا تختبئ شخصية قوية ذات سيطرة كبيرة، فأذا أمرت أُطيعت، طاقم العمل معها مكون من خمسة عشر شخصاً أربعة فتيات وأحد عشر شاباً.. أكثر الأفراد في المجموعة مقرب إليها كانت "يارا"، تعمل معها منذ سنتين، اختارتها ضمن ثلاثين فرداً تقدموا إلى الوظيفة، التي كانت شاغرة قبل أن تنالها يارا.. سرعان ما تعلمت من نسرين أسلوب إدارة الشغل واكتسبت منها خبرة كبيرة وواسعة.

تخرجت "يارا" في كلية الحاسبات والمعلومات بتقدير عام جيد جداً، كانت تعمل في الماضي في إحدى الشركات المسؤولة عن صيانة أجهزة الاتصالات اللاسلكية لمجموعة شركات عقارية، لكنها لم تشعر بأن موقعها هذا قد يحقق أياً من أحلامها في المستقبل، حتى وجدت ذات يوم إعلاناً بجريدة الأهرام عن الوظيفة التي تعمل بها الآن.. تقدمت إليها واجتازت الاختبارات، وتجاوزت أيضاً مقابلة نسرين الشخصية، والتي تعدّ أصعب المقابلات.

بعد عام من العمل نشأت بينهما علاقة قوية، لم تكن كعلاقة بين مديرة وأحد أفراد طاقم العمل معها، لكن كانت علاقة احتياج كل منهما للأخرى، يارا تشعر داخلها أن نسرين تعوضها عما تفتقده في أمها، ونسرين تستمع

إليها تصادفها وتشاركها الفرح والحزن، أما أمها الحقيقية فهي لا تبالي بكل ذلك، لم تكن تستمع إليها ولا تهتم بما يحزنها أو يجعلها سعيدة، والدها سافر للعمل في السعودية منذ أن كانت في الرابعة من عمرها، يأتي لزيارتهم مرة كل عام لمدة أسبوعين، فلا يشاركهم حياتهم.. تهتم أمها بأخواتها الصغار فقط وترى أنها لابد وأن تحمل معاها مسؤوليتهم!!

أما نسرين فكانت ترى في يارا الأرض الخصبة التي تستطيع أن تزرع بداخلها بذرتها، لكي تصبح شيئاً فشئياً شبيهة لها، تضمن من ناحيتها الإخلاص والوفاء والانتماء.. أجادت التعامل معها واستطاعت خلال العامين أن تستحوذ عليها تماماً وأن تضمن ولاءها اللانهائي..

بينما كانت نسرين تستعرض باقي الرسائل على بريدها الإلكتروني كانت يارا وعمر يعدان أوراق المشروع الجديد الذي فازت به الشركة بعد معاناة: بسبب المنافسة الشرسة بين شركتها والشركات الأخرى التي تعمل في نفس المجال.

تقدمت يارا بخطوات ثابتة إلى مكتب نسرين.. الطريق يتناثر على جانبيه مكاتب كثيرة كل مجموعة مقسمة إلى أربعة مكاتب متلاصقين متواجهين يفصل بينهم من التواجه حاجز لا يتعدي نصف المتر، يستغله بعض الموظفين في تعليق صورهم الشخصية، وآخرين في تعليق أوراق صغيرة صفراء مكتوب فيها ما يذكرهم بما هو مطلوب منهم.

طرقت "يارا" الباب، فأخذت الإذن بالدخول، قابلتها "نسرين" بابتسامة، ثم أعادت النظر إلى شاشة اللاب توب، سألتها وهي تنظر إلى البريد الإلكتروني:

- ها.. أخبار المشروع الجديد إيه؟؟ وصلنا لفين؟

اقتربت يارا إلى المكتب وهي تخبرها:

- المهندس علاء عمل معاينة للموقع وفي خلال ٣ أيام هيبدأوا التركيبات هناك.

أكملت نسرين الحديث معها، وهي مازالت معلقة نظرها بالشاشة:

- جميل.. بناخد خطوات سريعة.

- الحمد لله.

- المشروع دا مسؤليتك انتي وعُمَر، هتكوني المديرة بتاعته.

ثم نظرت إليها مبتسمة:

- اتفقنا؟

-ماتقلقيش يا نسرين كل حاجة هتمشي زي مانتي معودانا وزي مانتي عايزة.

قالت لها وهي تغمز بعينها اليسرى:

- قوليلي.. أخبارنا العاطفية إيه؟

- مالناش غير الصبر!

- صبر إيه يا بنت؟؟ إنتي زي القمر.. بصي خلينا نتكلم في التفاصيل لما تعدي عليا النهارده في البيت نتغدى مع بعض.. ماشي؟

- Ok

- آه على فكرة، "ماهي" زعلانة منك عشان آخر مرة مشيتي وهي كانت نايمة، وكانت عايزاكي تصحيها وتسلم عليكي.

ابتسمت في وداعة قائلة:

- أنا لما هاجي النهاردة هاصالحها.

- خلاص هستناكي.

- مش عايزة حاجة تانية؟

- لا خلاص سيبيلي الورق اللي معاكي عشان أمضيه قبل لما أمشي.

- أوكي.. عن إذنك.

- اتفضلي.

اتجهت يارا إلى مكتبها، جلست وبدأت تتصفح الرسائل الإلكترونية، وتصفحت بعد ذلك صفحتها على الفيس بوك، قالت وهي تسر حديثها إلى نفسها:

- لسه لحد دلوقت ماعملش أكسبت.. براحته شكله كدا مُتعب وفاكر نفسه حاجة.. منك لله يا هيثم إنت السبب في المعرفة دي.. بس برضه مش هو السبب إني أعجب بيه.. عموماً أنا كده هتعامل معاه بنفس أسلوبه.

أغلقت صفحتها واتجهت إلى عمر، أخبرته بما قالته لها نسرين بأن المشروع سوف يقع على عاتقهما، أدخل هذا الاختيار السرور إلى عمر، وشعر أن نسرين بدأت تنظر له بعين الاهتمام بعد عام من العمل معها، وشعر أن الفرصة قد أتته، ولابد أن يثبت نفسه لها.. قال وهو يمسح نظارته الطبية بالمنديل:

- تفتكري كدا إن نسرين هتبدأ تكبّرني في الشغل.

ابتسمت قائلة: إنت مش واثق في نفسك ولا مش واثق فيها؟؟ بص.. لو انت مش واثق فيها فتبقى انت غلطان.. أما لو انت مش واثق في نفسك فيبقى تروح تتعالج يا عموري.

توقفت يداه عن تلميع النظارة ونظر لها قائلاً:

- هتشوفي يا يارا مين اللي مش واثق في نفسه وعايز يتعالج.

تعالت ضحكاتها فأسمعت من حولهما قائلة:

- ماشي يا عمر.. بس أهم حاجة عند نسرين القواعد الاثني عشر اللي أهم اتنين فيهم الإخلاص والوفاء.. فاهم؟؟ الإخلاص والوفاء.

- يا ستي فهمت خلاص هبقى أوفى من الكلاب.

اقتربت منه قائلة:

- تؤ تؤ تؤ ماتقولش على نفسك كدا.

- لا مانا قلت خلاص.

***

بعد موعد العمل كانت يارا تتخذ طريقها إلى منزلها بالهرم بعد يوم حافل بالعمل الشاق، كانت قد اتفقت مع نسرين أن تحضر إليها للمنزل في تمام السادسة مساءً بحي الزمالك حيث تسكن نسرين خلف فندق الماريوت مباشرة.

في تمام الخامسة والنصف استقلّت يارا تاكسي متجهة إلى هناك، كانت قد ابتاعت كتاباً جديداً هدية كي تصالح ماهي ابنة نسرين، فهي تعرف أنها تحب القراءة، ابتاعت رواية "مومو" للكاتب الألماني الشهير "ميشيل أنده".. أعدّت نسرين الجلسة التي تطول بينهما، وأخبرت ابنتها أن يارا ستأتي ليتناولوا الغداء سوياً.

استقبلت ماهي يارا بالترحاب والقبلات، فهي تشعر أنها أختها الكبيرة التي لم تنجبها أمها.. جلستا في الصالة بالقرب من الشرفة الواسعة المطلة على الفندق من الخلف، كان هواء النيل يداعب خصلات شعرهن.. فرحت ماهي بالهدية قائلة:

- أنا أصلاً بحب الرواية دي قووي يا رايو.

- أنا قولت لازم أصالحك بحاجة انتي بتحبيها.

- ميرسي قووي ليكي..

ثم قامت وطبعت على خدها قبلة امتنان.

انفردت نسرين بيارا لتتحدث معها في أمور خاصة بها. سألتها نسرين إكمالاً لآخر حوار دار بينهما منذ يومين:

- لسه مخاصمة مامتك؟

نظرت لها يارا وردت في ضيق:

- نفسي في مرة واحدة ماما تتعامل معايا زي مانتي بتتعاملي معايا.. أنا كل اللي عايزاه منها إنها تسمعني، تهتم بيا وبمشاكلي.

-بصي.. مامتك مش هتتغير، هي كدا من سنين، وكمان والدك مش موجود، فمحدش هيتكلم معاها ويفهمها اللي هي بتعمله دا إذا كان صح أو غلط.. أنا عايزاكي تغيري نفسك وتبقي أقوى من كدا.. مش عايزة أشوف في عنيكي نظرة الضعف دي أبداً.. اتفقنا؟

- بس برضه..

قاطعتها قائلة:

-عارفة.. وانا أصغر منك كنت لسه في الجامعة، ماما اعترضت إني أسافر بريطانيا مع أصحابي في إجازة الصيف.. عارفة أنا عملت إيه؟

- إيه؟

- صحتها الصبح على تليفون مني وانا في بريطانيا وكنت في المطعم بتغدى مع صحابي!

حدقت فيها يارا في تعجب شديد:

- للدرجة دي؟

- أكتر. من ساعتها.. هي عرفت كويس قوي إني أقدر أعمل اللي أنا شايفاه صح ومناسب بالنسبة لي.

أخذت يارا تداعب خاتمها الذي يزين أصبع البنصر وتديره يميناً ويساراً.. كانت تفكر في ما قالته لها نسرين، لاحظت أن يارا قد دخلت في صراع نفسي صعب تحتاج فيه أن تأخذ قراراً في ما يحدث لها مع أمها.. أدارت الدفة إلى موضوع آخر:

- قوليلي يا رايو أخبار لوكا إيه؟

- زي ماهو.

- هو مش اسمه مالك؟

ابتسمت لها:

- آه.. انتي لحقتي نسيتي؟

- لالا أنا مانسيتش أنا بس بتأكد.. ماتخلينا نتقابل إحنا التلاته في يوم كدا؟

- حاضر.. بس أعرف أقابله أنا الأول.

***

الطريق مزدحم.. والمنزل بعيد.. السيارات متلاصقة ومتراصة كيوم الحشر، والباعة الجائلون يتطفلون كالذباب على طعام مكشوف.. درجة الحرارة مرتفعة قليلاً هذا اليوم.. حاولت أن تشغل ما يهون عليها الطريق، مدت يدها إلى تابلوه السيارة وفتشت في مجموعة أسطوانات ثم انتزعت واحدة منها وأدخلتها إلى جهاز الكاسيت الخاص بالسيارة، فخرجت موسيقى

موتسارت من سماعات السيارة رويدا، أسندت رأسها إلى مقعد السيارة وأغلقت النوافذ وأدرات جهاز التكيف، فصلت نفسها عن العالم الخارجي تماماً، وأخذت تداعب خصلات شعرها البني المتدلي على كتفها.. مازال الطريق مغلقاً والازدحام شديداً.. لم يكن يبدو عليها أنها قد تجاوزت الأربعين بقليل، تهتم بأناقتها ومظهرها جيداً.. نظرت إلى اليسار فوقعت عينها على عين شاب رابض بالسيارة المجاورة لها، نظر لها في إعجاب شديد محاولاً مغازلتها، لم تُبالِ به وأعادت النظر مرة أخرى إلى الأمام قائلة في تذمر:

- عيب يا وسخ دا أنا في سن أمك.

زادت من صوت الموسيقى، ومع ارتفاع صوت الكمنجات داخل السيمفونية زاد معدل اندفاع الدم داخل جسدها.. لم تستطع الصبر على تلك الزحمة الخانقة.. وضعت يدها على كلاكس السيارة لتنبيه رجل المرور أن الوضع أصبح لا يُطاق، وهو مازال مُصراً على غلق الطريق.. ثوانٍ معدوده ثم فُتح الطريق مرة أخرى، كانت قد فاض بها الكيل مما دفعها إلى أن تفتح زجاج السيارة وتُخرج رأسها مخاطبة رجل المرور الوقف جوارها:

- خلاص شايفين شغلكوا قوي؟

دخل كلماتها إلى أذن الرجل وكانت قد سبقته بعدة أمتار، لم ينتظر كثيراً، أمسك دفتر المخالفات في يده ودوّن رقم سيارتها، وهو ينظر إليها في المرآة، لاحظته هي الأخرى فتابعت بغضب:

-ابقى وريني بقى يا حبيبي هتعمل بها إيه؟

لن يستطيع فعل أي شيء، لا هو ولا غيره، تعلم ذلك جيداً.. الكل يعلم ذلك، من يستطيع أن يقف في وجه هند جلال زوجة رجل الأعمال والمقاولات

الشهير عزت الشامي.. ليست لأنها زوجته فقط، ولكن لأن هِند تمتلك شبكة علاقات اجتماعية كبيرة جداً تشمل كبار الأسماء في الدولة، والتي لها وزن كبير.. شبكة كبيرة من العلاقات تفتح الأبواب الموصدة، لا يقف في وجهها شيء ولا تبالي بأحد.. تعشق الهدايا والمجاملات الصريحة، تستغل الفرصة لمكاسب كبيرة وعبقرية في لمح البصر.. تتسلق الهرم الاجتماعي أعلى فأعلى، تريد القمة ولا شيء غيرها، وعندما تصل، تكتشف أن هناك قمماً أخرى لابد أن تصل إليها.

وَصَلت إلى العقار التي تسكن فيه، صعدت إلى الطابق الخامس.. كانت في تلك اللحظة تتصل بعزت ولكن لم يأت إليها أي رد من جانبه، قالت وهي تدخل الشقة: أكيد مع واحدة من الأوساخ اللي يعرفهم.

على الجانب الآخر كان عزت يجلس هو وسلمان في مقر شركتهما في اجتماع مع إحدى الشركات التي تعمل في مجال البنية التحتية يتفقان على إتمام مشروع وحدات سكنية جديدة بالتجمع الخامس.

نظر عزت إلى هاتفه الذي واصل الرنين فضغط على زر "صامت"، سأله سلمان فلم يجِبْه، وأكمل حديثه في الاجتماع.. رن هاتفه مرة أخرى، فأعاد سلمان السؤال فرد عزت في حنق:

- هند.

- طب ما ترد عليها أو اقفله خالص.

- لا مش هرد.. تلاقيها عايزة تتكلم في أي كلام فارغ وخلاص.

- خلاص أقفله خالص.

- ركز انت بس مع الناس وسيبك من التليفون.

تشدق سلمان:

- براحتك.

***

صعدت هند إلى غرفة النوم، خلعت ملابسها ثم اتجهت إلى حمام داخل الغرفة، فتحت صنبور الماء بالبانيو حتى امتلأ.. تجردت من ملابسها، وهبطت إليه لتحتضنها جدرانه، أخذت تداعب الماء بقدميها وكانت تفكر في كيفية قضاء بقية اليوم؟ تشعر أحياناً بالفراغ، لكنها كل يوم تحاول أن تقضي عليه بأي طريقة كانت، مرة مع أصدقائها في النادي ومرة أخرى كسيدة مجتمع تشارك في الأعمال الخيرية، وثالثة تذهب إلى الشركة لتباشر بعض الأعمال بنفسها.. تمنّت أن تُرزق بطفل لكن كيف وقد تجاوزت الأربعين؟؟ إرادة الله كانت في أن يعطيها زوجاً غير قادر على ممارسة حياة زوجية طبيعية.. في بداية الأمر ومنذ خمسة وعشرين عاماً كانت قد قررت الانفصال، لكن سرعان ما تراجعت عن قرارها عندما تغيّر حال عزت وأصبح من كبار رجال الأعمال، وزاد المال في يده، ودخلت هي في نطاق سيدات المجتمع التي تشارك في أنشطة كثرة، مما فتح لها أبواباً من العلاقات استطاعت من خلالها تحقيق ما كانت تحلم به..

وجد عزت الطريق الذي سيجنّبه الخلافات بينه وبين زوجته هند، وجد طريقاً سيختصر عليه الكثير، ويغلق أمامها أبواب طلبها الانفصال، وجد طريق الهدايا والمجوهرات، الذهب والمال الذي لم تكن ترفضه أبداً، أما هي فقد رحبت بأن تسلك هذا الطريق الذي تراه جيداً لها ومناسباً تماماً لطموحاتها.

بعد الاستحمام هاتفت صديقتها منال وطلبت، منها أن تلتقيا في النادي، سألتها إذا كان في استطاعتها أن تأتي بسيارتها ليذهبا سوياً. فوافقت منال دون اعتراض..

دلفا سوياً إلى بوابة النادي، في تمام الخامسة جلستا على منضدة في وسط حديقة النادي يحيط بهما النجيل الأخضر وأشجار النخيل، استغرق الوقت نصف ساعة قبل أن تطلب هند من منال أن تذهب لتجلس بجوار حمام السباحة، وهناك قابلت كل منهما بعض الأصدقاء من النساء اللاتي لا يبرحن هذا المكان إلا بعد أن يمارسن عادتهن المفضلة من النميمة ونقل الأخبار، قالت أحداهن لهند:

- أنا مش قادرة أفهم انتي يا هند مش ماسكة منصب كبير ليه في شركة جوزك؟

أجابتها هند في محاولة لمراوغتها:

- اللي انتي ماتعرفهوش يا قمر إني بمشي الشركة دي بالتليفون.. الموضوع بالشخصية مش بالمكاتب.

ابتسمت صديقتها بسخرية، وأردفت أخرى قائلة:

- يا بخت من كان النقيب خاله.

- وحياتك يا قمر النقيب والقوات كلها في جيبي الصغير.

- غريبة قوي ثقتك دي يا هند.

- أنا عارفة بقولكم إيه.

علقت هند نظرها على أحد مدربي السباحة في التمرينات المسائية، شاب في أعلى الثلاثينات مقسّم العضلات ذو بنية قوية، بينما كانت هند مستغرقة في تأمل هذا الشاب لاحظت منال ذلك، فاقتربت منها قليلاً هامسة لها:

- إيه يا هند هو عزت مش رافع راسنا ولا إيه؟

ضحكت هند بصوت أسمع من حولها:

- وحياتك يا قمر آخره يرفع سماعة التليفون!

الفصل الخامس
تعددت الأسباب

اخترق شعاع الشمس الحجرة المظلمة من بين ضلفتي الشباك الخشبي.. اخترق ليداعب جفونه النائمة التي كانت غارقة في دجنة الليل.. تقلب ذات اليمين وذات اليسار، محاولاً تجنب شعاع الشمس المبتسم.. رسم الشعاع على حائط الغرفة صورة لخطوط فتحات الشباك، وانعكست الصور على المرآة المقابلة لسريره، حاول تجنب الشعاع بوضع الوسادة على راسه، ولكنها لم تُجْدِ نفعاً، فتح كلتا عيناه ببطء شديد فتشبعت حدقته بالنور، ثم ثبت نظره إلى المرآة، قام نصف جلسة وأسند ظهره إلى السرير.. نظر إلى ساعة تليفونه المحمول، فوجدها التاسعة وعشر دقائق، استعاد وعيه بعد أن وجد خمس مكالمات فائتة من هناء، ومكالمة من مدير التحرير للجرنال.. نهض من مرقده وجلس إلى طرف السرير، وضع رأسه بين راحتيه في محاولة لاستعادة ما تبقى من وعيه.. تذكّر ما حدث بالأمس.. جريمة القتل.. المقدمة التي كتبها.. موافقة مدير التحرير.. ثم تذكر الشخص الذي يريد مساعدته في التحقيق الذي يكتبه عنه، وجوده سيختصر عليه الطرق المؤدي إلى مراده، أحمد خيري.. صديق مالك القديم، فمنذ الصف الأول الإعدادي اتخذه خليلاً له، تزاملا حتى المرحلة الثانوية، لكن مكتب التنسيق الجامعي فرّق بينهما فالتحق مالك بكلية الآداب والتحق أحمد بكلية الحقوق، ورغم ذلك لم يفترقا طوال فترة الدراسة الجامعية، كأن القدر قد جمعهما داخل

سور جامعة القاهرة.. صديقان منذ الطفولة، وصديقان في المراهقة، وصديقان بعد أن أصبح كل منهما في مجال عمل مختلف.

بعد أن تخرج أحمد في كلية الحقوق التحق بالنيابة، وتدرج حتى أصبح وكيل نيابة قصر النيل، والده مستشار ووالدته مديرة لمدرسة ثانوي، نشأ أحمد في أسرة مترابطة مع أخته هديل التي يعتبرها أقرب الأصدقاء إليه بعد مالك.

استجمع مالك قواه وهاتف هناء؛ لمعرفة سبب مكالماتها المتكررة، لم تتجاوز المكالمة الدقيقتين، عرف أنها كانت ترغب في أن تصبح أول المهنئين له بعد نشر مقاله الأول بالطبعة الأولى للجرنال، لم يُبالِ بالتهنئة ارتدى ملابسه وهاتف أحمد، وأخبره أنه في طريقه إلى مكتبه في سراي النيابة، تعجب أحمد من تلك المكالمة المبكّرة.

بعد نصف ساعة كان مالك واقفاً أمام مكتب صديقه، طلب من الرجل الواقف أمام المكتب أن يخبره أنه بالخارج.. ثم أُذِن له بالدخول.. دلف مالك الغرفة وتقدم واحتضن كل منهما الآخر، بعد السلامات والسؤال عن الأهل والأحوال بادره مالك بسؤال:

- هتقدر تساعدني؟

- نسرين وهبه؟

ابتسم مالك ولم يعقب على إجابته:

- عايز كل حاجة متعلقة بالقضية دي.

أشعل أحمد سيجارة:

- إنت عايز ملف التحقيقات.. صح؟

- أحبك وانت قاريني.. مش بس كدا و تقرير الطب الشرعي كمان.

- ودا هيفيدك في إيه؟

صمت مالك قليلاً ثم رد:

- هيفيدني في اني أحل لغز القضية دي.

تقدم أحمد إلى ثلاجة صغيرة بجوار مكتبه الخشبي الكبير. والتقط علبة عصير معلبة. وجلس في الكرسي المقابل لمالك:

- حل الألغاز دا شغلنا يا مالك.

نظر له مالك ملياً ثم رد في إصرار:

- القضية دي هيتوقف عليها حاجات كتير في مستقبلي. ولازم تساعدني.

ثم تناول مالك علبة العصير منه..

- بص يا لؤلؤ القضية دي مش معايا. هي مع زميل ليا هنا بس هو حبيبي.

كما لو التقط مالك خيطاً مهماً في الحديث أردف قائلاً:

- حلو يبقى هيخدمك.

- هو أنا آه خادمه في حاجات كتير. بس القضية حساسة قوووي وأشك إنه هيساعدني.

- ولا.. بلاش تلاعبني.. الورق هيكون معايا النهارده بالليل ماشي؟

- سيبني بس أشوف الحوار إيه لما أكلم محمد جمعة الأول.

- كلمه دلوقتي..

- انت عايز تودينا في داهية أصلا الورق دا ممنوع يطلع برا النيابة أو أي صورة منه. أنا هعمل كدا عشان انت صاحبي. غير كدا أروح في داهية.. أنا هكلملك جماجم وهحاول أجيهولك النهارده.

تعجب مالك قائلاً:

- مين جماجم دا؟

ضحك أحمد حتى ظهرت أسنانه المتشحة بالسواد من أثر السجائر:

- محمد جمعة إحنا مسمينه كدا عشان أول قضية حقق فيها كان القتيل عباره عن جمجمة.

تقدم مالك في جلسته إلى مقدمة الكرسي وهو يضحك:

- بص ياعم أنا ماليش دعوة لا بجماجم ولا هياكل.. خيري.. الفرصة دي جاتلي في الستة ياردة ولازم أدخل جون، خليك بقى البلاي ميكر الصح وباصيلي الكورة.. ماشي؟

- ماتقلقش.

نهض مالك متجهاً إلى الباب:

- خلاص أنا هسيبك لمواويلك.. مش عايز القضية دي تبقى بني مزار تانية فاهمني طبعاً..

- ماشي يا كرومبو.. بالليل عدي عليا ونتكلم.

- الكلام انتهى هنا.. عندك هيكون الشغل.. سلام.

أحس بأنه اقترب، ومن حسن حظه أن جميع الخيوط أصبحت متدفقة من بين يديه.. صديقه والجرنال والمعلومات التي سوف يحصل عليها في المساء.. إذاً لا يوجد أي شيء يعرقل نسج خيوط القصة؛ لعرضها على القراء ليعلموا إلى أين يسير المجتمع..

دلف إلى الجرنال ثم أسرع إلى مكتبه، وبدأ يدوّن بعض الملاحظات في متسلسلة الأفكار، شعر بقدوم أحد فأغلق الكشكول وانتظر القادم.. كانت

هناء.. جلست جواره تهنّئه بالمقال.. شعر برضا داخلي وأنه قد بدأ في تحقيق أولى خطواته. تبادلا أطراف الحديث حتى قاطعهما مدير التحرير:

- مالك، عايزك في مكتبي حالا.

نظر مالك إليه ثم نظر إلى هناء بعد أن التفت مصطفى للناحية الأخرى، وخرج من الغرفة. فهمت هناء مقصد مالك:

- مش عارفة يا مالك.. روح شوفه عايز إيه.

دخل مالك الغرفة خلف مصطفى. قال مصطفى في حنق قبل أن يجلس:

- واضح إن الداخلية زعلت.

حدجه مالك باستنكار:

- إشمعنى.. أنا اتكلمت في حاجة تضايق؟

- عشان موضوع بني مزار ده.. كمان التحقيقات في القضية دي عايزينه ياخد شكل السرية. واضح إنه ممكن يكون فيه قرار من النائب العام بكدا.

- بقولك إيه.. يعملوا اللي عايزينه.. بكره الصبح هيكون عندك مقال تاني للقضية.

- إنت واثق من مصادرك؟

- إنت لسه مش واثق فيا؟؟؟

- لأ طبعا واثق جداً.. بص.. اشتغل أنت وسيب الباقي علينا.

- اتفقنا.. عن إذنك.

ثم انصرف.

الطريق يطول به. يطول لأن الأفكار مازالت معلقة على جدار الذكريات القديمة. خطا الشاب الأبيض النحيل خطواته الأولى في منزل عائلته بين

اهتمام الأم وسفر الأب وانشغاله. فكانت له بمثابة العالم الذي يرى من خلاله. العالم الذي لم يكن يعرف فيه شيئاً. أحيط بالاهتمام والخوف المُبالغ فيه من أمه.. لم تتركه كي يمرح ويلعب كبقية الأصدقاء. حتى عندما حاول في يوم أن يخرج مع أصدقائه كان رد فعلها عنيفاً جداً عليه. تجنبها. دلف إلى غرفته وبكى. كانت تعنفه لأتفه الأسباب حتى إذا تكلم دون إذن أمام الأقارب أو أصدقائها في العمل. ذات يوم سمعته وهو يتحدث إلى زميلته في المدرسة بالهاتف. كان قد تجاوز الرابعة عشرة بأشهر قليلة. دخلت الغرفة وأغلقت الخط. وأخذت تضربه بقسوة. لم يفهم ما الذنب الذي اقترفه لكل هذا؟! من باب أولى أن تفعل أم الفتاة ذلك!

قاطعها بعد هذه الواقعة ولم يتحدث إليها. تجنب النظر إليها. مرت ثلاثة أيام دون أن تكلمه. كان ينتظر منها أن تعترف بخطئها. لكن عايدة لا تعترف إبداً بأنها مخطئة. شعر بالذنب لمقاطعتها. اتجه إليها واعتذر في خنوع. في البداية رفضت الاعتذار. ولكن عندما لمحت الدموع وهي تنساب من عينه احتضنته وقالت له:

- أنا بحبك وبخاف عليك.. وانا شايلة مسؤوليتك لوحدي لازم أحافظ عليك

- أنا مابقيتش صغير.

تكررت الجملة الأخيرة كثيراً في أذنيه وهو يترجل في المنطقة التي تربى وترعرع فيها. تأمل جدار البيوت القديمة التي لمسها بكفيه عندما كان صغيراً. محل البقالة الذي كان يبتاع منه كل ما يحبه من حلويات وكراريس المدرسة وغيرها. ظل كما هو لم يتغير قط. شعر أنه أصبح عملاقاً داخل هذا المكان. بالأمس كان الطفل الذي يمشي وهو يحتضن كف أمه. واليوم تخلى عن تلك

الكف، وأصبح يسير بمفرده يتذكّر الناس ويتذكّر كل شيء كان يحبه، كم مر من العمر؟؟ ستة عشر عاماً. تغيرت أشياء كثيرة وظلت أشياء أخرى كما هي. ولكن اليقين الذي بداخله الآن أنه تغير. تغير كل شيء ما عدا تلك الجدران القديمة.

لم يشعر بالوقت. كم مر عليه داخل تلك الذكريات. استوقفه صوت أحد الرابضين على مقهى بجوار منزله القديم. التفت إلى صاحب الصوت، إنه سعيد، صديقه في الصف الثالث الابتدائي، نظر له مالك لثانية دون أن يبدي أي رد فعل منه، لاحظ سعيد أن مالك لا يتذكره، نهض سعيد واتجه نحوه ثم صافحه وذكّره بنفسه، ادّعى مالك أنه لا يعرفه، الملامح ليست غريبة عليه ولكنه لا يتذكر شيئاً عن كل هذا الذي قاله له، من أبله فلانة ومن الأستاذ علان.. سأله مالك أين يعمل الآن فقال له إنه كان يعمل في إحدى شركات خدمات المحمول، والآن هو عاطل عن العمل، جلسا إلى القهوة وتبادلا أطراف الحديث، قال له سعيد متفاخراً بثقافته:

- أنا قريت مقالك في الجرنال النهارده.

لم يُبالِ مالك بما قاله:

- عجبك يعني؟

- آه طبعاً، على فكرة أنا أعرف نسرين وهبه.

التفت إليه مالك متسائلاً:

- تعرفها منين؟

أجابه سعيد وهو يلملم خيوط الحديث المبعثرة:

- لالا أنا ماعرفهاش بصفة شخصية يعني، بس هي كانت معروفة عندنا في الشركة أيام ما كنت شغال فيها.. شفتها كام مرة كدا من بعيد لبعيد.. مديري المباشر هو اللي كان بيتعامل معاها كتير.. كانت مزّة بجد.. شخصيتها قوية وشديدة قووي، كل اللي اشتغل معاها قال عليها كدا.

- إنت سيبت الشغل ليه هناك؟

ارتبك سعيد ولم يعقّب على سؤال مالك.

- إيه يا سعيد مش بترد ليه؟

حاول سعيد الحفاظ على رباطة جأشه:

- عادي حوار كده..

قام مالك في طريقه إلى الشارع:

- عموماً يا سعيد خد رقمي لو في حاجة عندك هتساعدني في التحقيق اللي بكتبه أنا مستعد أسمعك.. دا لو فيه فعلاً حاجة عندك عايز تقولها.

ارتبك سعيد أكثر:

- أكيد يا معلم دا احنا عشرة سنين.

ابتسم له مالك:

-سلام.. يا سعيد.

ثم انصرف مالك وهو شارد في أفكاره، ربما قد يضع لنا القدر أشياء لا نعرف قيمتها إلا فيما بعد..

الساعة تجاوزت الثامنة مساءً، وقف مالك أمام إحدى البنايات في مدينة نصر حيث يسكن صديقه أحمد في نفس الشارع الذي كان يسكن فيه مالك عندما كان يعيش مع والديه، ضغط على زر الدور السادس، أخذه إليه

المصعد الكهربائي، ضغط على جرس الباب، فتح له أحمد، دلف مالك إلى الشقة قائلاً:

- أيوا يا عم كدا.. بلا بدل بلا كرافتات.

- صح؟ مش كدا أريح؟

- والنبي شكلك قمر في البيجامة الكستور.

- بيجامة؟؟ إنت أعمى؟؟ دا ترنج أديديس.

- والله؟ معلش انت عارف بقى الوحده بتخلي الواحد مش بيميز.

- خش جوا يا عم اللمض.

- أبوك وأمك وأختك فين؟

- في نادي القضاة بيحضروا فرح.. خش بقى عشان أخلص من حوارك دا.

- والنبي البت أختك دي لو كانت كبيرة شويه ماكنتش سبتها.

- والله لو كنت وقفت على شعرك ماكنت جوزتهالك.. هو أنا لاقيها في الشارع؟!

ضحكا سوياً ثم جلس مالك على الكرسي الخشبي الهزاز بالغرفة المخصصة لأحمد، أخذ يعبث ببعض الأقلام والأوراق، لاحظ إحدى الصور الرابضة في إطار أسود تجمعه مع أحمد في أحدى رحلات المدرسة، صاح قائلاً:

- فاكر اليوم دا؟ انت فين يا عم خيري؟؟؟ اخلص مافيش وقت عايز أنجز عشان أبعت المقال للجرنال.. يا أأأأحمد.

دلف أحمد إلى الغرفة وهو يحمل في يده صينية عليها كأسان من المانجو.

- يا حلاوتك يا سعادة المستشار.. وكمان مانجه.. والله وبقينا ولاد ذوات.. أنت لسه حاطط الصورة دي هنا؟

- فاكر اليوم دا يا مالك؟

- طبعاً.. لما رحنا رحلة لدريم بارك.. فاكر انت كنت ساعتها هتموت وتكلم مين؟

ابتسم أحمد ثم قال:

- طبعاً فاكر.. انت بقى فاكر أخدت تريقة قد إيه على التي شيرت دا؟ إيه يا ابني العلامة اللي أنت حاططها في النص دي؟

- يا أبو جهل.. دي الرسمة الموجودة على الكومي في الكوتشينة.. أنا عارف إنك هتبلم.. رقم سبعة في الكوتشينة.

- آه.. عرفتها.. من يومك مدمن كوتشينة.

- كانت أيام بقى.. المهم اديني الورق.

أمسك مالك بالورق وكأنه وجد كنز "علي بابا"، تأمل أول سطوره، وتصفح باقي الأوراق، كان كمن ابتاع مجلة جديدة يتصفحها قبل القراءة، لاحظ أحمد اهتمام مالك، فقطع تصفحه قائلاً:

- إنت ليه مهتم قوي بالقضية دي؟

- فرصة وجت لحد عندي، عايز أثبت فيها نفسي.

- إنت لسه سايب البيت؟

عاد بنظره إلى الأوراق:

- مش موضوعنا يا أحمد.

- عيلتك ناس كويسة.. وعمرهم ما بخلوا عليك في شيء.. ماتبقاش عاصي.

حدجه بنظرة قوية:

- أنا مش عاصي يا أحمد.. ومش كل حاجة الفلوس.. الراحة النفسية

أحسن ١٠٠ مرة من أي فلوس.. كمان أنا لازم أثبت نفسي ووجودي.

- لمين؟

- للدنيا كلها.

- طب قولي إنت بتصرف منين؟

- في إيه يا جدع مانا شغال في الجرنال.

- ومين اللي وداك الجرنال.. مش معارف والدتك؟

وهنا لم يستطِع مالك أن يكمل إلى نهاية الحوار، وقرر أن يغلقه نهائياً:

- إنت مش عايش مبسوط مع أهلك؟ أنا بقى مبسوط وانا عايش لوحدي.. يبقى أحسن حاجة إنك تقفل على الموضوع دا نهائي.. إحنا الاتنين مبسوطين باللي احنا فيه.. اتفقنا؟

بتعجّب واستنكار:

- اللي يريحك.

- أنا هقوم أمشي عشان ورايا شغل كتير ولازم أخلصه.

- على فكرة في كلام إن النشر في الحادثة دي هيقف بقرار من النائب العام.

- دا أكيد؟

- لا.. كلام.

- عموماً ماتقلقش أنا عامل حسابي.. أهم حاجة خليك معايا في القضية دي.. الموضوع دا يا يطلعنا لسابع سما.. يا ينزلنا لسابع أرض.

- أنا معاك.. وأكيد كمان جمعة معانا.. طلما احنا عايزين الخير والصالح.

- أشوفك على خير.. سلام.

***

في غرفته كان المكان نصف مضاء، جلس إلى المكتب، طلب من صديقه علاء الذي يشاركه المسكن أن يُحضر له كوب شاي بالنعناع الأخضر، أمسك بالأوراق وكأنه وجد كنزاً ثميناً. فكل كلمة وكل صفحة بالنسبة له هي كنز من الذهب به ما تشتهيه الأنفس، تطلّع إلى الأوراق بنهم شديد، وبدأ في قراءة التقارير التي أمامه:

(في تمام الساعة السادسة مساءً عثر على جثة لسيدة في العقد الرابع من عمرها بيضاء البشرة متوسطة الطول.

وُجدت مسجاة على ظهرها داخل غرفة النوم على السرير، وبقايا دماء حول مرقدها، يبدو أن الجثة قُتلت في الصالة لوجود آثار لدماء كثيرة هناك، وُجدت عارية تماماً. كان النصف الأعلى حتى الخصر على طرف السرير من الأمام والنصف السفلي، الساقان كانتا متباعدتين مما كشف عن عورتها، ووضعت كل ساق على طرفي كرسي خشبي من كراسي منضدة الطعام، وُجدت عدت طعنات في الصدر وذبح بالعنق، ووُجد رباط عنق (كرافتة) رجالي التفّ حول رقبتها، يبدو أنه من موديل قديم يعود إلى التسعينيات، وُجدت آثار للسائل المنوي على الجثة. وكذلك فحص أغطية السرير لاحتمال وجود نفس الإفرازات عليها.

لوحظ ظهور علامات من الزرقة الرمية في ظهر المجني عليها، مع تيبس في الجثة. بمعاينة الشقة تبيّن أن الجاني قد دخل إليها بطريقة مشروعة، بحيث لم يتبين في باب الشقة والنوافذ أي نوع من الكسر أو المقاومة. مما يدل على أن القاتل له علاقة بالقتيلة، بمعانية الشقة لم يظهر أي شيء يدل على فقد محتوياتها. بمعانية المطبخ وُجد بقايا طعام من الوجبات الجاهزة

داخل سلة القمامة، وُجد سكين المطبخ بجوار الحوض، وعليه بعض آثار الدماء المتجلطة كان القتيل قد حاول محوها.

تم رفع بصمات القتيلة لاستبعادها من الآثار المرفوعة محل الحادث.

انتداب عضو الطب الشرعي وتشريح الجثة؛ لمعرفة وقت وسبب الوفاة، وانتظار تقرير الطب الشرعي في أقرب وقت ممكن).

انتهى مالك من قراءة تقرير فريق البحث الجنائي، أمسك بتقرير الطب الشرعي، وبدأ في قراءته حيث جاء فيه:

(من تشريح الجثة تبين الآتي:

- وجود جرح ذبحي بالعنق وإصابة من نزيف دموي مع وجود مظاهر (أسفكسيا الخنق)، وخمس طعنات متعددة بالجثة.

- المعدة بها طعام شبه مهضوم.

- وجود أثر لعملية تعدٍّ جنسي ووجود بعض آثار للسائل المنوي داخل المهبل، وبمعاينته تبيّن أنه مطابق لآثار السائل التي وُجدت على أغطية السرير.

- يوجد نصف بصمة مدممة.

انتهى مالك من قراءة التقارير، أخرج متسلسلة الأفكار من حقيبته الجلدية، وبدأ يكتب أولى حلقات الكشف عن القاتل، وضع سن القلم على الورقة وكتب الحلقة الأولى... "جثة في غرفة النوم".

الفصل السادس
أوراق متناثرة

الخوف يعصرني، خوفي عليه لا على نفسي، إنه إحساسي الداخلي الآن، رغم ابتعاده عني لأيام كثيرة إلا أني مازلت أراه في كل أركان الشقة. ليس حباً فيه فقط. فهو جزء مني، فلذة كبدي، هو لا يتفهم هذا، ولا يشعر بي ولا يشعر بخوفي عليه. فمنذ أن تركنا سلمان وغادر إلى مقصده وأنا وهو نعيش سوياً بمفردنا، هجرت كل الأقارب والأحباء حتى لا يشاركه أحد فيّ. في كل يوم تتغير ملامحه أمامي حتى أصبح اليوم رجلاً. والآن وبعد كل ما فعلته من أجله تركني وحدي وذهب إلى ما يحبه هو. ذهب إلى عالمه دون خوف من المجهول. ودون أن يستمع إلى نصائحي وتوجهاتي، خرج إلى العالم الذي لا يتحمله أحد، خرج إلى ما هو دميم، عالم لا يرحم، عالم كله أخطاء، عالم خلع ثياب العفة والطهارة ليرتدي ثياباً نجساً، يا طفلي أرجوك لا تقترب من هذا العالم النجس.. فتلك هي المشكلة، أن تصيبك لعناته.. هؤلاء البشر بالخارج هم نتاج للقاء حميم، فهم أبناء سفاح، أما أنت فولد طيب طاهر القلب.. كيف أضمن أنك لن تتعرض إلى أذى تلك العاهرة التي بالخارج؟ كان في كل مرة أتحدث معه وأوجّه له نصائحي يوبخني بعنف شديد، ويذكرني أنه قد تجاوز الخامسة والعشرين.. حتى وإن أصبح رجلاً سيظل في نظري طفلي المدلل.. ماذا تفعل الآن يا صغيري؟ كيف تقضي يومك؟ مع من تأكل؟ مع من تعيش الآن؟ هل دقّ قلبك لأحد؟ أم مازال يدق بحب أمك فقط؟! تركني لشهور، هل أصبح قلبه قاسياً على أمه؟ في كل مرة كنت أحاول أن أطمئن عليه كان

يصدني ويرفض كل أساليبي حتى اضطررت أن ألجأ إلى سلمان كي يساعدني، ولكن كان كما لو لم يكن له ابن، قال لي بكل برود: "أتركيه يفعل ما يشاء فهو الآن ليس صغيرك كمان تعتقدين.. هو الآن رجل".. كيف لي أن أتركه يفعل ما يشاء؟!! أنت لا تعلم أيها الأحمق الضعيف كيف تعبت حتى أصبح شاباً جميلاً!! تعالَ إلى أمك يا صغيري، فمازال العالم من حولك رديئاً غير نقي، أنت لا تستحق أن تعيش به.. أنت تستحق عالماً أفضل.. فتحت درج مكتبها، ووضعت الورقة التانية بعد المائة، تكتب لكي تتحدث مع نفسها، لا تثق بأحد غير نفسها، لا أحد غيرها.. عايدة.

عندما تريد أن تتذكر الماضي تسجّله ليصبح مستقبلاً في حكايات تُحكى، ترى أنها صنعت المعجزات في زمن لا يؤمن إلا بالمال والسلطة، زمن تكاثر فيه العفن، وأصبح أسلوب حياة، تطورت حياتها العملية بسرعة كبيرة، وأيضاً تطورت حياتها الخاصة، فبعد أن تركها سلمان ورحل إلى الكويت في رحلة للبحث عن ذاته، احتضنت طفلها ذا الأربعة والعشرين شهراً، وقررت أنها ستصبح كما تريد، تدرّجت في السلم الوظيفي داخل عملها حتى أصبحت المدير المسؤول عن قسم المشروعات داخل الوزارة.. ابتاعت شقة جديدة بمدينة نصر أثناء سفر سلمان، انتقلت هي ومالك إليها، بدأت حياة جديدة مع طفلها، التحق مالك بمدرسة أخرى قريبه من السكن الجديد، لم يعرف سلمان بذلك؛ إذ فوجئ وهو عائد إلى مصر أن عايدة انتقلت إلى مكان آخر، لم يُبالِ بشيء وكأنه يتوقع منها أن تفعل أكثر من ذلك، فهو يعلم أن المسافة أصبحت كبيرة بينهما.

***

عالم آخر داخل تلك المؤسسة، التي أصبحت ذات صيت واسع في مجال العقارات وبيع وشراء الأراضي.. في المدخل الرئيسي للمبنى الإداري كتب على حائط من الرخام الأسود أمام البوابة الرئيسية (شركة تقسيم للعقارات وتجارة الأراضي)، كتبت بالخط العربي البارز المصنوعة من الحديد الملون بالذهب.. في الجهة اليسرى يوجد مكتب الاستقبال يقبع داخله شاب وفتاة في العشرينات، وفي الجهة المقابلة لمكتب الاستقبال يوجد مكان لانتظار الزائرين، المبني الإداري مكون من ستة طوابق، كل إدارة مخصص لها طابق، في الطابق السادس وعلى مساحة كبيرة قسمت المساحة إلى غرفة كبيرة للاجتماعات وغرفتين كبيرتين، معلق على باب كل منهما اسم مالكي الموسسة عزت الشامي وسلمان محمود.

عزت في منتصف العقد الخامس من عمره، أنيق الهندام، يرتدي حلة سوداء، يحمل الغليون الذي لا يفارق فاه، أبيض الشعر كلون الثلج الناعم، أبيض البشرة، لا يبتسم إلا قليلاً، ينظر إلى من أمامه فيشعر برهبة من نظراته، يثق في نفسه جداً ويحبها أيضاً، لا يجادل مع من يختلف معه الرأي فهو يعرف أنه على صواب دائماً.

أما الشريك الآخر.. سلمان فكان يختلف عن عزت؛ فهو الرجل الذي يحبه الموظفون، قريب منهم، يستمع إليهم، يرتدي القميص ذا الأكمام الطويلة وبنطلون الجينز، في منتصف الخمسين، طيب القلب، تعرّف إلى عزت بعد أن عاد من الكويت إبان حرب الخليج، كان عزت يعمل في بيع الأراضي، وكان سلمان أيضاً قد بدأ تلك المهنة، ذاع صيت سلمان في سوق الأراضي بعد ما استطاع أن يبتاع أراضي كثيرة في مدينة السادس من أكتوبر، وقسمها ليربح

الكثير، تعرف إلى عزت وتصادقا حتى قررا أن يعملا سوياً في تجارة الأراضي والعقارات، عزت يحمل خبرة كبيرة في المقاولات، فقرر أن يضم تلك الخبرة في شركتهما، بحيث يكون سلمان مسؤولاً عن بيع وشراء الأراضي، ويكون عزت مسؤول عن البناء والمقاولات.

دلف سلمان إلى غرفة عزت، وهو غاضب قائلاً:

-إزاي توافق على كدا؟

كان عزت في تلك اللحظة يشعل غليونه الذي انطفأ، نظر إلى سلمان:

- أقعد بس الأول وبطل عصبية.

- أقعد إيه وعصبية إيه؟! أنت ازاي توافق على النسبة دي؟

-لو ماكنتش عملت كدا.. ماكناش أخدنا المقاولة دي.

جلس سلمان وأسند ذراعه على المكتب:

- لا فهّمني!!

- المنافسين اللي كانوا داخلين معانا في نفس المقاولة.. كانوا ضاربين نسب ربح تخلي العميل يوافق على عرض الأسعار بتاعتهم.

رجع سلمان بظهره إلى الكرسي وبدا هادئاً قليلاً:

- وانت عرفت الكلام دا منين؟

-عرفت وخلاص.. ليا عيون وودان في كل حتة.

- عيون إيه؟ إنت هتعملهم عليّ؟

اتكأ عزت بمرفقه الأيسر على المكتب، واضعاً خده على كفه ونظر إلى سلمان:

- بعد السنين دي كلها واحنا شغالين مع بعض.. تفتكر هخدعك في يوم؟ طب كنت قلت الكلام دا في الشغل اللي كان مع الحكومة من ٧ سنين.. على الأقل كان شغل دسم ومليان فلوس.. ولا إيه؟

ظهر على سلمان ملامح الإحراج:

- ماقصدش يا عزت.. بس عيون إيه اللي انت بتقول عليها؟ وكمان عرض الأسعار بيتقدم في مظاريف مقفولة بتعرفها ازاي؟ إنت مشغل ناس لحسابنا في الشركات المنافسة؟

ضحك عزت بصوت عال:

- وحياتك يا صديقي.. الورق قبل ما بيدخل في المظاريف ببقى عارف إيه اللي جواه.

- يعني انت بتتجسس على المنافسين؟

عاد عزت بظهره إلى المقعد الوثير، وأخذ يقلب في هاتفه المحمول:

- مش بالظبط كدا.. بس كل شيخ وله طريقة.

اتجه سلمان إلى باب الغرفة ثم استدار كما لو أنه تذكر شيئاً:

- ماتزعلش مني.. أنت عارف أنا قد إيه قلقان على الشغل.

وهو مازال يحملق في هاتفه:

- عارف ومش زعلان.

ثم تحدث إلى الهاتف:

- ايوا ياهند.. خلاص.. الساعة ٣ هكون هناك.

انصرف سلمان إلى مكتبه، وأخذ يقلب في بعض الأوراق، وكأن شيئاً لم يكن!

***

دلفت هند إلى النادي قبل الميعاد بخمس دقائق، كما اتفقت مع زوجها عزت، جلست إلى الطاولة، تلتفّ من حولها الأزهار الناضرة وأشجار الياسمين، طلبت من النادل فنجاناً من القهوة، أخرجت من حقيبتها كتاباً وبدأت تقرأ سطوره، تعلم أنه غير ملتزم في شيء فكيف يلتزم في موعد معها؟ بين الحين والآخر كانت تعلق نظرها إلى البوابة، ثم تعود مرة أخرى إلى القراءة وهي تداعب خصلات شعرها المتدلي على كتفها فتظهر بعض الخصلات البيضاء التي بدأت في اقتحام اللون الأسود، نظرت إلى ساعتها، تجاوزت الثالثة والنصف بدقائق، هاتفت عزت:

- هستناك كتير ولا إيه؟

- الطريق زحمة.. مافهاش حاجة لما تستني.. مش سايبك في الشارع.

- طب خلّص وخليك خفيف في السواقة.. بلاش سواقة ولاد الهوات.

- نفسي تنسي مرة إنك من شارع السد!

تضحك في سخرية:

- اللي زيك هما اللي بيفكروني.

بعد المكالمة بعشر دقائق كان عزت جالساً أمام هند بالنادي، وطلب عصيراً. أشعل غليونه وحدجها قائلاً:

- ولازمتها إيه بقى نيجي هنا؟

- برتاح هنا.. أحسن بكتير.

- وما له البيت؟؟ بيخنقك في إيه؟

- مش عارف ليه؟! بيفكرني بنجاستك.

- احترمي نفسك يا هند، وقولي عايزة إيه؟

- حقي في أخر صفقه رسيت عليك يا قمر.

- كل حقوقك يا هند وصلتلك.. وأنا مش مقصر معاكي.

ضحكت بصوت أسمع من حولها:

- مش مقصر؟؟ طب متخليني ساكتة وبلاش فضايح.. يا راجل دا انت من كتر التقصير مابقتش أحس بيك.

وأكلمت ضحكتها...

احمرّت وجنتاه من صراحة زوجته. باغتها بسؤال لتغير دفة الحوار:

- عارفة إيه اللي مصبرني عليكي؟

غمزت بعينها اليسري:

- عرّفني.

- إن مصلحتي معاكي.. غير كدا ولا تلزميني في شيء.

- أنا صابرة عليك بقى عشان أنا عارفة كويس أحطك بين أسناني.. وبعرف إمتى أشد عليك وإمتى أسيبك براحتي.

- لو أطول أدفنك في البحر.. أعلمها ومش هتردد.

قام متجهاً إلى الخارج.. صاحت بصوت عال:

- والفلوس يا قمر؟

لم يعقب، أدبر وانصرف، وهي تعلم أن الشيك سيصل إليها في غرفة نومها، وقبل أن تغلق جفنها.

***

خيَم طائر الحزن عليها، تَملَّك من كل شيء فيها، لم تعد تشعر أنها ترغب في الحياة مرة أخرى، منذ أن ذهبت من كانت لها كل شيء وسط حياة كانت مليئة بالوحدة من جانب الأهل، حتى الحب الذي اخترق جدار قلبها لم يقدم لها جديداً، لم يحدد هل يبادلها نفس الشعور أم لا، لم يكن صريحاً؛ فهو يقترب مثل موج البحر، فما أن تقترب لكي تعانقه حتى يعود إلى موضعه مرة أخرى.

أصبحت لا تأكل، ذبلت كوردة حمراء تُركت وقتاً طويلاً ممددة على شاهد قبر، تلك الفتاة الصهباء الجميلة ذات الملامح الهادئة، تتمتع بالذكاء وحب الآخرين، وجهها الذي كان مشرقاً يتميز بنمش يتناثر على وجنتيها.

منذ أن رحلت نسرين وهي لا تستوعب ذلك، فعلاقتهما كانت الأقرب إلى الأم وابنتها، مازالت دموع يارا لا تنضب، فمنذ أربعة أشهر كانت تتحدث معها، تضحكان، تخرجان، تشاركها في كل شيء، والآن ذهبت، سقطت مغشية عليها عندما علمت بالخبر، نُقِلت إلى المستشفى في حالة صدمة عصبية فقدت من خلالها القدرة على الكلام، ظلت ثلاثة أيام لا تأكل، فكان عوضاً لذلك المحاليل الطبية.

رويداً رويداً بدأت تستعيد قدرتها على الكلام، بعد عدة جلسات مع المعالج النفسي، وبعد شهرين من الحادث عادت إلى المنزل واستعادت جزءاً من صحتها، فالموت هو الحزن الذي يولد كبيراً ثم يصبح أصغر مما كان، ذات يوم تلقت مكالمة من ماهي ابنة نسرين، وعلمت أنها ستسافر مع والدها إلى ألمانيا، وسوف تستقر هناك، زاد الحزن بداخلها، ولكنها أيقنت أنها لن

تستطيع أن تفعل شيئاً. ودّعتها بحرارة وبكيتا. طلبت منها أن تتواصلا وإن عادت في يوم إلى مصر لابد أن تتصل بها وتتقابلا.

عادت إلى العمل. كانت تنظر إلى عيون من حولها وهي تقول لهم إنكم بالتأكيد قد نسيتم ما حدث. عاد كل شيء كما كان. الكل يعمل ويضحك. لم تحتمل أن ترى أحداً يجلس إلى مكتب نسرين. تقدّمت باستقالتها. لم تحتمل تلك الجدران التي تحمل معها الكثير من الحزن.

***

الفصل السابع
خيط جديد

الساعة العاشرة صباحاً..

الهاتف لا يصمت.. يُحدث جلبة في الغرفة، مازالت المكالمات تنهال وهو لا يبالي بأحد، كل ما فعله عندما استيقظ مع أول مكالمة أن دخل إلى الحمام واغتسل، حلق ذقنه، وخرج إلى غرفته، أعدّ كوب شاي بأوراق النعناع الطبيعي، وجلس إلى كرسي في إحدى زوايا الغرفة وجهه إلى الحائط، أمسك بمتسلسلة الأفكار، وبدأ يكتب، جعل الكلمات تنساب من بين أنامله كما لو كان رساماً يرسم بالكلمات قيمة فنية كأنه فان جوخ، هو يرى في نفسه هذا، يثق في قدراته الإبداعية والفكرية، ترك نفسه لخياله الجامح.. كان الهاتف لا يصمت، كل ما كان يفعله مع نغمات هاتفه المحمول هو أن يقف عن الكتابة، يجلس كأن على رأسه الطير، في ثبات محكم، صنم رابض في مكانه متسجم مع ما هو جامد حوله، ما أن ينتهي الهاتف من رناته، حتى يبدأ في الكتابة مرة أخرى.

كان يعلم أن المقال الذي كتبه بعنوان "جثة في غرفة النوم" سيُحدث صدى كبيراً.. تجاوز به الزمن ساعتين، لم يشعر بما يحدث حوله، كانت شبه طقوس يفعلها عندما يشعر بمحاصرة الآخرين له، انتهى من كتابة ما يدور في فكره، ولكن أفكاره لا تنتهي، ذهب إلى موضع هاتفه والتقطه، كانت الشاشة تحمل اثنتين وعشرين مكالمة فائتة، لم يستعرض المكالمات وبدأ في عرض الرسائل إلى أن رن الهاتف مرة أخرى فجأة، فارتعش جسده وضغط

على الزر الأخضر دون قصد، لم يرَ الاسم أو الرقم، ولكن بالصوت استطاع أن يميز من هو صاحب الصوت..

- هاني؟

قالها بتساؤل، كان ينوي هاني في تلك المكالمة أن يحتفل بنجاح موضوعهما الصحفي الذي بدأ يُحدث صداه، اتفق مع مالك على أن يلتقيا أمام بوابة حديقة الحيوان من شارع مراد.

بعد ساعة ونصف من المكالمة تقابلا أمام البوابة، عبرا الطريق إلى الجهة الأخرى ودلفا إلى الشارع المقابل للبوابة، صعدا إلى العمارة العملاقة من الجهة الجانبية لها، تساءل مالك في تعجب:

- رايحين فين كدا؟

- هنحتفل.

- فين؟

- اتقل بس عشان تاخد حاجة حلوة.

حملهما المصعد إلى الدور الثاني عشر، علّق مالك نظره على اللافتة المضاءة وهي تعلن عن هوية المكان (بلو ديسكو)، نظر إلى هاني متعجباً:

- إنت عارف إني مش بحب الزحمة ولا بحب الدوشة.

- يا عم انت هتقفلني ليه؟ هنهيّص شوية ونمشي.

الإضاءة خافتة تميل إلى الزرقة، البار يتوسط الديسكو، ويظهر من المدخل، يربض وراءه شاب في منتصف العشرينات يرتدي تي شيرت أبيض وبنطلون أسود وقبعة، حمراء مرسوم في وسطها شعار الديسكو، على اليمين واليسار تنتشر الطاولات، في أقصي اليسار يوجد مشغّل الأسطوانات، أمام البار في

المنتصف يوجد مساحة كبيرة ترتفع سنتيمترات قليلة لتجمع من يريد الرقص.

جلس هاني إلى البار، ودعا مالك الذي ظل واقفاً بالقرب من المدخل، تراجع مالك خطوتين إلى الخلف وهو يفكر في العودة من حيث أتى، نظر هاني مرة أخرى إلى مالك لعله يجده يقترب، كان الديسكو مزدحماً في ذلك الوقت، كانوا مجموعة من طلبة الجامعة يحتفلون بعيد ميلاد أحد الأصدقاء، الموسيقى مرتفعة جداً، تحجب صوت أي متكلم، مرة ثالثة يدعو هاني صديقه ملوحاً له بيده، تقدّم مالك بخطى ثقيلة، جلس بجوار هاني، كان هاني قد بدأ في شرب كأس من الخمر، طلب لمالك كأساً مماثلاً، تجاوز وجودهما في هذا المكان ما يقرب من ساعة، لم يعقب مالك على أي شيء، كان يتطلع إلى المكان بدقة كمصور يرغب في أن يلتقط لكل ركن في المكان صورة في ذاكرته، يريد أن يحتفظ بملامح الأشخاص الموجودين.. لماذا؟ هو الوحيد الذي يعلم ذلك.

بعد أن أعلن مسئول الديكسو عن راحة لطاقم العمل لمدة نصف ساعة هدأ فيها كل شيء عدا مجموعة الشباب الذين يحتفلون بعيد الميلاد، بدأ هاني في الحديث إلى مالك، وقد بدا عليه السكر بعد أن تجرع زجاجتين من الخمر، اعتدل في جلسته موجهاً جسده إلى مالك:

- عارف.. كل اللي هنا دول وشوش بلاستيك ولا ليها أي لازمة.. ناس عايشة تاكل في أتة محلولة.

نظر له مالك ولم يعقب، استمر هاني في الحديث وكأنه لم ينتظر أي رد من مالك:

- أهو الواد اللي هناك دا اللي لازق في البت صاحبة العيد ميلاد.. كاعع دم قلب أبوه عشان خاطر المزة بتاعته.. قابلتهم قبل كدا دول يا زميل؟ تلاقي دافع له فوق التلات تلاف جنيه عشان يفرّح السنيورة صاحبته.. مش عارف يصرف فلوس أبوه في إيه؟ مش زيي يا عم مالك بيطلع عين أهلي عشان ندفع قسط التلاجة الجديدة!!

بدا لمالك أن هاني قد فقد بعضاً من رشده إثر الشرب، وتابع هاني قائلاً:

- حتى انت يا مالك.. أبوك وامك مش عارفين يودّوا فلوسهم فين.

حدجه مالك متسائلاً:

- وانت تعرفهم منين؟

ضحك:

- وانت تفتكر مصطفى بيخبي حاجة؟

- هو انت جايبني هنا عشان تحاسبني على فلوس أبويا وأمي؟

قام هاني من مكانه مترنحاً، ووضع قبلة على رأس مالك في محاولة للاعتذار:

- يا بيه انت دلوقت هنا الكبير.. أؤمرنا واحنا ننفذ.

- طب يلا نمشي.

قالها وهو متجه ناحية الخارج.

أمسكه هاني من معصمه:

- استني يا نجم.. اتقل شوية.. عارف؟ أنا حاولت كتير معاها عشان اكلمها في موضوع ارتباط.. آه.. كنت عايزها تحبني زي ما حبيتها.. بس هي عاشت الدور عليا وعلملتي فيها بنت الباشا وانا ابن الجنايني.. نفضت لي (ثم نظر له بشدة) طب مانا كمان بنفض لحريم كتير.. مش مصدقني؟ طب عارف هناء؟

(ضحك وهو يربت على كتف مالك) معلش يا كبير بقى.. أكيد عارفها هو دا سؤال؟! أهي هناء دي كانت بتلاغيني أول لما اشتغلت في الجرنال.. وكذا مرة كانت عايزاني أنام معاها.. متستغربش يا صاحبي هي بتاعه الكلام دا ونص.. بس أنا ماليش في القطعية دي.. نفضت لها وش.. لما انت شرفت الجرنال لزقتلك عشان تغيظني.. بس أنا ولا اتهزيت.. وكمان بنت الكلب دينها غير ديني، طب على الأقل توفّر طاقتها لحد من دينها! (ضحك مع صوت عال من أنفه).

لم يعقب مالك على كل ما قيل، واستمر في الاستماع، أردف هاني:

- مالك؟ هو أنا فيّ حاجة وحشة؟! شكلي وحش يعني؟؟

ثم تابع وهو يميل رأسه قبالة وجه مالك حتى كاد أن يلتصق بأنفه متابعاً:

- هو أنا دميم؟

ابتعد مالك بوجهه محاولاً ألا يلفت انتباه هاني إلى ذلك:

- وليه السؤال دا؟

- أصل كل واحدة تعجبني أحاول اكلمها وأقرب منها تنفض لي.. ولاد الوسخة فاكرني بريل عليهم.. مايعرفوش أنا مين.

ثم تابع مبتسماً بسخرية:

- ها كون مين يعني؟؟ ولا ابن مين؟ وكمان أنا زعلان من سارة إنها ماعبرتنيش ليه؟ ما هو أنا بالنسبة لها ولا حاجة.. أيوا يا مالك أنا ولا حاجة.. شوية اللبس اللي بلبسه دا عشان الشغل.. أكل عيش يعني.

نهض مالك مرة أخرى:

- يا هاني يلا بينا من هنا أنا لا طايق الدوشة ولا الزحمة دي.. مش عايز اتعصب.

جذبه هاني مرة أخرى من معصمه:

- ياعم خلينا هنا.. هنا كل واحد بيقلع عريان ملط وبيبان على حقيقته.. ما أنت شفت من شوية المزز اللي هنا كانوا بيعملوا إيه.. كله هنا بيتعرف على أصله.. وبيبان هو عايز يعمل إيه مع الحتة اللي معاه.. ابقى اعمل لنا تحقيق صحفي عن الناس اللي هنا.

- أنا همشي.

- خلاص.. خلاص بلاش عصبية.. يا هيثم الحساب كام؟

دلفا إلى المصعد، وتفرق كل منهما إلى دربه.

***

مكتب عايدة في الوزارة..

تقف عايدة في شموخ، تعرض بعض المعلومات المتراصة على الرسم البياني المعروض على الشاشة الكبيرة بجهاز (البروجكتور)، كانت ترأس اجتماعاً مع رؤساء إدارة سنترالات مصر، تعرض عليهم نتائج المرحلة السابقة على مدار ستة أشهر وتعرض مدى رضاء العملاء عن خدمات الشركة.. وتسأل هل وصل العميل إلى الهدف المنشود لديهم أم لا؟

دخلت في نقاش مع بعض المهندسين الرابضين أمامها، المسئولين عن أحد المشاريع التي يعمل معهم بها بعض الشركات الخاصة في تطوير وتحسين أداء الخدمة، وفي صيانة محطات الشبكات الأرضية التي تحتاج إلى صيانة.

بعد ساعة انضم إلى الاجتماع بعض مسئولي الشركات الخاصة التي تشترك مع الوزارة في مشاريع مازال العمل جارياً بها، وأيضاً بعض المسئولين الذين ينوون الدخول مع الوزراة في مشروعات جديدة. انصرف بعض المهندسين وظل آخرون يناقشون رسومات وأوراق المشاريع الجديدة. تقدم رجل في النصف الثاني من الأربعينات ذو ذقن حليق يرتدي حلة سوداء، يعتني جيداً بأناقته، جلس حول الطاولة وخلفه ثلاثة من مساعديه يحملون ملفات وبعض الأوراق والرسومات الهندسية. ألقى السلام على الجميع ثم ألقى السلام على عايدة في طريقة بدا للجميع أنهما على معرفة سابقة. بالفعل لم يخطئ ظن من ظنوا ذلك، فعايدة و"حسني محفوظ" على معرفة قديمة منذ أن كان "حسني" ضمن فريق العمل الذي يعمل معها في فترة من فترات حياته المهنية قبل أن يترك العمل في الحكومة وينتقل للعمل في إحدى الشركات الأجنبية التي تعمل في المجال التكنولوجي. استطاع بذكائه أن يتقلد منصباً كبيراً في تلك الشركة بعد فترة من العمل ليست كبيرة. أصبح نائب المدير الأجنبي والرجل الأقوى داخل الشركة. يتعامل مع عايدة دائماً على أنهما صديقان، وكأنها لم تكن يوماً مديرته. هو يعرف قيمة نفسه جيداً لذلك ترك العمل الحكومي ووصل إلى ما يريد، ولكن دائماً ينتظر أن يصل إلى مراده الأكبر.. إلى عايدة.

جلس وقد ارتسمت على وجهه ملامح الثقة عند عرض أوراق المشروع الجديد والروسومات الهندسية. استمر مندوبو الشركات الأخرى في عرض الرسومات الخاصة وأوراق المشروع كمناقشات مبدئية قبل بدء عرض المظاريف الخاصة للجانب المادي والأسعار للمشروع.

انتهى الاجتماع بعد ساعتين، وقد بدا على عايدة الإرهاق، طلبت فنجاناً من القهوة. ترك الجميع المكتب، وعاد حسني محفوظ مرة أخرى إلى مكتب عايدة. جلس أمامها وأشعل سيجارته ونفث دخانها في الهواء. نظرت له في تعجّب قائلة:

- انت مش عارف إني بتخنق من ريحة السجاير؟

- نفسي أعرف إنت بتعملي إيه عشان تفضلي جميلة كدا؟

ابتسمت له، واتجهت بنظرها إلى الأوراق التي أمامها..

- أعتبر دا كسوف؟

- ممكن تقولي رجعت ليه؟

- عشان أشوفك.

- حسني.. دا وقت شغل وانا من زمان متحفظة على طريقتك دي معايا.. وأعتقد إنه مالهوش أي لازمة إنك تفضل بالأسلوب دا.

- صدقيني غصب عني.. مش بقدر أمنع نفسي.

- مهو انت لو كنت اتجوزت كان زمانك محترم.

ضحك بصوت عالٍ:

- يا ما احلى عيشة الحرية.

-طب نخش في الموضوع؟

- ماشي.. اللي تأمريني بيه.. المشروع الجديد لو رسي عليا هتبقى نقلة كبيرة للشركة اللي أنا فيها.. كل مرة كنت بفوز بمشاريعكم من غير أي حاجة.. لكن المرة دي عرفت إن في شركة يابانية داخلة بتقلها في السوق ولو انتي......

قاطعته عايدة في حدة:

- والمطلوب؟

قال في ابتسامة مصطنعة:

- أكيد فاهماني.. وحقك محفوظ.

حدجته وقالت له في حنق:

- امشي اطلع بره.

قال في تعجب:

- ليه يا عايدة؟

- بص يا حسني.. أنا صبرت على رخامتك دي كتير، وكنت كل مرة بقول أهو كان في يوم من الأيام شغال تحت إيدي، وفي بينا عشم، لكن المرة دي الموضوع زاد عن حده قوي.. وكمان ياريت تخف رجلك من هنا.. عشان انت ما شاء الله سمعتك مع المومسات بتوعك سابقاك.

غمز لها بعينه وهو يبتسم:

- طب بيقولوا عليا إيه؟؟ جامد؟

- امشي بره.

- على فكرة أنا مش هسيبك.. هفضل وراكي زي زمان.. مش هسيبك إلا لما أدوق منك حته.. اللي زيك لازم تعيش أميرة.. لكن حظك بقى ماجاش غير مع واحد مش بيقدّر غير التراب اللي بيبيعه.

- حسني.. احفظ أدبك واتفضل بره.

قام متجهاً إلى الباب:

- من عينيا.. همشي حاضر.. بس صدقيني أنا رايح أحضّر الطبق اللي هاكلك فيه.

ترك مكتبها وانصرف، وضعت رأسها بين راحتيها، كانت تفكر، لا تريد أن تضعف، لا تريد أن تصبح لقمة سائغة بين فكّ هذا الجائع الذي لا يشبع من التهام لحم النساء، تلك هي هوايته المفضلة سواء أن كانوا مومسات أو من سيدات على علاقة بهن من قبل، حاولت أن تضع حداً لكل أفعاله، كانت تخشى أن يعرف سلمان أمره فتضع نفسها في موضوع ضعف أمامه وهي الأقوى دائماً، كانت تخاف على صورتها أمام ابنها مالك، ورغبتها أن تظل دون اهتزاز، حاولت أن تتجنبه داخل دائرة العمل، كان ذكياً ويتعامل بطريقة جذابة، لم تستطيع أن تفعل معه شئياً داخل العمل رغم أنها كانت مديرته، كانت علاقته قوية بجميع الرؤساء، وعايدة كانت تستحسن كلماته بعض الشيء كأي أنثى قد تتأثر بأعجاب أحد الأشخاص بها، ولكن كانت تتعامل معه بشدة وحزم، حتى بعد أن ترك العمل معها تقابلا داخل سوق العمل المشترك بينهما، فبالأمس كان يحاول، أما اليوم أصبح كالحيوان المفترس الذي لا يكل ولا يمل من صيد فريسته.. ولكن.. لو علم الصياد أنه ذات يوم سيكون فريسة من نوع آخر عندئذ ماذا سيفعل؟

***

كانت قِبلة مالك بعد أن ترك صديقه هاني هي مكتب أحمد خيري، يأمل في أن يجده هناك، كانت الساعة قد تجاوزت الثالثة والنصف بقليل، استقل تاكسي متجهاً إلى نيابة قصر النيل، يداه ترتعشان وقدماه لا تتوقفان عن الاهتزاز، لاحظ السائق ذلك، حاول أن يتحدث معه في محاولة أن يقلل توتره، ولكن السائق فشل في مراده؛ لأن مالك لم يستجِب إلى محاولته.

دلف مالك إلى البناية وصعد إلى مكتب صديقه، علم أنه في دورة المياه، انتظره، ما هي إلا دقائق حتى كانا يتصافحان، جلس مالك، وبادره أحمد قائلاً:

- مبروك يا صاحبي.. المقال عامل شغل حلو قووي هنا الناس كلها بتتكلم عنه.

هذا ما أراده مالك، توجه إلى صديقه ليعرف مدى نجاحه هو ومقاله عند القضاء أو بالأحرى كان يشعر أنه لابد أن يرى النجاح في أعين الجميع.. نعم الجميع بما تحمله الكلمة.

ابتسم مالك:

- خير يعني؟

- طبعاً يا صاحبي.. المقال لفت نظر ناس كتير من أصدقائي هنا.

- كله بمساعدتك.

- لا ماتقولش كدا.. إنت فعلا موهوب.

- كمان يومين هتلاقي المقال التاني.. لازم يا خيري نلاقي الجاني..

- خد بالك.. لازم تشتغل مع المباحث هما هيساعدوك.. إنما أنا وانت مش كفاية.

قطب جبينه متعجباً:

- إشمعنى؟

- عشان دي الدايرة الصح اللي المفروض تمشي فيها القضية.. المباحث بتساعدنا.. هي اللي أقرب.. هي اللي على أرض الواقع.

- وهيكون التعامل معاهم ازاي؟

- ماتقلقش.. هديك رقم الظابط اللي ماسك القضية في قسم قصر النيل.. إنسان محترم وهيساعدك بجد.. اسمه "آدم عواد".. هكلمه وهحكيله عنك.. وكمان برضه فرصة ليه لما تنزّل اسمه في الجرنال.

- إن شاء الله.

- كويس.. خد رقمه بقى.

كانت محطة جديدة لم يتوقع أن يدخل فيها، ولكن.. إذا كانت تلك المحطة ستساعده في تحقيق حلمه، فلا يوجد أي مانع في أن يستقلّها.

سأل نفسه كيف سيتعامل مع ظابط المباحث؟ وكيف سيحصل على المعلومات التي يريدها؟ ولكنه تأكد أنه لا يوجد عقبة سيتركها توقف حلمه.

كانت الأفكار تحاصره كوحش يحاصر فريسة ضعيفة، ولكنه لم يجد سبيلاً للفرار من التفكير، قرر أن يعود إلى شقته ليعيد ترتيب أوراق القضية مرة أخرى لكي تلائم هذا الظرف الجديد.

رنّ هاتفه المحمول، قطع حبال التفكير المنهمرة عليه، كان الرقم غير معروف، توقع أن يكون ظابط المباحث، رد في ثبات:

- ألو.. أيوا أنا مالك مين معايا؟

- أنا سعيد.. سعيد وهدان اللي قابلتك في عين شمس.

- إزيك يا سعيد؟

- أنا كويس.. لازم اشوفك.

- يبقي عندك جديد.

- قابلني في المكان اللي هوصفهولك.

***

الفصل الثامن
الأول

لم تعد الأمور مثلما كانت، حتى الذي دقّ قلبي بحبه لم يعد جواري، أصبحت أبحث في صحراء جرداء عن قريب لي، عن شخص يقترب من وجداني فيجدني في كل عالمه وأجده الكون كله، أحتضنه مثلما يحتضن البحرُ السفنَ والمراكبَ، أجعله جزءاً من حياتي.. حياتي؟!!، أين هي الآن؟ كل شيء اختلف بعد رحيل الصديقة التي كانت بالنسبة لي كالصندوق الذي أحمل بداخله كل ما هو ثمين، كانت كالمرآة أتعرى أمامها فلا أخجل من شيء، قُتلت غدراً، قُتلت لأنها رفضت أن تسير مع التيار، أعداؤها كثيرون ولكن لا دليل لديّ على أحد منهم.

الموت...

لم أكن اعرف معنى له من قبل، حتى من ماتوا في عائلتي الكبيرة لم أحزن على فراقهم مثلما حزنت على فراقك يا نسرين، أكثر من أربعة أشهر مرت كالقطار الذي صدأ حديده، متهالك لا نشعر بوجوده، الأيام تشابه بعضها، لا معنى لطعام ولا لشراب، الوجوه التي أمامي كاذبة، حتى أمي تكذب، وإخوتي لا يبالي أحد بشيء يرون أن ما حدث مجرد حادثة لا أكثر.

تدفقت دموعها على خديها متخذة طريقها إلى الفم، تذوّقت الدمع المالح.. المر..

الآن فقط عرفت معنى مذاق الفراق...

الدموع بحر لا ينضب.. والموت طائر يعشش داخل بيوتنا وبين أحبابنا يرانا ولا نراه، يشعر بنا ولا نشعر به.

وسط كل هذا الحزن، شخص واحد هو القادر على أن يعيد لي الحياة مرة أخرى، شخص أريده الآن جواري، لن أستطيع عليه صبراً، سأقف بين يده أنظر إلى عينه، وأرتمي في حضنه كي أذوب كقطعة ثلج لمست شعاع الشمس، لم يتبقَ لي في هذا العالم سواه، وأنا سأصير له العالم كله، أعترف أنني أضعف عندما أتذكره، ماذا سأفعل إذا أصبحت معه للأبد، لن يفرقنا شيء؛ فحبه كالحبل الذي يربطنا ببعض فإذا تفرقنا عدنا مرة أخرى لبعضنا البعض.

بالفعل لم تنتظر، أمسكت بهاتفها واتصلت به، لم يجِبها في أول مرة، حاولت مرة أخرى، جاء صوته على الجانب الآخر يحمل لها إكسير الحياة:

- ألو.. إزيك يا يارا؟

- مالك.. أنا محتاجالك قوي.. ممكن أشوفك؟

***

حي الزمالك.. ظهراً

على ضفاف النهر، يربض رجل أربعيني يبيع الشاي أسفل كوبري ٢٦ يوليو أمام الفندق العتيق، كان أثير صوت المذياع يرسل للجالسين الذين يستمتعون بكوب الشاي الساخن وسحر النيل أجمل أغاني زمن الفن الراحل.. كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة ظهرا.. وصل سعيد إلى المكان الذي اتفق مع مالك على أن يلتقيا فيه، جلس ينتظره، شرد قليلاً في أمواج النهر التي تتحرك مع مرور المراكب، نظر إلى ساعته ثم أعاد ببصره مره أخرى

إلى النيل. سأل نفسه هل يوجد ما يستحق أن يفعل ذلك؟ لابد أنها مسألة ضمير ليس أكثر.. جلس مالك بجواره فجأة دون أي إشارة إلى أنه حضر:

- إزيك يا سعيد؟

انتبه سعيد إلى وجوده فرد عليه:

- الحمد لله.

بدا سعيد مرتبكاً بعض الشئ، وضع كوب الشاي المنتصف بجواره، اعتدل في جلسته وبدأ التحدث في حماسة. سأله مالك في هدوء الجراحين:

- تليفونك أكد لي إحساسي.

- مش عارف أبدأ ازاي؟

- قول من غير مقدمات.

بدأ سعيد يقص على مالك في حماس ممتزج بتوتر:

- مالك إنت مش عايز تعرف أنا مشيت من الشغل ليه؟

- يا ريت.. ويا ريت أكتر لو له علاقة بالقضية اللي بحقق فيها.

- أنا كنت شغال مع إبراهيم عطا الله في التيم بتاعه.. عرفت بالصدفة البحتة إن إبراهيم كان بيسجل مكالمات لعملاء.. وبعد كدا عرفت إن نسرين كانت معاه في الليلة دي.. ولما الموضوع اتعرف في الشركة لبّسوني القضية دي؛ لأن أنا كنت تاني واحد بعد إبراهيم في القسم بتاعنا.. إبراهيم ونسرين عرفوا يخلعوا كويس من الموضوع دا.. كل اللي عملوه معايا إنهم فصلوني بعد التحقيق، وماخدتش مستحقاتي كمان..

بدأ مالك في كتابة ما يقوله سعيد في متسلسلة الأفكار.. أردف سعيد قائلاً:

- قبل مامشي بيوم بدأت أتبع الأرقام اللي بتتسجل وأعرف الأرقام دي تخص مين بالظبط.

- ووصلت لحاجة؟

- اللي قدرت أوصلهم هما تلاتة من ضمن ١٦ رقم كانوا بيتسجلهم مكالمات

- وبعدين كمّل.. أصحاب الأرقام التلاتة دول وظايفهم إيه؟؟ أو أي معلومة عنهم؟

- اتنين منهم ماسكين منصب كبير في شركات مقاولات، ورقم منهم مدير شركة.

- اسمهم إيه؟

تردد سعيد في إكمال الحديث، لاحظ مالك ذلك، لم يعِد عليه السؤال وتركه يكمل ليعطيه الثقة كاملة.

- بعد اللي حصل لنسرين.. إبراهيم قدّم استقالته من الشغل واختفى، حصل دا بعد الحادثة بشهرين.

- عايز تقول إيه بكلامك دا؟

- اللي عرفته إن قبل الحادثة بيومين إبراهيم بلغ نسرين إنه مش هيكمل في موضوع تسجيل المكالمات.. لأن الموضوع بدأ يتعرف تاني في الإدارة.

- وانت عرفت منين وانت بره الشركة؟

- أشرف صاحبي اللي شغال مع إبراهيم في الإدارة هو اللي بلغّني.. هو متضايق جداً من اللي حصل معايا وبيحاول يساعدني.

- طيب لو أشرف عرف يجيب إثبات إنك بريء كدا هتقدر ترجع؟

- لا.. أشرف مش هيقدر دي أول حاجة.. تاني حاجة أنا مش عايز أرجع تاني خلاص.

- طب إيه اللي حصل بعد كدا لإبراهيم؟

- اختفى.. وساب شقته. بيقولوا بعد موت نسرين بدأ يتصرف تصرفات غريبة. ممكن تكون صدمة. لدرجة إنه في يوم ضرب موظف من اللي شغالين تحت إيده.

- ماتعرفش عنه أي معلومات؟

نظر له سعيد دون أن ينبس بكلمة.

قال له مالك وهو يمسك بمعصمه:

- يا عم متخافش.. ماتبقاش خواف زي زمان.. سيبتك أول مرة وماقولتليش أسامي الناس اللي بيتجسسوا عليهم.. مش هسيبك بقى المره دي.

- هقولك على اللي انت عايزه.

- بس مش ملاحظ حاجة يا سعيد؟

- إيه؟

- إن نسرين اتقتلت.. وإبراهيم مش عارفين مكانه.. وانت طرف بين الاتنين.. مش غريبة دي؟

ابتسم سعيد ونظر بشرود للنيل:

- يبقى أنا؟

***

جلس أحمد خيري في مكتبه يفكر هل ما فعله مع صديقه صحيح؟ هل إذا ذهب معه في نفس دربه سيحقق ما يريده من عدالة؟ هل سيحقق النجاح الذي ينتظره؟

كان في بداية الأمر نادماً على مساعدة صديقه وإعطائه ما يريد من معلومات. على الرغم من عدم اعتراض محمد جمعة، الوكيل الذي يحقق في القضية، إلا أن أحمد رأى أن تلك الأمور لا تُحل بأيدي الصحافة فقط.

أحمد يعلم أن تلك القضية ستكون صعبة في الوصول إلى الجاني: لعدم وجود أدلة كاملة، ولعدم وجود مشتبه بهم حقيقيين، مجرد افتراض، إلا أنه يرى أن حماس صديقه قد يصل بهم إلى شيء، إلى طريق قد يكون شعاع نور داخل تلك القضية المظلمة.

المعلومات الأولى التي استطاعت المباحث الحصول عليها هي أن القتيلة ليست على خلاف مع أحد من الجيران أو في محيط الأسرة أو حتى العمل، ولكن التحريات توصلت إلى أنه قبل الحادث بعدة أيام حدثت مشادة كلامية بينها وبين زميل لها يُدعى "إبراهيم عطا الله" يسكن في حي المهندسين، قد يرى البعض أن تلك المشادة ما هي إلا مشادة عابرة، إلا أن التحريات توصلت إلى التحقيقات التي أجريت داخل الشركة التي تخص واقعة التجسس على أرقام العملاء، وباطلاع النيابة على التحقيقات الإدارية التي أجريت من قبل الشؤون القانونية تعرفت النيابة على أن المتهم في تلك الواقعة موظف يُدعى سعيد وهدان، ولكن ما توصل إليه فريق البحث الجنائي أن المتهمين الحقيقيين لتلك الواقعة هما إبراهيم عطا الله موسى ونسرين وهبه، لم تستطع المباحث الحصول على الأسطوانات المدمجة حيث

قام المتهمان بتفريغها وإعدامها. كما لم تستطع الحصول على الأوراق التي أفرغت فيها المكالمات. فربما قد تكون هي الأخرى قد فُقدت أو أُعدمت.

كان هذا هو الخط الأول الذي سيسير عليه كل من مالك وظابط المباحث "آدام عواد": للوصول إلى القاتل الحقيقي، هكذا تتوحد الأهداف بينهما.

***

لم أدرِ لماذا يستمر في فعل ذلك.. بالأمس كانت كلماته قوية كأسهم صائد مسموم قاتل، يدرك تماماً ما يقوله ويعلم جيداً ما يريده. لن يستطيع أن ينال مني مراده. لست أنا مثل اللاتي يضعفن أمام اهتمامات الرجال. كرامتي وشرفي هما تاجي في تلك الحياة العفنة، في كل مرة نتقابل في عمل ما لا أراه إلا حيواناً سعران لا ناقة له ولا جمل. يفعل ما يريد مع النساء الضعيفات. أما أنا فلا. أنا غيرهن. لن يستطيع أن يفعل شيئاً معي، وإذا حاول ستكون نهايته حتمية وأقرب مما يتخيل.

تركت القلم واتجهت ببصرها إلى النافذة المطلة على حديقة كبيرة تقع بين ثلاث عمارات تسكن بإحداها.. مازالت عايدة تمارس طقوس كتابتها اليومية والتي تحافظ عليها منذ أن رحل والدها عن الحياة. أمسكت القلم مرة أخرى وكتبت:

عندما علم أن زوجي سافر إلى الكويت، أخذ يقترب مني أكثر في محاولة منه لسرقة حق ليس حقه. لا يعلم هذا المجنون أن ما يجعله مجنون النساء لا يعنيني شيئاً. فأنا عايدة.. لست مثل اللاتي تُواعدهن في أوقاتك القذرة.. ظل يعمل معي لمدة خمس سنوات حتى ترك العمل، واتجه للعمل في إحدى الشركات الخاصة الأجنبية. ذات مرة قابلته في أحد الاجتماعات التي تجمع

الوزارة بمسئولي الشركات الأخرى التي تدخل معنا في مشروعات كثيرة، حاول أن يتطرق معي إلى محادثة، لكني أوقفته متعللة بذهابي إلى مكتبي للضرورة، وفي يوم كنت بالمنزل بمفردي أنا ومالك، طرق باب الشقة، لم أدرِ من بالخارج، ما أن انفرج الباب قليلاً حتى دفع بنفسه إلى الداخل، دعوته إلى الجلوس مضطرة، نظراته كانت مخيفة، كانت حجته أنه أتى دون سابق ميعاد: لأنه لا يعرف رقم هاتفي، وأراد أن يعرض عليّ رسومات ولوحات المشروع الذي تنتوي شركته تقديمه للوزارة، أحضرت له عصيراً وجلست أستمع اليه، دخل مالك وجلس جواري طلبت منه أن يذهب إلى غرفته، بعد أن عرض الرسومات نظر لي واقترب مني وهو يتغزل بكلمات، شعرت أنه مريض في تلك اللحظة، دفعته أرضاً وضربته بكوب العصير على رأسه فسالت دماؤه، وفجأة وجدت مالك يقف وقد رأى ما حدث، كان في الثانية عشرة من عمره، لم يستطِع أن يفعل شيئاً غير أنه اتجه إلى غرفته وأغلقها على نفسه، خرج حسني من الشقة ودماؤه تسيل من رأسه، أسرعت إلى مالك وتوسلت إليه أن يفتح باب الغرفة، فتح الباب، توقعت أنه يبكي، ولكنني وجدته جالساً على مكتبه يكتب ويرسم رسومات لم أفهمها، احتضنته وبكيت، وعدني بعد أن طلبت منه الوعد ألا يقص تلك الواقعة على والده، وصدق مالك في وعده.

بعد تلك الواقعة لم أر حسني مرة أخرى إلا بعد عامين، كنت قد انتقلت إلى قسم المشروعات داخل الوزارة، كان يجلس مع مدير المشتريات يناقش بعض بنود عقد التوريدات، لم أبالِ، لمحني وأسرع خلفي، استقبلته بفتور بالغ، تركني ورحل، ولم يكمل ما كان يريد أن يكمله من حديث.

تركت عايدة القلم وأعادت قراءة ما كتبته، ثم دوّنت التاريخ أسفل الورقة الأخيرة.. كتابة يومياتها هو الطريق الذي يدخلها إلى دائرة الراحة النفسية، وضعت الأوراق داخل حافظة حمراء مع باقي أوراق يومياتها، ثم تركت القلم مرة أخرى مُسجّى على المكتب وخرجت من الغرفة.

***

عاد هاني إلى منزله، تجنّب كل الرابضين من شباب المنطقة أمام البيت الذين اعتادوا التجمع عند اقتراب المساء ليتناولوا وجبتهم الشهية من لفافات البانجو وحبوب الهلوسة، صاح أحدهم ليستدعي هاني لينضمّ إليهم فلم يجِبهم، دلف إلى البيت، ثم اتجه مباشرة إلى غرفته، جلس على السرير وهو ينظر بتمعن إلى الصور القديمة المعلقة على الحائط المقابل للسرير، استدعت تلك الصور صديقه مالك من طيات الذكريات الكامنة في عقله، تذكّر ما دار بينهما في الديسكو، وتذكر ما قاله له، لم يشعر بالندم حيال ما قاله؛ لأن مالك أصبح صديقه المقرب، فهو لم يعد لديه أصدقاء بالمعنى الحقيقي، كانت بداية صداقتهما ليست تقليدية، لم يتوقع أن زميله الجديد في العمل سيشاركه حب صور مصر أيام زمان، ذات بعد أن انضم مالك إلى الجرنال بأيام قليلة، يومها دلف مالك إلى غرفة هاني وجلس بجواره، كان هاني في ذلك الوقت يُعدّ مجموعة صور لتحقيق أجراه زهير لقسم الحوادث، بعد أن جلس مالك لم يعقّب على شيء، نظر له وابتسم ثم أمسك سيجارته مرة أخرى ونفث دخانها على شاشة اللاب توب الذي يعمل عليه، مدّ مالك يده إلى الشاشة قائلاً:

- لو شلت الجزء دا وصغرت الصورة شوية هتبقى أحسن.

نظر له هاني في تعجب واستنكار:

- هو أنت مصور واحنا مانعرفش؟ ولا اشتغلت قبل كدا على الفوتوشوب؟

لم يجِبه مالك صراحة. وأعاد عليه الطلب مرة أخرى، عاد هاني بنظره إلى الشاشة وفعل ما طلبه مالك منه. دقق النظر في الصورة، وعاد بجسده إلى الخلف بمساعدة الكرسي ذي العجلات المتحركة ليرى الصورة بوضوح، وبزاوية أوسع، ثم نظر إلى مالك قائلاً:

- تصدق عندك حق.. (ثم ابتسم وربت على كتفه).

نظر هاني إلى الشاشة وبدأ يكمل ما كان يفعله قائلاً:

- إنت بتحب التصوير؟

- آه.. وخصوصاً صور مصر القديمة.

- يا راجل؟ أنا عندي صور لمصر زمان، والدي هو اللي كان مصورها، وصور تانية جبتها من ناس بتبيع صور قديمة من محلات في وسط البلد.. بص الفولدر دا هتلاقي فيه كذا فولدر فيه صور قديمة لمصر، اتفرج وشوف اللي انت عايزه وخده على أسطوانة عقبال ما اروح أطخ شفيق واجيلك.

نظر له مالك في تعجب، فقال له هاني:

- رايح الحمام. رايح الحمام.

أخذ مالك يتجول ببصره داخل الصور في نفس الوقت الذي كان هاني يفرغ مثانته، كم تمنى مالك أن يعيش في ذلك الزمان، حيث الجمال والقلوب الصافية، وأن يترك هذا المجتمع العفن في كل جوانبه، انطلق بين الصور كالطائر الذي يجوب الأغصان عشقاً، حتى استوقفه أحد الفولدرات الذي يبدو عليه أنه مخفي، فضوله دفعه إلى استعراض الصور بداخله التي

حبست أنفاسه، في تلك اللحظة دخل هاني إلى الغرفة. فرأى ما يراه مالك صاح فيه:

- إنت إيه اللي خلاك تفتح الفولدر دا؟

نظر له مالك وهو يحملق في وجهه، ثم عاد ببصره مرة أخرى إلى الصور، وتأكد أن الذي يراه على الشاشة هو هاني الذي يقف أمامه الآن!!

***

الفصل التاسع
في قلوب البشر

في غرفته الكبيرة التي يتوسطها سرير كبير، على يمينه يربض كأس من النبيذ الأحمر، وغليونه الذي لا يفارقه، وقف أمام المرآة لا يرتدي إلا سروالاً قصيراً، تأمّل تفاصيل جسده وما فعله الزمن به، هو على يقين أنه يتمتع بحيوية الشباب، ارتدي روباً من الحرير أحمر اللون مزركشاً، اتجه إلى السرير وجلس نصف جلسة، مدّ ساقيه وأمسك بهاتفه المحمول وعبث بمحتوياته من الأرقام حتى استقر على الاسم الذي يريده، ضغط زر اتصال فامتلأت الشاشة بالاسم المراد، جاء صوت الجرس على الطرف الآخر، أمسك بالكأس وارتشف منه، أجابه الطرف الآخر بصوتها الرخيم قائلاً:

- عزوزي حبيبي.. واحشني.

- إنتي اللي واحشاني.. عاملة إيه يا كتكوتة؟

ضحكت في نعومة الأطفال المراهقين:

-أنا كويسة.. إنت بقى اللي عامل إيه؟ بقالك يومين يا وحش مش كلمتني.

- معلش يا هبة كنت مشغول قوي في الشركة، وأول لما فضيت كلمتك على طول.

- مممم.. ماشي هسامحك المرة دي.

- طيب هاتي بوسة حلوة لعزت.

- موووووه.. ها حلوة؟

- كل حاجة منك حلوة.. ها قوليلي بقى لابسة إيه؟

ضحكت قائلة:

- إنت على طول كدا مستعجل؟ دا حتى احنا لسه ماسخناش.

- هعمل إيه بقى... ماهي أم قردان اللي عندي زمانها على وصول وعايزين ننجز.

- أنا مش عارفة إنت ليه ماتجيش تعيش معايا.. وأهو تتمتع بجد بدل التليفونات دي.. وماتخافش مش هقولك نتجوز.

- أنا كدا مبسوط ومتمتع معاكي من غير ما أجي وأعيش معاكي.

- طيب مش هتجيلي في يوم وأوريك اللي بتسمعوا مني وأكتر كمان؟

صمت لبرهة وكأنه يفكر:

- هو أنتِ كدا مش مستمتعة معايا؟

- أي حاجة منك بتمتعني.

- خلاص خلينا كدا أحسن.. ها قوليلي بقى لابسة إيه؟

***

أصاب ولم يخطئ عندما أعطى رقم هاتفه إلى سعيد، الزميل القديم الذي كان يحمل معه أولى خيوط الشمس التي تنير له طريق القضية المظلم، كانت الصدفة هي التي لعبت دورها في تلك العلاقة المقطوعة، نعم.. فهو يؤمن بالصدفة التي قد تصنع من حياتنا مستقبلاً لم نره أو نخطط له من قبل، إبراهيم عطالله هو أول الخيط الذي لابد ألا يفقده، يرى أن ما فعله خطوة جيدة ولابد أن يعيد ترتيب الأوراق من جديد، لابد أن يكون هناك دافع قوي ليتمكن من إثبات التهمة عليه مع وجود الدافع المنطقي والقوي، الاتفاق الخفي.

لم يغلق جفنه طوال الليل، جلس إلى مكتبه وكتب الحلقة الثانية من حلقات الكشف عن القاتل، وضع تصوراً لما حدث، وأكد أن الجاني صار قاب قوسين أو أدنى من الإمساك به، كانت أحداث المقال مشوقة جداً، فأسلوب مالك دفع القراء إلى مراسلة الجرنال عبر البريد الإلكتروني لمعرفة أوقات نشر المقال الخاص بتلك الجريمة، أسرع مصطفى بالاتصال بمالك قبيل الفجر، وأكد له مالك أن المقال سيكون غداً بالمطبعة، وبالفعل عند بزوغ شمس يوم جديد كانت عربات توزيع الجرنال تلقي بالأعداد على أرصفة الباعة، يتوسط الجانب الأيسر من الصفحة الأولى عنوان المقال "خيط جديد" بقلم مالك سلمان.. كان الانتظار الذي طالت به الأيام وطال معه الشوق إلى ما يريد تحقيقه.

هل حقق بذلك ما يريد؟ أم مازالت الأيام تحمل له المزيد؟

***

مكتب أحمد خيري بسرايا النيابة
الساعة الواحدة ظهراً..

يتحدث أحمد في الهاتف.. دخل عليه عامل البوفيه ووضع بجواره فنجان القهوة.. أشار أحمد له بالانصراف ثم أردف قائلاً:

- يا آدم مش عايزك تكون قلقان من أي حاجة.. مالك دا صاحبي وأنا عارفه كويس، لا هو متهور ولا هو متسرع في أي حاجة، وكل المعلومات اللي بيكتبها مصدرها صحيح.. أنا اتفقت معاه إنه هيتعاون معاك وهيكلمك انتوا هدفكم واحد.

- أنا ماعنديش أي مشكلة إني أتعاون معاه.. إنت قريت مقاله النهارده؟

- لا لسه..

- طيب بص يا سيدي.. كاتب عن خيط جديد في القضية، وبيلمح في كلامه عن واحد من المشتبه فيهم اسمه إبراهيم عطالله.. إحنا لسه بنعمل عنه تحريات وماوصلناش لأي معلومة بخصوصه.. إزاي يكتب عنه كدا.. أنا مارضتش أستعديه للقسم عشانك.

- هو كاتب اسم إبراهيم في المقال؟

- لا.. بس صاحبك بيكتب بأسلوب القصص والألغاز مافيش معلومة واضحة.. إنت عارف إن الجرنال دا بعد مقالاته بقى يجيله إعلانات بالعبيط؟

ضحك أحمد متفاخراً بصديقه:

- مالك دا واد لعّيب وشاطر وعارف شغله كويس.

- أنا ماعنديش أي مشكلة، وأعتقد كمان إن النيابة ماعندهاش أي مشكلة إنه يتعاون معايا عشان أقدر أفيده.

- وانت كمان هتستفيد.. لو القضية دي اتحلت اسمك هيعلى في الداخلية، دا غير الترقية اللي هتكون مستنياك.. وطبعاً الاسم اللي هينزل في الجرايد.

- يا أحمد بيه الهدف الأسامي عندي أمن البلد.

- ومالك برضه هدفه أمن البلد.. (وهو يضحك).. مالك ماشي بنفس مبدئك ومبدئي.. ماتقلقش من أي حاجة.

- أنا واثق في معاليك.. أنا هكلمه وهقابله ونشوف هنوصل لإيه.

- تمام قووي.. هسيبك بقى عشان أمن البلد ما يتأثرش.

- ماشي.. مع السلامة.

تأمل أحمد ما فعله صديقه.. لم يعرف طوال فترة صداقتهما أن مالك يتمتع بتلك الجرأة والحماسة المفرطة.. كان في الماضي ينزوي عن باقي الأصدقاء، لا يتكلم إلا مع القليل جداً منهم، مالك اليوم أصبح شخصاً آخر، تطورت حياته، صنع لنفسه طريقاً جديداً أثبت فيه أنه قادر على الوجود، قادر على أن يتحدى ذاته التي فقد منها الكثير، صديق الأمس أصبح اليوم مشرقاً، يرى الحياة بعيون جديدة، رغم صعوبة ما يريد أن يتوصل إليه إلا أن أحمد يرى أن صديقه بدأ وضع قدمه على السلم الصحيح الذي سيصعد به إلى السماء، تراجع خوفه عن مساعدته عندما رأى ما يفعله مالك، كان في البداية نادماً على مساعدة صديقه؛ لأنه لا يعرف إلى أين يتجه بكل المعلومات التي كان من الخطأ أن تخرج بعيداً عن مبنى النيابة، ولكن ما أحدثه من جلبة بسبب مقالاته جعله يشعر أنه كان على خطأ عندما تردد بداخله في مساعدة صديقه.

حاول أحمد أن يكمل الدائرة بالحلقة المفقودة وهي اتصال مالك بآدم عواد، آدم يملك الأدلة، ومالك يملك القلم، كل منهما يملك قوته، القضية تحتاج إلى قوة، ليظهر الحق، و ترقد القتيلة في سلام إلى الأبد.

***

خرج سلمان من سيارته بعد أن وضعها بالجراج أسفل العمارة التي يقطن بها، دلف إلى الأسانسير وصعد إلى شقته، أولج المفتاح بمزلاج الباب، كان مرهقاً، كان ممسكاً بيده جرنال الساعة الذي يكتب فيه مالك مقالاته، لم يكن يعلم شيئاً عن تلك القضية أو تفاصيلها، ولا يعلم أن مالك هو الذي يكتب التحقيق الصحفي لها، كان متابعاً جيداً لصفحات البورصة

والاقتصاد التي يُخرجها زميل أبنه. دلف إلى غرفته واستبدل ملابسه. جلس على السرير. ونظر إلى الصفحة الأولى. وبدأ في القراءة..

وقعت عينه على اسم مالك. اتجه إلى رقم الصفحة التي كُتبت تحت عنوان المقال وبدأ يقرأ. لم يصدق أن ابنه هو من كتب ذلك. أين تعلّم الكتابة؟ كيف بدأ؟ وكيف ذهب إلى تلك الجريدة ومنذ متى وهو يعمل بها؟ هل من المعقول أنه لا يعلم شيئاً عن ابنه؟ إذاً لماذا يعيش؟ لماذا أصبح أباً لابن لا يعلم عنه شيئا؟ كان يشعر أن من وضعت تلك المسافة هي عايدة. هي التي صنعتها. وأنه رغم محاولاته للتقرب من ابنه كانت تفرّق بينهما. كانت تبني سوراً. زرعت بداخله الكراهية له. هل يوجد ابن يكره أباه؟ هو لا يكرهه ولا يحبه. ولكن لم يؤثر يوماً في حياته. حتى عندما أتى له في يوم ليسأله شيئاً في أمور الدنيا تنحّى سلمان جانباً ولم يجبه. تركه مالك وذهب إلى أمه. فكانت له مصدر معلوماته في الحياة.

والآن وبعد كل تلك السنين اكتشف مؤخراً أن كل ما فعله وكل ما حدث سينقلب عليه. سيفقد الكثير والكثير.

***

كوستا كافيه - المهندسين

في خطواط هادئة تقدمت يارا. الفتاة الصهباء إلى مدخل الكافيه. كان مالك رابضاً ينتظرها. جلست ونظرت إليه. ربّت مالك على يدها وهو يبتسم في حنان لم تعتده من قبل. ما أن رأت تلك الابتسامة حتى فاضت عيناها بالدمع. دائماً ما تشعر أنه هو الأمان. هو المنقذ من هذا العالم المظلم الذي يحيط بها. يفهم مالك جيداً أن يارا حساسة بطبعها. لذلك يحاول أن

يتجنب أي أمور تزيد من ألمها. المكان شبه مزدحم، ولكنها تشعر أنها تجلس معه بمفردها. انفصلت عن العالم كله من أجله هو فقط. انفصلت عن كل المحيطين وكل الذين يحملقون في الجالسين داخل المكان وهم يسيرون في الشارع بالخارج. حاول مالك أن يتماسك مع ارتفاع صوت المزيكا وصخب الجالسين. تمتمت يارا بكلمات لم يسمعها؛ لأن تركيزه بدأ يقل. أشار إلى النادل وطلب منه عصير مانجو. نظرت إلى مالك بعد أن جفّفت دمعها القريب دائماً. سألها وهو ينظر بعمق في لون عينيها العسلي:

- يارا إنتي صحتك كويسة؟

- زي ما انت شايف.

- طب آخر الحزن دا إيه؟ أنا عارف إن نسرين شخص غالي عليكي قوي.. بس خلاص اللي حصل حصل ولازم تقبلي بيه.

- أنا بحاول.. بس غصب عني.

- إنتي عارفة إني بكتب تحقيق صحفي عن الموضوع دا؟

- لا ماعرفش.. ووصلت لحاجة؟

- لسه.. تعرفي حد اسمة إبراهيم عطالله؟

- آه أعرفه.. شفته كذا مرة. كان بيجي عندنا الإدارة.. آخر مرة شفته فيها كان مع نسرين في مكتبها وشدوا مع بعض في الكلام جامد. وخرج متنرفز. ورزع الباب جامد.. ولما دخلت لنسرين بعد لما خرج.. قالتلي ابن الكلب دا بيهددني أنا؟ حاولت أفهم فيه إيه غيّرت الموضوع وماتكلمتش فيه.. فمرضيتش أضغط عليها وهي متعصبة كدا.

في نفس الوقت الذي كانت يارا تقصّ على مالك ما حدث كان قد أخرج متسلسلة الأفكار من شنطته وبدأ يدوّن ما تقوله، نظرت له في تعجّب، التقت عيناهما ببعض، ابتسم لها في اعتذار، وطلب منها أن تكمل أردفت قائلة:

- بعد المشادة دي بكام يوم مش فاكرة قد إيه سمعنا خبر موت نسرين.

- محدش شك في إبراهيم؟

- بص بصراحة أنا شكيت.. بس ماقدرش أقول حاجة، مش معايا دليل.. وكمان محدش عارف هما كان بينهم إيه؟

نظر لها في تعجب:

- يا سلام؟!! عايزة تفهميني إنكِ مش عارفة عن نسرين حاجة في الشغل؟

- مالك بلاش تضغط عليا في الكلام.. إنت شايف أنا حالتي عاملة ازاي؟

- لا مش هضغط عليكي، بس أنتِ نسيتي إنك بتحكيلي كل حاجة.

- بجد؟؟ هو أنا فضيحة كدا؟

- مش صحفي.. يبقى لازم أطلع منك الكلام وبسهولة.

- طب لما أنت عارف بتسأل ليه؟

- بعمل عليكي شغل.. إنتي لسه في الشغل؟

- لا أنا سبته من فتره كدا.. ليه؟

- أصل فيه تحقيقات اتعملت عندكوا من النيابة والمباحث.

- لا ماعرفش أي حاجة عن كل دا.. مالك في أمل إن الجاني يتعرف؟

- أول خطوة لازم نعرف إبراهيم دا فين؟؟ محدش يعرف عنه حاجة من بعد اللي حصل لنسرين.

- أنت عارف إنها كانت كويسة مع كل الناس.. مين اللي عمل فيها كدا؟
- اللي قتلها أكيد شاف فيها الدافع اللي خلاه يعمل كدا.
- يعني إيه؟
- يعني اللي قتلها عمل كدا؛ لأنه شاف فيها جانب شيطاني.. مؤذي.
حدجته بتعجب:
- نسرين؟!! نسرين شيطانة ازاي؟ أكيد إنت متعرفهاش كويس.. نسرين طيبة زي الملايكة.
قال مبتسماً:
- الملائكة لا تسكن قلوب البشر.
قالت في حدة:
- دا رأيك أنت.. واضح إن شغلك في الحوادث أثر على نظرتك في الناس.
- إنتي اللي شايفة الدنيا حلوة وجميلة.. خيالية ورمانسية بزيادة.
نظرت له يارا متسائلة:
- أنا خيالية ورومانسية؟ إنت شايف إن دا عيب فيا؟ عموما هييجي اليوم اللي هلاقي فيه الشخص اللي يفهم إن دا ميزة مش عيب.
- أنا ماقصدش المعنى اللي إنتي فهمتيه.. بس الواقع عفن وريحته خرجت للناس.. وهما قابلين يعيشوا جوا العفونة دي ومش عايزين يغيروا ولا يتغيروا، وفي الآخر كل يوم بنشوف اللي بنشوفه.
- روح أنت بقى غيّر الواقع وشيل منه العفونة.. الجريمة موجودة منذ خلق البشرية.. مش صح يا أستاذ؟
- أكيد هحاول لحد لما أقدر أوصل لكدا.

- لما توصل لهدفك دا.. ابقى كلمني وقولي.. عن إذنك أنا اتأخرت.. لازم أمشي.

أخذت حقيبتها متجهة إلى الخارج..

- إستني هوصلك.

- لا خليك أنت في معركتك مع العفونة.

***

الفصل العاشر
كل الطرق تؤدي إلى...

كان للمساء حديث آخر، واقع آخر، تهدأ العيون من إرهاقها وتنام، وعيون أخرى ساهرة لا تهدأ، تحاول أن تفك لغز الكلمات المتناثرة أمامها، آدم، الشاب الأسمر الطويل لم ترُق له الأحداث بمجملها، الأوراق والتقارير تقوده إلى طريق مسدود، أخرج من درج مكتبه تقرير المعمل الجنائي النهائي الذي أشار إلى معطيات لا تبشّر بخير، بدأ يسطر بعينه التقرير حيث جاء بين سطوره: "وُجدت نصف بصمة مدممة على أحد أطراف غطاء السرير، وُجدت أيضاً نفس البصمة المدممة على سكين المطبخ، رابطة العنق لم تحمل بين أنسجتها غير شعرة صغيرة بعد الكشف عليها تبين أنها شعرة ذقن لرجل وشعرة من رأس القتيلة، عدم وجود أي بقايا قشور لجلد الجاني تحت أظافر القتيلة، السائل المنوي الموجود على أغطية السرير مطابق للسائل الموجود بداخل مهبل القتيلة".. تلك المعلومات لم تقُده إلى شيء، لابد من العثور على المشتبه به حتى يتسنى للمعمل الجنائي أخذ عينة منه ومطابقتها مع العينة الموجودة من مسرح الجريمة، دارت رأسه، أخذ ثواني راحة، وهو مازال جالساً على مقعده في مكتبه بالقسم، مدّ يده ليلتقط كوب الشاي الرابض أمامه، أعاد قراءة باقي الأوراق بعد أن فرك جفنيه لاستعادة تركيزه مرة أخرى، اتكأ على مرفقيه على سطح المكتب، وحدج الورق بملء عينيه، وبدأ في قراءة تقرير التحريات الخاص بإبراهيم عطالله، فبعد قرابة الشهرين توصّل فريق البحث إلى بعض التحركات لإبراهيم خلال تلك الفترة،

كانت قبلته الأولى مدينة شرم الشيخ، مكث في فندق (هيلتون خليج نعمة) لمدة أسبوع، كان في صحبته أحد أصدقائه، ومن التحريات ثبت أن صديقه ليس له أي سابقة جنائية أو أي نشاط سياسي، ثم اتجه إلى الإسكندرية ومكث عن أحد أقاربه لمدة عشرة أيام كانت تحركاته بين مناطق كوم الدكة ومنيا البصل والعجمي، وقد تبين من التحريات أنه على علاقة بمجموعة من الأصدقاء منذ الجامعة يسكنون في تلك المناطق، بعد ذلك اتجه إلى مسقط رأسه بقنا ولم ترصد له أي تحركات أخرى حتى الآن، ومنذ فترة تقارب الشهر لم تتمكّن أجهزة المباحث من تتبعه أمره مرة أخرى وظل حتى الآن مختفياً.

أمسك قلمه وبدأ في كتابة مذكرةٍ يطلب فيها وضعه على قوائم الممنوعين من السفر بناء على المحضر المقيد في دفاتر القسم والرابض في دوسيهات النيابة، وجاء في سطور المذكرة أنه من خلال فريق البحث والتحريات استطاعوا تتبع خطواط إبراهيم عطاالله، إلا أنه في وسط ذلك اختفى مرة أخرى، وقد تأكدوا أنه أحد المشتبه بهم، وجاء في مذيلة المذكرة أنه بناء على ما وصل له فريق المباحث من معلومات أن المشتبه به دائم التحرك داخل القطر المصري، ولا يستقر في مكان معين، لذلك حرصاً على تحقيق العدالة والقبض عليه نرجو إصدار قرار بوضعه على قوائم الممنوعين من السفر خارج البلاد، وإصدار قرار آخر بضبطه وإحضاره للتنفيذ.

كان التفكير الذي يسيطر عليه في تلك اللحظة هي الدوافع المنطقية لكي يقوم إبراهيم على فعل ذلك، فالأدلة الجنائية الكاملة ليست معه، وإن كانت معه فأين إبراهيم حتى يطابق ما وجد في موقع الحادث عليه؟ بدأ يفكر في بعض التفاصيل، حيث إن هناك اثنين اشتركا في واقعة تجسس على

مجموعة من العملاء داخل الشركة، كان إبراهيم شريكاً يتقاسم مع نسرين ما تحصل عليه مقابل تلك التسجيلات، وفجأة وبعد أن شعرت الإدارة بما حدث توجّس إبراهيم خيفة على مكانته ومنصبه داخل الشركة، واتخذ قراراً بالرجوع عما يفعله مع نسرين، وأبلغها برغبته في ذلك، فنشبت بينهما مشاجرة كلامية حادة، وبعد فترة قصيرة وُجدت مقتولة في شقتها.

قال آدم متحدثاً إلى نفسه:

- تتابع منطقي.. بس لازم أدلة على كل الكلام دا.

في تلك اللحظة الذي عاد بظهر إلى الكرسي، تذكر مالك، قرر التواصل معه؛ لمعرفة ما يراه في تلك القضية ووجهة نظره.

***

البصيرة لا تخفي الحقيقة.

كعادته بعد أن ينتهي من عمله المرهق، ينتقل إلى أسارير الليل وما يحيط به من عالمه الخاص، في أحد الكازينوهات المطلة على النيل، يلقي هناك بجسده المثقل بهموم العمل وإنجازاته التي لا يكل ويمل في التفكير بها، جلس إلى البار وتجرّع أول كأس له في الليلة، دعته إحداهن إلى الطاولة الخاصة بها، كشخص قديم في هذا المكان كان من المألوف له أن تدعوه النساء إلى طاولاتهن، فهن يعلمن من يكون حسني محفوظ، وما يحتويه جيبه من كنوز جمعها في سنوات عمله التي تجاوزت العشرين عاماً من التعب، وضعت يدها على كتفه، وفي تمايل الأفاعي تجاذبت معه أطراف الحديث في القرب من أذنه اليمنى لتصل الكلمات وسط ضجيج المكان، ابتسم لها واعتدل في جلسته ناظراً إلى عينيها، ابتعدت عنه قليلاً حتى يتسنى لها أن تراه جيداً،

اقترب منها وقبّلها في جبينها، أخذت منه ما تبقى في الكأس وتجرعته، نظراته تؤكد أن ما سمعه كان معسول الكلام عن فحولته ونشاطه الزائد عن سنه الذي تجاوز الأربعين، يفتخر عندما تمدحه إحداهن، وتؤكد له أنه مازال شاباً في العشرين من عمره.

رنّ هاتفه المحمول فما أن رأى اسم المتصل حتى دفع نفسه من مكانه متجهاً إلى الخارج متجنباً الضجيج الذي يحفّ المكان، جاء صوت الطرف الآخر يحمل في طياته الاطمئنان لما يريده حسني:

- حسني بيه.. إزيك؟

- الحمد لله يا رفعت.. ها فيه جديد؟

- الورق أتمضى خلاص.. مبروك عليك المشروع.

ابتسم في ثقة المنتصر:

- عارف إنه هيتمضي.. اللي عملناه كتير عشان يعدي.

- بس اللي جي أصعب.

- مافيش حاجة صعبة على حسني..

ثم شرد قليلا وأردف قائلاً:

- حاجة واحدة بس هي اللي لسه صعبة عليا بس هوصلها أكيد.

- هي إيه؟

- وأنت مالك؟؟ يلا أقفل أنت عشان أكمل ليلتي الحلوة دي.

- طيب يا ريس.. سلام.

أغلق الخط وشرد قليلاً قبل أن يدلف إلى المكان مرة أخرى، عاد إلى الطاولة التي كان يجلس بها مع إحداهن، كانت ملامحه قد تغيرت إثر المكالمة التي تلقاها، جلس وأحاط عنقها بيده، ثم ضمها إلى صدره فاختفى وجهها.

كانت غرفته هي ساحة الانتصارات، لم يشعر يوماً بأنه الراجل الأربعيني الذي يتوجّب عليه أن يهدأ قليلا في علاقاته، ولكنه مازال يخوض المعارك لإثبات الذات، ألقى بجسده عليها، تلك الفتاة على استعداد أن تتحمل وزن فرس النهر من أجل المال، في تلك اللحظة كان هناك شخص آخر قابعاً في الظلام ينتظر أن تأتي له بما يريد، استسلم تماماً بعد أن أنهكته، راح في نوم عميق، أما هي فقد تجوّلت في الشقة بعد أن ارتدت ملابسها كاملة، كان هدفها هو الوصول إلى المراد لتحصل على مزيد من المال، ففي تلك الليلة كانت المكاسب كثيرة، من هذا الرجل الأربعيني، ومن ذلك الظل المجهول القابع هناك.

جمعت كل ما تريده في شنطة سوداء، ثم غادرت، كان غارقاً في أحلامه وهو على يقين أنه قد ظفر بالمعركة، معركته مع زمن فائت.

***

فكر كثيراً قبل أن يُقدم على فعل أي شيء باتجاهها، جلس إلى الكرسي الهزاز، أخذ يحرّك جسده إلى الأمام وإلى الخلف، فكر جيداً فيما سيتحدث فيه معها، كانت المقابلة الأخيرة ليست جيدة، زاد انفعاله ولم يراعِ أن الذي يتحدث عنها هي أقرب الأشخاص إليها، تساءل كيف تعامل بهذا الأسلوب مع فتاه رقيقة مثل يارا؟

لقد اختلط عليه كل شيء، فكّر في بادئ الأمر أن يهاتفها، ولكن تراجع عن تلك الفكرة، فكّر في وسيلة اتصال أخرى لا تضعه في حوار مباشر معها، لم يجد أمامه غير فيس بوك، أسرع إلى اللاب توب ثم دخل إلى صفحته، بحث عنها في قائمة الأصدقاء حتى وجدها، ضغط على أيقونة الرسائل، وبدأ يكتب ما يريد:

(أنا عارف إن أسلوبي كان صعب معاكي شوية، بس هي دي شخصيتي، وكمان ماتنسيش إن شغلانتي دي خليتني أشوف حاجات صعبة، أنا ما كنتش أقصد أتكلم وحش كدا عن نسرين صاحبتك، بس الحوادث اللي كنت بشارك في التحقيق فيها خليت دايماً أحكامي تبقى بالشكل دا، أول لما جيت كان فيه حادثة القسم بيحقق فيها وأنا كنت متابعها، من فترة كدا، ست قتلت جوزها بالاشتراك مع أولادها، ودفنوا الراجل في المحل اللي كان فاتحه وبياكلهم منه، صبّوا عليه خرسانة مسلحة عشان ميبقاش فيه أي أثر للجريمة، وبعد سنين اكتشفت المباحث بالصدفة بقايا الجثة، فهمتي بقى أنا ليه دايما أحكامي كدا؟ عموماً ماتزعليش مني.. وأوعدك إني هكون أول واحد يعرف القاتل ويقدمه لحبل المشنقة... دا وعد مني).

أرسل لها كلماته في محاولة للبحث عن مخرج لما آلت إليه الأزمة التي لم يكن وقتها، عاد إلى كرسيه مرة أخرى وبدأ في الاهتزاز، طلب من صديقه في السكن علاء بعد أن استدعاه من غرفته أن يعدّ له كوباً من الشاي بالنعناع، قام وجلس إلى مكتبه، وضع الأوراق أمامه، سطر بالقلم أولى حروف الحلقة الثالثة من مقالاته، بدأ في الكتابة وبعد قليل توقف، نظر إلى الحائط الذي أمامه ووضع طرف القلم في فمه، وضغط بأسنانه الأمامية،

كان يفكر.. سأل نفسه ما هي مصلحة سعيد في أن يخبره بكل تلك المعلومات؟ أمسك مالك بمتسلسلة الأفكار وبدأ يرسم بداخلها الاحتمالات الممكنة وعلاقة الأشخاص بالقتيلة، والدوافع التي من الممكن أن تدفع القاتل لفعل هذا.

بدأ يكتب عناصر الحدث:

(من المستفيد).... سعيد

(ما هو الدافع للقتل).. الانتقام

(ولماذا الانتقام).... لطرده من العمل

(ولماذا سعي إليّ وتقديم المعلومات)... لحجب الرؤية عن الحقيقة

ثم انتقل إلى العناصر الخاصة بإبراهيم:

(من المستفيد).... إبراهيم

(ماهو الدافع للقتل).. إيقاف عمليات التجسس لصالح نسرين للمحافظة على مكانته وسمعته في الشركة

(ولماذا سعى إلى الاختفاء) ؟؟!!

توقف عن الكتابة، فهناك بعض المعلومات التي لم يجمعها عن إبراهيم حتى الآن، ربما قد توصل فريق المباحث لشيء، تذكر آدم وتذكر نصيحة صديقه أحمد للتعاون معه، أخذ هاتفه المحمول وبحث في الأسماء حتى وجد آدم، أخذ نفساً عميقاً كما لو كان يعطي لنفسه فرصة للتفكير، ضغط الزر الأخضر.. اتصال..

***

اليوم التالي.. ظهراً
مكتب آدم عواد..

تقدم آدم عواد لاستقبال ضيفه، استقبله بحفاوة بناء على توصية أحمد خيري، تأمل مالك ملامح الفتى الأسمر الذي رفض أن يجلس خلف مكتبه وجلس أمامه وجهاً لوجه، كانت إشارة من آدم لكسر الحواجز بينهما. تبادلا القليل من الحديث قبل أن يبدأ الحوار عن جريمة القتل، أخرج آدم أوراق القضية من درج مكتبه، وعاد مرة أخرى، للجلوس أمام مالك، أمسك مالك حقيبته وأخرج متسلسلة الأفكار وبدأ يناقش آدم في بعض النقاط والتصورات للقضية، لاحظ آدم أن مالك على دراية كبيرة ببعض الأمور والتي ليس من الطبيعي أن يعرفها أحد، كشف له عن ذلك أنه أمام شاب غير تقليدي في التفكير، أو بمعنى أصح تأكد من ذلك بعد أن قرأ الحلقات التي يكتبها مالك في الجرنال.

سأل مالك في هدوء:

- كدا لازم فيه مشتبهين عشان نطابق معاهم الأدلة.

أجاب آدم مبتسماً:

- بالظبط كدا.. أنا كتبت مذكرة امبارح بطلب فيها ضبط وإحضار المدعو إبراهيم عطالله، ووضعه على قائمة الممنوعين من السفر.

- ووصلتم لإيه؟

بدا لآدم أنه يتحدث إلى صديق قديم، يتحدث إليه بتودد وقرب، شعر مالك بذلك بعد فترة من الحديث، فرأى أن ذلك الشعور مناسب لجمع المعلومات التي يريدها لفك طلاسم تلك القضية، أردف آدم قائلاً:

- بص أنا عارف إن الموضوع دا صعب.

قاطعه مالك قائلاً:

- لا لا.. بص أنا أتعلمت حاجة مهمة في حياتي.. مفيش شيء صعب أو مستحيل.

تعجّب آدم من حماس مالك قال وهو يبتسم:

- حلو الحماس دا.. يارب يكون بفايدة إن شاء الله.

- صدقني يا افندم لازم يكون فيه تفاؤل وحماس.

- يا عم أنا اسمي آدم، أفندم دي الغيها خالص، حتى اسأل أحمد خيري كدا.

شعر مالك أن كل مخاوفه من تلك المقابلة قد انهارت تماماً:

- ماشي يا آدم.. عايز أعرف إنت قدرت توصل لحاجة؟

- بص كل المؤشرات بتقول إن إبراهيم عطالله ممكن يكون هو القاتل.

قاطعه مالك:

- ممكن؟ ليه مش أكيد؟

- عشان لحد دلوقتي مافيش دليل إدانة تقدر تقدمه للمحكمة.

أخذ مالك يقلب في أوراق المتسلسلة قائلاً:

- على حد علمي إن في أحراز القضية كرافتة وسائل منوي وبصمات تم رفعها من موقع الحادث.

- دا صحيح بس لازم يكون إبراهيم موجود عشان تقدر نطابق الأدلة ونعمله تحليل الـ"دي إن أيه".

-مممم.. طب التحريات وصلتكم لإيه؟

- بص في خط كدا في القضية دي أنا بحاول أمسكه.

اتسعت حدقة مالك كما لو رأى ضوءاً قوياً من بعيد، قال متحمساً:

- طب أنا ممكن أساعدك.

- إبراهيم ونسرين كانوا سبب في إن عيش سعيد وهدان يتقطع من الشركة.

صمت مالك ولم يعقّب، كانت رغبته في أن يجعل آدم يلقي بكل أوراقه أولاً.

أردف آدم قائلاً:

- اللي عرفته من التحقيقات في الشركة إن سعيد دا كان كبش فدا لنسرين وإبراهيم، وهما اللي لبّسوه موضوع التجسس والتسجيلات، واتفصل سعيد، ولحد دلوقت قاعد في البيت مش بيشتغل.

سأل مالك في تعجّب مصطنع:

- تفتكر عمل كدا بدافع الانتقام؟

- يمكن.. بص كل شيء قدامنا جايز وممكن.

ابتسم مالك قائلاً:

- طب من باب أولى كان قتل إبراهيم الأول.

- لا نسرين أسهل بكتير من إبراهيم، وكمان عشان يلاقي حد يلبس القضية.

سأله مالك وهو يقترب إليه قليلاً:

- هو أنت ليه متأكد كدا إن سعيد هو اللي قتلها؟

في تلك الأثناء دخل عامل البوفيه وسأل آدم عن مشروب ضيفه، فقال له مالك إنه يفضل كوب الشاي بالنعناع البلدي، ثم أردف آدم مجاوباً على سؤال مالك قائلاً:

- الكل قدامي مشتبه لحد لما يثبت العكس.

- إبراهيم موقفه إيه بقى لحد دلوقت؟

- بالكتير قوي بكرا هيكون فيه قرار من النيابة بضبط وإحضار إبراهيم.. ماتستعجلش يا مالك.

- وسعيد؟

- جاي في الطريق برضه.

نظر مالك إلى النافذة التي تطل على أشجار تحيط القسم، تأمل أوراقها وفي خبايا نفسه كان يفكر فيما سوف تؤول له الأحداث، عاد بنظره مره أخرى إلى آدم قائلاً:

- أنا عندي شوية معلومات بخصوص سعيد.

تقدّم آدم قليلاً في جلسته، واضعاً يده على المكتب في حالة تأهب:

- ماتقول مستني إيه؟

- سعيد قابلني من فتره كدا.

- نعم؟ (في تعجّب) أنت تعرفه؟

- هو وصل لي بطريقته.

- وبعدين؟

- حكالي كل حاجة عن موضوع نسرين وإبراهيم.. واللي قدرت أفهمه منه.. إن إبراهيم بنسبة كبيرة له يد في الجريمة.

- وأنت ماشكتش في كلامه؟

- من ناحية صدقه؟

- آه.. ممكن يكون بيحور عليك.

- مش بعيد.

سأله آدم بصورة هجومية:

- طب هو ليه حاول يوصلك إشمعنى انت؟

أجابه مالك في تلقائية غير معهودة:

- فلسفة الدخان.

ضحك آدم، كان ذلك أثناء دخول عامل البوفيه حاملاً معه أكواب الشاي، وضعها على الطاولة التي تفصل بينهما، التقط آدم أوراق النعناع ووضعها في كوب مالك، وأخذ يقلب حبيبات السكر مع ماء الشاي، قدم لمالك الكوب قائلاً:

- إيه يا عم مالك؟ مابلاش الألغاز بتاعتك دي.. الكلام دا تكتبه للقراء اللي بيقرولك.

ضحك مالك وهو يرشف من الكوب.. ثم قال:

- ولا ألغاز ولا أي حاجة.. فكّر معايا كدا.. لو أنت واقف في مكان بعيد ومش عايز حد يشوفك بتعمل إيه؟ أبسط فكرة ممكن تعملها إيه؟

- إيه؟

- هتولع في شوية ورق زبالة أو خشب.. هيعمل دخان جامد.. واللي قدامك مش هيشوف اللي ورا الدخان.

- أفهم من كلامك إن سعيد قابلك عشان ماتشكش فيه.

- ممكن.. ليه لأ؟

- كل اللي بتقوله دا افتراضيات.. واحنا المباحث دورنا نقدم الأدلة للنيابة.. أدلة مادية على مرتكب الحادث.

- أنت عندك أدلة... بس ناقصك إنك تطابقها.

- بالظبط كدا، استدعاء سعيد للتحقيق هيتم خلال يومين بالكتير بإذن الله.

- هو تقرير الطب الشرعي النهائي وصل؟

- آه معايا.

- طب ممكن أحتفظ بنسخة منه؟

- طبعاً.. بس دا عشان خاطر أحمد خيري.

- خلاص بقى يا آدم، أنا من النهاردة المفروض بقى ليا خاطر عندك.

- أكيد طبعاً يا مالك.

- أنت بقالك قد إيه في المباحث.

- أنا لسه منقول من كام شهر.. قبل الحادثة بأسبوعين.

قال مالك مبتسماً:

- اللي له ضهر بقى يطير على المباحث.. عموماً فرصة تثبت نفسك وتقول أنا هنا.. ماتقلقش هلمّعك في الجرنال، وهكتب اسمك بالفونت العريض.

- شكراً يا مالك.. بس الأهم عندي إني أخلص القضية دي.

- هتخلص على خير..

***

تثاءبت هند وهي تفكر كيف ستقضي اليوم، هل ستذهب إلى أصدقائها في النادي، أم ستذهب إلى الشركة التي تقحم نفسها بالعمل بها لمجرد أنها زوجة رئيس مجلس الإدارة والمدير العام بها. نظرت إلى هاتفها المحمول الرابض بجوارها على الكومودينو، وجدت بأسفله شيكاً بملغ مائة وخمسين ألف جنيه، ابتسمت في ثقة، سيصبح البنك أولى قبلتها هذا اليوم.

هاتفت صديقاتها واتفقت معهن أنها ستذهب إليهن في تمام الساعة الخامسة مساءً بعد أن تفرغ من مناوشاتها داخل الشركة مع الموظفين

والموظفات؛ وسلمان الذي يضيق صدراً عندما يرى إضاءة مكتبها.

هكذا هند تبدو عندما تأتي إلى الشركة، متأنقة في هندامها، تتعمد ذلك وهي ذاهبة إلى هناك، كانت رسالة واضحة لكل الموظفين أنها السيدة الأولى هنا ولا يوجد غيرها، تعلم جيداً أنها لا تملك أي مهارات أخرى غير شيئيين هما: اللسان السليط والأناقة التي تلفت الأنظار، تعلمت ذلك بعد زواجها من عزت، وبالتحديد عندما دخل عزت عالم رجال الأعمال؛ بدأت تقترب إلى زوجات أصدقائه من طبقة رجال الأعمال الأثرياء، كانت مازالت تسكن معه في شقة صغيرة بحدائق حلوان قبل أن تنتقل هي وزوجها إلى شقة في الحي العتيق.. الزمالك، ومنذ ذلك الوقت كل شيء قد تغير، تعلمت من زوجات أصدقاء عزت كيف تنتقي ملابسها، تغيرت اهتماماتها فأصبحت تحضر عروض الباليه ومعارض اللوحات وحفلات الموسيقى، تغيرت من حال إلى حال، سلكت الطريق الذي جعلها تنسى ما كانت عليه في الماضي، سكبت كل أحداثه في مستودع من النفايات وتخلصت منه تماماً، نسيت كل شيء حتى أهلها، كانت لا تتودد إليهم وهم لم يعرفوا لها طريقاً، كانت ترسل لهم ما تجود به في المناسبات، كل ما كانت تريده قد حدث، فقد استحوذت على عزت تماماً وأيضاً على ما يملك، فهي دائماً تشعر بأنها تريد أن تستحوذ على ما تراه في أيدي الآخرين.

عادت إلى شقتها بعد أن صرفت مبلغ الشيك، تجاوزت الساعة الخامسة والنصف، صديقاتها ينتظرن في النادي كما اتفقت معهن على ذلك، اتصلت إحداهن بها، لم تُجِب، ظل الاتصال بها حتى تجاوزت الساعة السادسة ولم ترد.

الفصل الحادي عشر
طرق الأبواب

مقر شركة "تقسيم"

الساعة الثالثة عصر نفس اليوم

اندفع سلمان في طريقه إلى مكتب عزت ماراً بمكتب هند، فوجده مغلقاً، صعد إلى الطابق الأعلى، يعلم أن عزت موجود هناك، كان متجهاً والغضب يبدو عليه حاملاً في يده بعض الأوراق والملفات. قلما كان يغضب سلمان في العمل، ولكن تلك المرة لم تكن عادية. في طريقه إلى المكتب تصادف بسكرتيرة عزت فسألها هل هو الآن بالمكتب أم يمر في أحد الأقسام، فأجابته بأنه بمكتبه، ولكنه مشغول ببعض المكالمات المهمة، وأنها سوف تبلغه إذا أراد سلمان منه شيئاً، حدجها في تعجّب.. كيف تقول له ذلك وهي على علم اليقين بأنه مالك وشريك في تلك المؤسسة؟! لم يفهم إلا شيئاً واحداً أن ما يفعله عزت في الشركة جعل الموظفين يشعرون بأن مفاتيح كل شيء معه هو، لم يعقّب على ما فعلته السكرتيرة فقد كانت الأوراق هي شاغله الأول والأخير، في تلك المسافة بين الطابق الثاني والطابق الخامس حيث يوجد مكتبه ومكتب عزت، كان يفكر وقد ساد عليه الغضب وهو الذي لم يعتد أن يغضب إلا قليلاً، سأله أحد الموظفين في قسم المشتريات قائلاً:

- إن شاء الله الاجتماع الساعة ٤ يا مستر سلمان؟

أجابه بصوت مرتفع:

- مفيش زفت النهارده.

أسرعت خطواته المتصاعدة على سلم الشركة، كل من رآه من الموظفين شعروا بأنه ليس سلمان الذي اعتادوا أن يروه وهو يبتسم ويتحدث إليهم في ود ومحبة؛ ركل باب الغرفة واندفع بداخلها، كانت وجنتاه ورديتي اللون إثر الانفعال، أدار عزت جسده بالمقعد وهو يتحدث في الهاتف، ونظر إلى سلمان وفي برود تام أشار له بالجلوس، لم يبالِ سلمان بإشارته وألقى بالأوراق على سطح المكتب، حدجه عزت في تعجب شديد، ففي تلك السنوات التي جمعت بينهما، الشراكة والصداقة، وأمور أخرى كثيرة لم يرَ كل هذا الغضب على وجه سلمان، أستأذن عزت من المتصل أن ينهي المكالمة على أن يعاود مرة أخرى الاتصال به، نظر إلى سلمان قائلاً:

- هتفضل واقف كدا؟ اقعد.

- مش هقعد.. عايز أفهم إيه اللي مكتوب في الورق دا؟

- ما له الورق؟

- أقرا وانت هتعرف.

بكل هدوء أشعل عزت غليونه وأخذ يقلب الأوراق ويقرأ ما بداخلها، كان سلمان على يقين أن عزت سيراوغه ولن يستسلم بسهولة، ولكن كان في قرار نفسه أنه مهما كان ماهراً في المراوغة فإنه لن يحرز هدفاً تلك المرة.

نظر له عزت وأخذ ينفث دخانه في الهواء ثم قال:

- ما له بقى الورق اللي قدامي؟

- عايز أفهم الفلوس دي اتسحبت من البنك ليه؟

أجابه عزت في بروده المعتاد:

- عادي.. عمولات.

- عمولات لهند؟

- وانت عرفت منين إنها لهند؟

- أرقام الشيكات والمبالغ المسحوبة وتوقيع الهانم اللي صدرت باسمها الشيكات، ممكن أفهم السبب؟

لم يجبه عزت، وقام متجهاً ناحية الباب واتجه إلى الخارج، وتحدث إلى السكرتيرة الرابضة أمام مكتبها، عاد مره أخرى وأغلق الباب، كانت محاولة ذكية منه ليأخذ وقتاً للتفكير كلاعب ملاكمة يستند إلى الحبال ليأخذ وقتاً ليستعيد وعيه ويبدأ من جديد، لاحظ سلمان ملامح القلق على وجه عزت، فشعر بأنه في بداية طريقه للوصول إلى ضالته، تقدم عزت بعد أن أغلق الباب، واقترب من سلمان، ربت على كتفه قائلاً:

- اقعد بقى عشان أفهمك.

جلس سلمان مرغماً في محاولة للوصول إلى الحقيقة، جلس عزت أمامه وأشغل غليونه مرة أخرى، بدأ عزت حديثه في محاولة منه دائماً لإخفاء قلقه:

- مين اللي اداك الورق دا؟

ابتسم سلمان في سخرية:

- ليّ مصادري وعيوني.

أسرّ عزت حديثه قائلاً:

- عرفتهم ولاد الكلب الجعانين.

ثم وجّه كلامه إلى سلمان قائلاً:

- أنت عايز تعرف إيه بالظبط؟

- حاجات كتير عايز أفهمها منك، أولاً الأسعار اللي كانت بتتغير من غير علمي... ثانياً العطاءات اللي كانت بترسى علينا لغاية شهر فات، ودلوقتي ولا عطا رسي علينا.. ثالثاً الست هند مراتك والفلوس اللي سحبتها بشيكات موقّعة من سيادتك وموقعة من مدير الحسابات بمبالغ تجاوزت الـ ٣ مليون على مدار سنتين... رابعاً الأوراق اللي اتفاجئت إنها ماضية عليها وعدّت واتصرفت.. أنا عايز أعرف هي هنا بصفتها إيه؟ مرات البيه؟ ولا تكونش ماسكة علينا زلة لا سمح الله.

- مالهوش لازمة الكلام دا.

- أمال أفسر دا كله بإيه.. آخر شيك الهانم صرفاه بقيمة ١٥٠ ألف جنيه.. ممكن أعرف دي عمولة أنهي مشروع؟

- مشروع القطامية.

- وهي واخدة عمولة على إيه؟ هي شغاله في السيلز وانا ماعرفش؟

- لا.

- حلو قوي.. طب قولي بقى يا عزت المشروع دا أصلاً مكسبه كام؟ لا بلاش، قولي المبلغ دا هيتحط في حسابات المشروع تحت اسم إيه؟

لم يعقب عزت على سؤاله، وحاول أن يأخذ دفة الحوار إلى طريق آخر قائلاً:

- أنت مش تركيزك في الأراضي وبس.. بيع وشرا.. أنا بقى تركيزي كله في ازاي أدخل المناقصات وترسي علينا.. مالك انت بقى بالجزء دا؟

- هو حضرتك مش واخد بالك إن أنا شريكك؟

-لا واخد بالي طبعاً.. أنا كل هدفي إزاي أحافظ على الصرح دا.

- لا فعلاً واضح جداً إنك بتحافظ عليه.

- بص يا سلمان عشان أقدر آخد المناقصات دي كان لازم شوية حاجات تحصل عشان نقدر نستمر في السوق.

- اللي هي إيه؟

نظر عزت إلى الجهة الأخرى، وأخذ نفساً من غليونه وأطلقه في الهواء، أدار وجهه إلى سلمان:

- هشرحلك كل حاجة.

***

في محاولة منها للقضاء على الملل الذي ألمّ بها جلست إلى جهاز اللاب توب في غرفتها، وكعادة يارا تصفحت موقع فيس بوك، وما أن دخلت إليه حتى رأت رسالتين قد وصلتا إليها، ولاحظت أن مالك قد قبل الصداقة، تصفحت الرسالة الأولى وكانت من إحدى صديقاتها في العمل القديم كانت تطمئن عليها، أما الثانية فكانت من مالك، تأملت كلماته، وشعرت بأنه ولأول مرة يتحدث معها من قلبه لا عقله، شعرت أنه صادق حقاً، شعرت بالخجل من نفسها؛ لأنها حكمت عليه في عجلة من أمرها، وهو الذي لم يقصد أن يهين نسرين، وكيف يفعل ذلك وهو لم يقابلها إلا مرة وكانت بالمصادفة؟ الآن فقط شعرت بإحساس آخر، شعرت أنه بدأ يقترب منها، يكفيها تلك الرسالة، يكفيها أنه اعتذر عن ذنب اقترفه.

أغلقت الموقع وجلست إلى السرير، وتذكرت أول مرة رأت فيها مالك، تذكرت كم كان أنيقاً ويلفت الأنظار، تذكرت المرة الأولى التي تحدثت معه عبر الهاتف كان قليل الكلام معها، تحركت مشاعرها بسرعة تجاهه وهو لم يكن كذلك، كان يفكر أكثر من أي شيء، تذكرت تلك المرة التي جلست بين يديه بناء على

طلب وإلحاح منها أن تقابله، تقابلا بالقرب من ساقية الصاوي، ثم اتجها سيراً على الأقدام إلى مطعم ماكدونالز بالقرب من شاطئ نهر النيل، دعته إلى الغداء وجلست بين يديه كطفلة صغيرة تداعب خصلات شعرها البرتقالي وتبتسم، فابتسامتها تداعب حبيبات النمش المتناثرة على وجنتيها، ظلت تحكي له عن كل شيء، عن عملها وعن علاقتها بنسرين، وعن عائلتها، كان صامتاً لا يتكلم إلا القليل، شعرت أن عينيه هي التي تدفعها دفعاً للتحدث، وحكي كل ما يخص حياتها وعملها، تكلمت عن نسرين أكثر من حديثها عن أمها، شعر مالك أن نسرين تستحوذ على جزء كبير من حياة يارا، وفهم أن يارا تعرف كثيراً عن نسرين وما تفعله في العمل وخارج العمل.

خرجت من دائرة الذكريات وتساءلت: هل سيصدق مالك حقاً في وعده ويأتي لها بالجاني الذي قتل أهم شخص في حياتها؟

***

بعد يوم شاق مليء بالمنازعات والشد والجذب، عاد عزت إلى شقته في تمام الساعة الثامنة مساءً، دلف إلى غرفة المكتب وجلس إلى مكتبه، أخرج بعض الأوراق التي أعطاها له سلمان من الدوسيه وبدأ يقرأ في تركيز، تساءل: كيف سمح لسلمان أن يمسك عليه خطأً كهذا؟! فكر للحظة كيف دخل مع شريكه في تلك المناوشات التي وضعته في موقف ضعيف وهو القوي دائماً؟!، وكيف سيُرضي زوجته المصون التي لا تشبع ولا ترضى بالقليل مثل البحر الذي يحتضن بذراعه كل من يدخل إليه.

أشعل غليونه وبدأ يدوّن بعض الكلمات في ورقة بيضاء، جاءت ملاحظته تدور حول وضع العمل داخل الشركة، فبعد هذا الموقف الذي حدث قد

تتغير أشياء كثيرة، نعم، لن تعود الأمور كما كانت عليه، فكّر عزت كثيراً وما سوف يفعله، فهو الشخص الذي لا يُهزم بسهولة كما يدّعي الآخرون، هذا الصرح لن يمر من تحت يديه كما تمر السيارات بكل سهولة من أسفل الجسر.

مرّ على جلوسه قرابة الساعة وقد شعر بالإرهاق، أخذ هاتفه الرابض في جيبه، بحث في الأرقام حتى استقر على اسم هند، اتصل بها فلم تجب، تأكد أن الجو الآن يسمح بمحادثة فاتنته، الدائرة الآن تدور حول إشباع رغباته، لن يقف عند سنه الذي تجاوز الخمسين، ولن يقف عند محاولاته مع هند طوال فترة زواجهما التي باءت بالفشل، فقد وجد ضالته:المكالمات الهاتفية تثير بداخله ينابيع الطاقة والحيوية، ويجد نفسه بين كل ما يقوله ويسمعه ما يثلج قلبه ويثير مشاعره، فينطلق فيضان الدماء إلى موضعه، فيزأر كأسد غابة كان قاب قوسين أو أدنى من الموت.

جاء صوتها الرخيم معبراً عن أنوثة فتاة العشرينات، سألته في تعجب لماذا كان اتصاله مبكراً على غير العاده؟ فقد اعتادت المكالمات بعد منتصف الليل، حيث تكون هند نائمة في غرفتها ولا تشعر بشيء، شرح لها أن زوجته ليست بالشقة الآن، ويرى أن الوقت مناسب لذلك، فلن تعود إلا بعد التاسعة مساءً؛ أخذ يتحدث معها في ما يثيره، طلب منها أن تصف له ما ترتديه، فاسترسلت في الوصف مع ضحكتها المثيرة لأذنيه، تسارع تدفق الدم في الأوردة، أسرع وأحضر كأساً من النبيذ ليكمل دائرة المتعة، شعر بارتفاع درجة حرارة المكان، فخلع ملابسه، هذا المسنّ الذي يتلذذ بالمكالمات الهاتفية!!

استمر الحديث حتى تجاوزت الساعة العاشرة مساءً، كان قد ظفر بمعركته الهاتفية، أنهى المحادثة معها، وكغير العادة شعر بأن هند قد تأخرت في العودة، فعاود الاتصال بها وهو يصعد الدرج لغرفته، دلف إلى الحمام وهو مازال يعاود الاتصال بها ولم ترد، بعد أن فرغ من حمامه الدافئ، خرج من غرفته وقد جذبه صوت موسيقى موتسارت المنبعث من غرفة هند، كان الباب موصداً، ظنّ في بادئ الأمر أن هند قد نسيت المسجل وخرجت إلى مقصدها، عاد واتصل بها مرة أخرى، في تلك اللحظة صمت المسجل فقد انتهى تراك الموسيقى، سمع رنات هاتفها تنبعث من داخل الغرفة، تقدم في خطوات سريعة إلى الغرفة وفتح الباب، ورأي ما لم يتوقعه.

***

صباح اليوم التالي

استيقظ مالك على رنات هاتفه في تمام الساعة السابعة والنصف، عقله يخاطب أموراً كثيرة ليست على أرض الواقع، فبين الحلم واليقظة يعيش عقل الإنسان في دائرة الأشخاص المفقودين من حياته، والذين يفكر فيهم قبل النوم، ولكن جاء صوت مدير التحرير ليقطع تلك الدائرة، فهو ليس من الأشخاص المفقودين في حياة مالك.

قال مصطفى في تعجب:

-أنت لسه نايم؟ قوم بسرعة وتعالى.

تثاءب مالك ثم قال:

- خير يا أستاذنا؟ الساعة سبعة.

-تعالى الجرنال حالاً.. أنا هنا من خمسة الصبح.

وقد بدا عليه الوعي شيئاً فشيئاً قال:

- خير يا ريس؟

- هند مرات عزت الشامي اتقتلت امبارح.

بادئ ذي بدء لم يدرك مالك ما قاله مصطفى، أسرع وارتدى ملابسه، اتصل بهاني كي يلحق به إلى الجرنال، كانت أفكاره مشوشة، فبالأمس كان يبحث عن قاتل نسرين، واليوم أصبح هناك قتيلة أخرى وقاتل آخر، اتسعت دائرة البحث، وستزيد فجوة الغموض.

دلف إلى مدخل الجرنال مسرعاً، كانت الساعة الثامنة إلا الربع صباحاً، المكان شبه خالٍ من الموظفين وغرفة مصطفى مضاءة، دلف إلى غرفة مدير التحرير كان في إثره عامل البوفيه، طلب منه مالك كوب الشاي المفضل لديه، جلس أمام مصطفى، كان يدوّن بعض الملاحظات أثناء دخول مالك الغرفة، ترك القلم ثم نظر إلى مالك وهو يشعل سيجارة قائلاً:

- نفس الطريقة يا مالك.. نفس طريقة القتل.

سأله مالك:

- إزاي؟

- الجثة كانت عريانة تماماً.. ورجليها مفتوحة على كرسيين خشب من كراسي السفرة.. العورة كانت مكشوفة.. مذبوحة من الرقبة.. ومخنوقة بكرافتة.. نفس الطريقة... عارف دا معناه إيه؟

- إيه؟

- إننا قدام قاتل متسلسل.

أجابه مالك في برود:

- ماعتقدش.

حدجه مصطفى في تعجّب:

- إزاي يعني؟ نفس الأسلوب والطريقة.

- افهم بس يا أستاذنا.. القاتل المتسلسل لازم يكون قتل أكتر من تلاتة عشان يأخد اللقب دا.

- مش هخش معاك في جدال.. مش وقته.. تطلع دلوقت على شقتها في الزمالك.. أنا نسيت أكلم هاني.

- أنا كلمته وزمانه في الطريق على هنا.

- كويس جداً.. أقدر آخد منك الحلقة الجديدة إمتى؟

- النهارده.

- كدا كل الحلقات اللي كتبتها هتتغير؟

- لا.. دي هتحلوّ أكتر.

- اعمل شغلك وفي الآخر اعرضه عليا.. بس لازم نكون متزلين الحلقة.. هتحلق الطابعة التانية.

دلف هاني إلى الجرنال، لم يجد أحداً، هاتف مالك الذي اندفع إلى خارج مكتب مدير التحرير بعد أن أستأذن مصطفى ليتجه إلى موقع الحادث، ما أن راه هاني حتى اندفع إليه متسائلاً:

- إنت هنا من إمتى؟

- من عشر دقايق.

- هنروح على هناك؟

ابتسم له مالك:

- طبعاً.

خمسة عشر دقيقة هي مدة المسافة بين الدقي والزمالك صباحاً، عندما وصلا أمام العمارة التي وقعت بها الجريمة، هاتف مالك صديقه أحمد خيري ليعلمه بما حدث، وأنه وصل لموقع الحادث، أخبره أحمد أن يهاتف آدم؛ لأنه الآن يوجد بمسرح الحادث، سأله مالك في تعجب:

- طب لما أنت عارف بالحادثة ماقولتليش ليه؟

- أنا عرفت من آدم.. كانت الساعة خمسة الصبح.

- كنت اتصلت بيا على طول.. كان لازم أعرف منك.

تدخل هاني ليقطع استرسال حديث مالك:

- مش وقته خالص عتاب.. يلا نطلع ونشوف إيه الأخبار.

رفض مالك أن يصعدا في المصعد الكهربائي، كان يرغب في تأمل المبنى الذي تسكن فيه الضحية، يتذكر أنه حضر هنا مرة واحدة، ولكن منذ زمن بعيد عندما بدأت الشراكة بين والده وعزت وانتقلوا إلى الزمالك، استقبلته يومها هند بعبارات مألوفة على مسامعه كطفل صغير؛ أراد أن يرسم ملامح هذا المبنى مرة أخرى، ولكن بعد زمن، لم يتغير شيء، مازالت تلك الجدران كما هي.

استعاد انتباهه عندما سأله أحد رجال الأمن عن سبب وجوده أمام الشقة، وضح له أنه صحفي في إحدي الجرائد، منعه من الدخول إلى الموقع، لن يضيع وقته معه، اتصل بآدم الذي خرج إليه وسمح له بالدخول، لاحظ آدم وجود هاني وفي يده الكاميرا فقال له:

- خد بالك وانت بتصور.. ماتلمسش حاجة.

بدا على هاني التوتر والإعياء، مما دفع آدم إلى سؤال مالك:

- هو صاحبك عيان ولا إيه؟

- يمكن.

كان عزت يجلس في غرفة مكتبه يدخن عليونه، لم يره مالك وهو يصعد إلى الغرف العلوية ليرى موقع الحادث، بعد أن انتهى من معاينة الموقع، وحفر تفاصيله في عقله، هبط إلى الأسفل، كان عزت في اتجاهه خارج مكتبه، التقت عيناهما، فتقدم مالك لمواساته، إلا أن عزت قابله بفتور، لاحظ آدم ما حدث، فسأل مالك:

- أنت تعرف عزت بيه؟

- آه طبعا.. شريك والدي في الشغل.

اندفع عزت في كلامه موجهاً إلى مالك:

- والدك اللي قتل مراتي.

لم يستوعب مالك ما قاله عزت، نظر إلى آدم متعجباً، أشار آدم له بالتزام الصمت، ثم نظر إلى عزت قائلاً:

- أستاذ عزت.. لو عندك أي كلام عايز تقوله يا ريت تتفضل معايا على القسم، وهسمع منك كل حاجة.

- أنا اللي عندي قولتهولك.. سلمان هو اللي قتلها.

سأله مالك في هدوء:

- أنت إيه دليلك على الاتهام دا؟

- وانت بتسألني بصفتك إيه؟

تدخل آدم قائلاً:

- مالهوش أي لازمة الكلام هنا.. في القسم هنسمع كل حاجة.

في تلك اللحظة هبط هاني بعد أن أنهى مهمته. لاحظ آدم أن هاني مازال متوتراً، مما دفعه إلى معرفة السبب، فأشار اليه للاقتراب، فاقترب هاني إليه فسأله آدم:

- إنت أول مرة تصور موقع حادث؟

نظر هاني إلى مالك ثم عاد بنظره مرة أخرى إلى آدم:

- ليه بتقول كدا يا حضرة الظابط؟

أسرع مالك والتقط الخيط من صديقه:

- أنا صحيته على الخبر على طول.. وشكله مكانش نايم كويس.

- طب أنت خلصت شغلك يا مالك؟

- خلصت يا آدم.

- تقدر تعدي عليا في القسم الساعة واحدة الظهر عشان نشوف هنعمل إيه.

- هحاول متأخرش عليك.

التفت آدم موجهاً كلامه إلى عزت قائلاً:

- تقدر تتفضل معايا دلوقت على القسم عشان نبدأ شغلنا.

تحرك الجميع كلٌّ إلى مقصده، أسرع مالك إلى مقر الجرنال، وأخرج متسلسلة الأفكار وبدأ يدوّن فيها الجزء الجديد من سلسلة حلقاته التي بدأت تلفت انتباه القراء، وبدا اسمه مألوفاً لدى الكثير منهم، أما هاني فقد بدأ في تفريغ كاميراته من صورها على جهاز اللاب توب لإعدادها بالشكل الملائم للنشر.

***

في تلك الأثناء، ووسط هذاالضجيج الذي يملأ الأحداث كان سلمان مازال غارقاً في نوم عميق، ولا يدري بشيء عما حدث، كانت الأمور في بيته تسير كعادتها مع الأيام، تستيقظ عايدة في موعدها لتذهب إلى الوزارة، بينما يظل هو نائماً حتى الساعة التاسعة والنصف، ثم ينطلق إلى مقر الشركة أو يذهب إلى اجتماعاته مع شركات أخرى، ثم يعود مرة أخرى إلى المنزل يتصفح الجرائد ويخلد إلى النوم، كترس يتحرك داخل دائرة ثابتة.

عندما ذهب سلمان إلى الشركة متأخراً عن موعده المعتاد، وجد أن الخبر قد انتشر كفيروس لعين داخل الجسد، جلس إلى مكتبه واستدعى السكرتيرة التي أخبرته بما حدث لزوجة شريكه، تعجب كيف حدث كل هذا، ولماذا لم يحاول عزت الاتصال به، ليقف بجواره في تلك المحنة، بعد نصف ساعة سمع جلبة داخل الشركة فانطلق من مكتبه ليرى ماذا يحدث، فوجئ بقوات من الشرطة في البهو بالأسفل، هبط إليهم مستفسراً عن سبب وجودهم، طلبوا منه أن يذهب معهم إلى القسم، لم يعترض في شيء فربما قد دعاه صديقه لشيء ما في القضية، أو ربما قد أصبح عزت متهماً بقتل زوجته، ويريده أن يشهد بعكس ذلك، كانت تلك الأسئلة التي تدور في مخيلته وهو في طريقه إلى القسم، لم يحضر إلى ذهنه قط أن عزت اتهمه بقتل هند.

استقل سيارته بعد موافقة ضابط القوة، واتجه خلفهم إلى قسم قصر النيل، فالمسافة كانت كافية ليدور في رأسه شريط الأحداث التي جمعته مع هند، فكم من مرة كان يتدخل بحسن نية ليعود كل من الطرفين إلى رشده بعد عراك كان يمتد لأيام وشهور، فهند كانت قوية لا تهدأ إلا إذا اعتذر عزت، وقدّم لها قرابين الاعتذار من هدايا ومميزات، استحوذت على كل شيء، كان سلمان على يقين أن هناك شيئاً غير مألوف يجعل هند بكل تلك القوة، ويجعل عزت في خنوع دائماً

معها، فهو يراه وسط الناس رجلاً قوياً لا يعبأ بأحد، أما معها فكان يخضع لرغباتها وخصوصاً في آخر عامين لها معه، وظهر ذلك واضحاً في العمل وتدخلاتها المستمرة، وظهر أكثر عندما علم سلمان بأمور المبالغ التي تقاضتها هند في الفترة الأخيرة.

دلف إلى القسم متجهاً إلى مكتب آدم عواد بصحبة حراسه من العساكر، لم يُبالِ بيما يحدث حوله، فكل تركيزه على ما ألمّ بصديقه من مصيبة، أو بالأحرى كان في قرارة نفسه يشعر أن صديقه قد ارتاح من تصرفاتها؛ أول ما وقع عليه بصره داخل الغرفة هو عزت، وجده جالساً في ثبات يرتدي حلة سوداء، وغليونه في فمه، أسرع إليه واحتضنه لمواساته، ولكن جاء رد فعل عزت ليؤكد شعور سلمان بأن هناك أمراً غير طبيعي، بدايته عندما لم يتصل به عزت ونهايته في رد فعله.

دعا آدم سلمان للجلوس، جلس متظاهراً بالهدوء، فهو لم تطأ قدماه قسماً قط إلا لإنجاز بعض الأوراق الخاصة له؛ أما الآن يجلس مع ضابط مباحث وكصورة ذهنية ثابتة أن هؤلاء لديهم قدرة كبيرة في التقاط الكلام من العين؛ بدأ آدم في الحديث مع سلمان، كانت مناقشة عادية ولكن شعر عزت أن ما يحدث لم يدخل في إطار التحقيقات، وأن ما يحدث هو دردشة عادية، فخرج عن سكوته المعتاد قائلاً:

- هو سلمان بيه جاي يتساهر مع حضرتك ولا جاي للتحقيق؟

حاول آدم أن يمتصّ غضب عزت فقال في ثبات:

- عزت بيه أنا مقدر موقفك.. لكن دا شغلي وعارفه كويس.

قاطعه سلمان قائلاً:

- أنا مش فاهم حاجة يا آدم بيه.. هو أنا متهم في القضية دي؟

- عزت بيه اتهم حضرتك بقتل زوجته هند جلال.

حدج سلمان عزت في استغراب شديد:

- وأنا اللي كنت فاكر إني جاي عشان أخرّجك من المصيبة اللي انت فيها تقوم تتهمني بقتل مراتك؟!!

لم يرد عليه عزت، وعلق بصره على الأشجار التي تتجلى من النافذة خلف آدم، زاد هذا من حدة الموقف، واندفع الدم إلى عروق سلمان، جعله يندفع من مكانه وأطبق بيده على ملابس عزت وهو يصرخ بصوت عال:

- إذا كنت فاكر بتصرفك دا هتقدر تكسرني تبقي غلطاااان.

اندفع آدم لكي يفض الاشتباك الذي حدث بينهما، وحاول أن يجعل سلمان أكثر هدوءاً. شعر آدم أن هناك خيوطاً كثيرة معقدة في تلك القضية، ويجب حلها، عاد سلمان إلى مقعده مرة أخرى، بينما خرج عزت من المكتب وهو في قمة غضبه، سأل سلمان مستفسراً عن سبب اتهام عزت له فأخبره أن أقواله جاءت في المحضر تتهمه بقتل زوجته، وأن هناك أموراً وخلافات في العمل وقعت بينكما جعلتك تنتقم وتقتل زوجته، وخصوصاً بعد أن علم منك أنك على استياء من تدخلها في العمل.

في تلك الأثناء طرق أحد العساكر باب الغرفة ودلف إليها يحمل في يده ورقة مطوية أعطاها إلى آدم، اندفع بعينه ليقرأ سطورها، لمعت عيناه وتغيرت ملامح وجه، واندفع إلى جهاز اللاسلكي متحدثاً فيه بحماس شديد قائلاً:

- أشرف.. بسرعة حضّر القوة.. أمر ضبط وإحضار سعيد وهدان وإبراهيم عطالله لسه واصل حالاً.

***

الفصل الثاني عشر
فئران في القفص

بعد أن انتهى من كتابة الحلقة الجديدة أسرع إلى مدير التحرير وأعطاه إياه، اتجه إلى مكتبه، وفتح هاتفه المحمول، وطلب صديقه أحمد خيري، وعلم منه أن قوات من الشرطة اتجهت للقبض على سعيد وهدان، وأنهم قاب قوسين أو أدنى من اللحاق بإبراهيم عطاالله. تعجب مالك وكيف يعلم مرة أخرى في وقت متأخر، فجاء رد أحمد أنه حاول كثيراً أن يهاتفه ولكن بلا جدوى، فقد كان الهاتف مغلقاً فكيف له أن يصل إليه. أسرع مالك إلى مكتب مصطفى مرة أخرى، وطلب منه أن ينشر الحلقة في أسرع وقت ممكن، ثم عاد إلى مكتبه، وجلس وبدأ يكتب الحلقة الجديدة تحت عنوان "فئران في القفص"، وسرد قصته التي أوضحت أن الجناة أصبحوا عما قريب سيتواجدون داخل قاعة المحكمة. وبأسلوبه الشيق استطاع أن يغزل بكلماته أحداثاً ستجعل القارئ يتابع التفاصيل أكثر وأكثر. بعد أن انتهى من كتابة الحلقة اتجه إلى مصطفى مرة أخرى، وسلمها له. واتفق معه أن تنشر الحلقتان في عدد واحد. تحمّس مصطفى أكثر، وشعر أن ما يفعله مالك سيصنع منه صحفياً ناجحاً.

***

ظل سلمان داخل مكتب آدم بالقسم إلى اليوم التالي، انتظر أن يأتي المحامي ولكنه لم يأت. هاتف عايدة أبلغها بما حدث. لم يشعر منها أنها قلقة عليه، جاء ردّها ببرود تام، وأبلغته بأنها ستبحث عن محامٍ غير الذي اتفق معه،

تعتقد دائماً أن كل ما يفعله سلمان خطأ وترى أنها على صواب -هكذا يفعل في نفسه- قالت لنفسها ذلك بعد أن أنهت معه المحادثة. فكرت قليلاً قبل أن تسرع في اتخاذ اي قرار، وأول ما جاء في رأسها هو مالك، بحثت عن اسمه في قائمة الأسماء داخل الهاتف، وجدته، ترددت لعله لن يرد، ولكن في تلك المواقف لن تظهر أي فائدة لترددها، كان سبب التردد منطقياً لها، هو أن مالك لن يستطيع أن يفعل شيئاً لوالده، مازال صغيراً ولن يستطيع أن يصل لشيء، ولكنها أخذت قرار الاتصال لكي تضعه في الصورة معها أو بالأحرى لكي يقترب إليها مرة أخرى عندما يرى ما صنعته الأيام بها، ضغطت زر الاتصال، لم يدعها تنتظر كثيراً، فجاء رده أسرع مما توقعت، جاءت كلماته باردة بلا حياة قائلاً:

- أيوه.

سألته مسرعة:

- أنت فين؟

- ليه؟

- رد زي مابكلمك.

قال في هدوء:

- في بلاد الله الواسعة.

- عرفت أن أبوك في القسم.

- طبعاً.

- وقاعد كدا من غير ما تروح له؟

- المطلوب؟

- تعالى عدي عليا ونروح له.

- لا.. روحي له إنتي لوحدك.

- هتفضل طول عمرك أناني ومش بتفكر غير في نفسك.

- تربيتك.

صمتت برهه ثم تساءلت:

- هو مش سلمان دا برضه أبوك؟

- أنت أذرى!

- احترم نفسك يا سافل.

ضحك في سخرية ولم يعقب.

- إنت طول عمرك كدا.. وأبوك برضه عمره ماهيتغير بسذاجته دي، أهو اتحبس بسبب إنه بيعمل اللي في دماغه.. ياما حذرته من عزت وقلت له يفض الشراكة اللي بينهم.. لكن ولا بيسمع الكلام.. وهو في الآخر وصل لإيه... محبوس.. أخد بقى إيه؟ هو كدا من ساعة لما اتجوزته سلبي وضعيف...

قاطعها مالك بحدة قائلاً:

- هو دا مش اختيارك؟ بتسمّعيني ليه بقى الكلام دا؟ روحي اقفي قدام المراية وقولي لنفسك الكلام دا.. وكمان هو انت مش طول عمرك بتعملي اللي انت عايزاه؟ خلاص بتلومينا ليه إننا بنعمل اللي شايفينه صح في حياتنا؟ إنتي اخترتي حياتك وشغلك لحد لما وصلتي لكل اللي حلمتي بيه.. بلاش بقى تفرضي كلامك عليا ولا عليه هو كمان.. ويا ريت ماتكلمنيش تاني؛ لأني خلاص فكّيت القيود اللي كنتي رابطاني بيها، ومعدتش محتاج منك حاجة خالص.

أغلق الخط، ولم يعطِ لها أي فرصة لكي ترد على ما قاله، شعر أنه قال نصف ما كان يجب أن يقول، تأخر كثيراً في فك قيوده، ولكن لماذا لا يبدأ من الآن؟، كانت تلك هي الفرصة التي شعر خلالها بأنها تحتاج إليه، ولذلك.. ترك جماح لسانه ينطلق ويقول ما بداخله، صنعت في الماضي ما يجعله يفعل كل هذا الآن، لن ينسى ما حدث معه، وإن نسي فجسده لن ينسى الندوب التي أحدثتها فيه، كان مبررها هي أنها تحبه وتخاف عليه، ولكن أي حب هذا، فربما هو الحب والخوف الذي يزرع الألم ويحصد الكراهية.

أسند ظهره إلى الكرسي ومسح بكلتا كفيه على رأسه من الخلف، كالذي يزيح من رأسه ثقلاً كان يحاصره، نظر إلى الأوراق التي أمامه، واسترجع بعض ما كتبه ليبدأ في استرساله من جديد.

***

تضافرت خيوط الشمس لتبدأ نهار يوم جديد وأحداث جديدة ستأخذ الجميع إلى طريق لم يُسلك من قبل، دلف مالك ومعه هاني إلى مبنى النيابة، كان سعيد جالساً في مكتب محمد جمعة وكيل النيابة الذي سيحقق معه، اتجه مالك إلى مكتب صديقه أحمد خيري أولاً، جلس هو وهاني وتبادلا بعض الكلمات المتعلقة بالعمل والقضية، كان أحمد متفائلاً بصديقه، تقدم إليه قائلاً:

- خليك واثق يا مالك إن ربنا مش هيضيع مجهودك دا.. وكلنا مقدرينه.

ابتسم مالك وقد غمره شعور الثقة، تعمّد أحمد أن يمدح صديقه أو ربما حاول أن يُشعر نفسه بالرضا وعدم الندم في مساعدة صديقه الذي أعطاه مفاتيح كل شيء.

أثار مالك إعجاب كل من تابع حلقاته في الجرنال، كان قد دلف إلى الغرفة أصدقاء أحمد من وكلاء النيابة، وقد أشادوا بما كتبه مالك في حلقاته وأشادوا بمجهوده الكبير، وأدركوا أن القلم يصنع فارقاً على أرض الواقع، شعر مالك أنه قد حصد نصف ما كان يتمناه، ولكن كان هاني له شعور آخر، فقد رأى أن مالك استحوذ على كل الإعجاب، وغداً سيلمع نجمه، وسيعرف الجميع فضله في تلك القضية، لكن أين هو من كل هذا؟ لماذا يرضى أن يلعب دور الرجل الثاني، وهو الذي توضع صوره التي التقطها بيديه في الحلقات بجوار كلمات مالك؟ شعر هاني أن حقه دائماً مهضوم، لكنه سيسعى للظهور أيضاً، يعلم أن هذا اليوم لآتٍ، وسينظره عما قريب.

الأجواء داخل مبنى النيابة كانت تسير بهدوء، ولكن داخل مكتب محمد جمعة كانت متوترة، لم يستطع مالك صبراً، أراد أن يحضر التحقيقات، ولكنه لن يستطيع فعل ذلك، سيعرف ماذا حدث بالداخل من صديقه أحمد، توجّب عليه الهدوء والتركيز، ولكن بداخله كانت أعصابه متوترة، ماذا سيحدث لكي يكتب غداً، لابد من جديد، وما هو الجديد إذاً؟ لا شيء سوى الحقيقة، فلن يبحث عن فرقعة إعلامية، سيكتب ما سيعرفه اليوم من تفاصيل، ولكن بأسلوبه القصصي الذي أشاد به القراء، سيُرى نجاحه كعلامات على أرض صلبة، فما يُحفر في الأرض لا تمحوه آثار مرتعشة حاقدة.

***

جلس سعيد الشاب البدين الذي يتصبب عرقاً يتكلم في غرفة وكيل النيابة، كان لوقع الأقدام التي تدخل وتخرج من الغرفة قبل بدء التحقيق تأثير قوي عليه، فقد بدا علية التوتر فإذا شعر بهذا الإحساس يبدأ في فرك كفيه

ببعضهما البعض، أخذ يأكل السجائر أكلاً، جلس في انتظار محمد جمعة الذي سيحقق معه كالذي ينتظر الطوفان، وقد استسلم لموجه القادم بقوة، شرد بعقله متسائلاً أي ذنب اقترفته قادني إلى تلك المرحلة؟!، كنت كبش فداء، لماذا أدخلت نفسي بين حيتان تأكل كل ما يقابلها؟ يرى أن نسرين تستحق تلك النهاية، ولو بيده لفعل ذلك بإبراهيم.. تحالف الشر.. هؤلاء الذين يتقاضون مبالغ كبيرة كمرتبات لماذا يدفعون أنفسهم دفعاً لأكل مال النبي؟ بعد أن امتلأت خزائنهم بالأموال جعلوني المفتاح الذي يُغلق به خزائنهم بطردي من العمل والتحقيق معي، قطع صراعه الداخلي وقع أقدام محمد جمعة وهو يتقدم إلى مكتبه، جلس وخلع سترته وبدأ معه التحقيق:

- اسمك و سنك وعنوانك؟

- سعيد وهدان محمود.. ٢٩ سنة.. عين شمس.

- ما قولك فيما هو منسوب إليك من تهمة قتل كل من نسرين وهبه وهند جلال؟

- ماعرفش حاجة عن اللي حضرتك بتقوله.

محمد جمعة متحدثاً بهدوء:

- طبعاً دي الأجابة اللي متوقع إنك تقولها.. طب قولي آخر مرة شفت نسرين فين؟

- في الشركة قبل لما اتطرد منها.

- وهند؟

- ماعرفهاش.

تجاوز الزمن ساعتين، كان مالك وهاني ينتظران خروج سعيد لتغطية الحدث. تقدم سعيد وبجواره أمين شرطة يقوده إلى الخارج، تقدم هاني مسرعاً ليلتقط صوراً له وخلف هاني يقف مالك عن بُعد، لاحظ سعيد وجود مالك عندما انحنى هاني قليلاً ليعدل من وضعه ليلتقط الصورة، نظر سعيد لمالك ثم ابتسم وصاح قائلاً:

- لعبتها صح يا شقيق.

كان أحمد يقف بجوار مالك، نظر له ثم ربت على ظهره مبتسماً، أطال مالك النظر إلى سعيد حتى غاب عن عينه وسط جموع البشر الواقفة.

***

اثنان وأربعون ساعة مرّت بعد أن بدأ التحقيق مع سعيد ليأتي إبراهيم ويجلس في القسم بعد القبض عليه، شعر آدم بالسعادة ولكنها غير مكتملة، ستكتمل عندما تثبت التهمة على أحد منهما أو كليهما، كان هناك اتصال مفتوح بين آدم وخيري ومالك، باتت الأمور كلما أرادوا جميعاً، ما هي إلا سويعات وسيتم فتح التحقيق مع إبراهيم، وسيُعرف من القاتل.

كعادة آدم حاول أن يربط الخيوط بعضها البعض، وتساءل هل يوجد أي صلة بين الضحيتين؟ لن يتساءل كثيراً فجميع المعلومات لديه في ملفات التحقيقات وتحريات المباحث، كل ما عليه فعله أن يفتح أحد أدراج مكتبه ويخرج الملفات ويبدأ في ربط الخيوط التي سوف تقوده إلى فهم هذه العلاقة إن وُجِدت.

***

قبل حادث القتل بسنة ونصف

بحكم عضويتها في أحد النوادي الاجتماعية المرموقة وكزوجة رجل المقاولات عزت الشامي تقدمت إحدى شركات خطوط الهواتف الجوالة بدعوة هند جلال لحضور إحدى حفلاتها السنوية، والتي يتجمع فيها العاملون بالشركة في أحد الفنادق الشهيرة، في القاعة الكبيرة وقفت هند في ثقة تبحث عن أحد من معارفها فلم تجد، تقدمت إلى النادل الرابض خلف طاولة كبيرة تفترش بالعصائر والمأكولات، وطلبت منه كأساً من عصير الكوكتيل، أخذت ما طلبته وتقدمت تتأمل الوجوه في خطوات ثابتة وواثقة، وتمعن النظر في فساتين النساء جيداً لعل وعسى قد تجد ما ينقصها فتشتريه، وقع بصرها على إحدى صديقاتها من النادي، انتظرت حتى تراها هي، وبالفعل كما توقعت تقدمت صديقتها وصافحتها ودعتها للجلوس إلى الطاولة الخاصة بها وبزملائها في الشركة، كان من ضمن الجالسين نسرين وهبه، تعرفت إليها وعرفت أنها تشغل منصباً كبيراً، تقربت منها، وبفعل الكيمياء بينهما أصبحتا صديقتين فيما بعد، كانت أولى المحطات ليتقرب كل منهما لبعض هي المشكلة التي وقعت فيها نسرين عندما انفصلت عن زوجها، وأصر على حضانة ابنتها التي لم تتجاوز العاشرة، لجأت إلى هند أو بالأصح دفعت هند نفسها دفعاً لتستغل هذا الموقف في ميزانها بعد أن علمت بالموضوع، عرضت عليها المساعدة بعد أن قصّت عليها نسرين وقائع الحدث، تحركت هند بسرعة الصديقة الحميمة، وكلمت أحد المحامين من سلسلة معارفها، فهو محام "عُقر" وله طُرقه لينجز كل الأمور العصيبة في قضايا الأسرة، وبالفعل بعد الجلسة الثانية استطاع هذا المحامي بأسلوبه الخاص أن

يجعل القضية في صالح نسرين، وعادت ابنتها مرة أخرى إليها، رفضت هند أن تدفع نسرين للمحامي أتعابه، فقد قامت بذلك قبل بدء القضية، شعرت نسرين أن هند صديقة حقيقية بمعنى الكلمة.

بعد شهر من عودة ابنة نسرين إليها هاتفتها هند، وطلبت أن تقابلها، دعتها نسرين إلى منزلها، وافقت هند على الدعوة، وبالأخص عندما علمت أنها تسكن معها في الحي ذاته، تقدمت في خطوات ثابتة وفي زيها الأنيق، صعدت في المصعد الكهربائي الذي غمره رائحة عطرها، دلفت إلى شقتها، ودققت النظر في كل ركن بها وفي جميع محتوياتها، أرادت أن تعرف ما ينقص شقتها من تحف، ومن أثاث جديد، جلست، وانتظرت حتى عادت إليها نسرين تحمل بين يديها فنجان قهوة، تبادلا أطراف الحديث وبعد نصف ساعة أخرجت هند من حقيبة يدها ورقة وقدمتها إلى نسرين، لم تفهم نسرين ما تقصده هند بتلك الورقة إلا عندما فتحتها، وجدت بها أرقام هواتف محمولة، نظرت لها كأنها تتساءل عما تقصده هند من تلك الورقة، ابتسمت هند قائلة:

- بصي يا قمر.. أنا كل اللي طالباه منك تسجيل لمكالمات الأرقام دي.

حدجتها نسرين في تعجب ولم تنبس بكلمة، أردفت هند قائلة:

- أنا عارفة إنك تقدري تعملي الخدمة دي.

- بس أنتي أكيد عارفة إن دا ممنوع نهائي في الشركة، ولو حصل دا الحكاية مش هتقف على الطرد.

- أعتقد إنك لما تعرفي المبلغ اللي هتاخديه مقابل الخدمة دي مش هتفكري تستمري في الشغل.

صمتت لثوانٍ قبل أن تجيب:

- بس الأرقام اللي في الليست دي مش كلها تبع الشبكة اللي أنا شغالة فيها.

- عارفة طبعاً.. خدي الأرقام اللي تخصك بس، (ثم أخرجت من حقيبتها شيكاً وقدّمته إليها).. ودا شيك بـ ١٠٠ إلف جنيه.. أول دفعة.. أنا كل اللي عايزاه تسجيل المكالمات للأرقام دي وتبعتها لي مفرغة على أسطوانات، ووعد مني يا قمر إن الموضوع دا مش هيطلع من باب شقتك.

- اديني وقت أفكر.

قامت هند من مكانها ثم قالت:

- فكري زي مانت عايزة.. بس وانتي بتفكري خلي الشيك دا قدامك عشان يقويكي (ثم ضحكة بصوت عال كعادتها).. أنا همشي بس يا ريت تردي عليا بسرعة.. وأنا واثقة من كدا.

***

دلف سلمان إلى مبنى نيابة قصر النيل لبدء التحقيق معه، تقدم أحمد خيري واستقبله في مكتبه، وكغير العادة كان استقبال أحمد لافتاً لكل زملائه حتى محمد جمعة الذي سيحقق مع سلمان بعد دقائق، قدّم الساعي القهوة التي طلبها سلمان، نظر أحمد إلى سلمان وقد بدا عليه التعب والإرهاق الشديد فهو طوال الخمسين عاماً لم يتعرض لمثل هذا الموقف، أخذ سلمان فنجان القهوة، ثم رشف منه وعاد بنظره إلى أحمد مرة أخرى قائلاً:

- أنا مش عارف يا أحمد كان مستخبيلي دا فين؟

قال أحمد في خجل:

- أكيد يا عمي الأمور فيها حاجة غلط، وكل شيء هيبقى تمام.

- أنت عارفني كويس يا ابني أنا صديق والدك الله يرحمه وأنت أخ لمالك ابني، (شرد قليلاً ثم أردف قائلاً).. شوفت صاحبك ولا فكّر ييجي يشوف أبوه في زنقة زي دي.. مش معنى إننا مختلفين إنه يستغنى عني.. يلا مش مهم.

- لا ياعمي ماتقولش كدا.. مالك شغال على القضية كويس.. كده هو بيساعدك بس من غير ما يظهر معاك في الصورة.. مالك صاحبي وانا أعرفه كويس.

- الظاهر إن الواحد عاش عمره دا كله وهو مايعرفش مين صاحبه من عدوه.

- لا ياعمي ماتقولش كدا على مالك.. دا إحنا عشرة سنين.

ابتسم سلمان قائلاً:

- أنا كنت بقول زيك كدا لحد لما عزت لبسني قضية من غير أي ذنب.

ربت أحمد على ساق سلمان:

- ماتضايقش نفسك يا عمي، صدقني كلها كام يوم والعيال اللي اتقبض عليهم هيعترفوا.. وماتقلقش أنا هكون معاك في التحقيقات.

مدّ يده والتقط هاتف المكتب، واتصل بمحمد جمعة وطلب منه أن يحضر إلى مكتبه وفي وجوده، فهم جمعة ما يقصده أحمد وفعل ما طلبه. تقدم محمد وجلس إلى المكتب، بينما جلس سلمان في المقعد الذي أمامه، وجلس أحمد في المقعد المقابل لمقعد سلمان، وبدأ التحقيق:

- اسمك.. سنك.. عنوانك؟

- سلمان محمود.. ٥٥ سنة.. مدينة نصر.

- ما قولك في التهم المنسوبة إليك بقتل هند جلال؟

- ماحصلش أي حاجة من اللي حضرتك بتقوله.

- يا أستاذ سلمان ترد بإيه في اتهام شريكك عزت الشامي بقتل مراته؟

أجابه في ثقة:

- أي حد يقدر يتهمني بأي اتهام.. أنا ممكن أنزل أعمل محضر لحضرتك دلوقت وأقول فيه إنك سرقت عربيتي.

- من واقع أقواله في المحضر بيقول إن حصل بينكوا مشادة كلامية بخصوص بعض الأمور في الشغل، وإنك هددته بقتل مراته بسبب إنها بتتدخّل في إدارة الشغل.

ابتسم سلمان ثم عقد ذراعيه إلى صدره قائلاً:

- هو قال كدا؟

- دي أقواله في المحضر.

- مش قادر أفهم هو بيعمل كدا ليه؟ بص يا حضرة الوكيل عزت بيحاول بأي شكل إنه يستحوذ على الإدارة لوحده.. مش بعيد يكون هو اللي قتل هند عشان يلبسني الموضوع كله ويبقى كدا ضرب عصفورين بحجر.

- ممكن توضح؟

- أنا هتسجن ومراته اللي وجعاله دماغه وبتستغله في كل حاجة خلص منها كدا تفضله الشركة لوحده هو.

شعر المحقق بالمراوغه من جانب سلمان فجاء رده في حدة:

- بس اللي أنت ماتعرفهوش إن فيه سيدة تُدعى نسرين وهبه اتقتلت بنفس الطريقة.

ظهرت على سلمان علامات التعجب، فأردف الوكيل وهو ينظر إلى أحمد خيري قائلاً:

- هو أنت مش متابع حلقات ابنك اللي بيكتبها في الجرنال عن القضية دي؟

تدخل أحمد في الحوار لتغيير مساره قائلاً:

- الأستاذ سلمان مش متعود يقرأ جرايد من زمان.. المهم دلوقت يا جمعة حاول تكمل تحقيقك في مساره.

تدخّل سلمان:

- لحظة واحدة يا أحمد. (ثم وجه كلامه إلى جمعة قائلاً)، كدا اتهام صريح من حضرتك إني قتلت الاتنين؟

- المفروض اللي قتل الأولى يبقى هو اللي قتل التانية.

- بس أنا ماعرفش مين نسرين وهبه دي.

- كله هيبان في التحقيقات.

الفصل الثالث عشر
قاب قوسين

قبل مقتل نسرين بشهرين
الزمالك The coffee Bean

جلس بجسده البدين على كرسي البار العالي، ووجّه إلى الطريق المكتظ بسيارات التاكسي والميني باصات المتجهة إلى مطلع الكوبري، جلس يدخن ويحتسي العصير، ينظر إلى ساعة يده ويتراجع عن الاتصال بها، تأخرت عن الميعاد المتفق عليه ساعة إلا ربع، تجاوز اتصاله بها سبعة مرات فائتة متتالية بين الأولى والسابعة ثلاث دقائق، زاد من معدل تدخينه للسجائر فافترس أحدى عشرة سيجارة دُفنت في المطفأة، انتهى من الكوب الأول ثم طلب الثاني، مازالت تتجاهل اتصالاته، على الرغم من أنها لا تبعد مسافة كبيرة من الموقع المحدد للمقابلة، تتأنى في خطواتها، تعمدت إلا تستقل سيارتها لتتأخر، فلينتظر أكثر وأكثر، هو الذي يريد، وهو الذي طلب المقابلة، ففي تلك المسافة التي لا تتجاوز العشر دقائق، كانت تفكر لماذا أنا ذاهبة لهذا الشخص المتطفل دائم السؤال، فربما محاولة إقناع عزت للتأمين على حياته سيعود بالنفع الكامل لها بعد مماته، شعرت من كلماته أنه غريق ويحتاج إليها لتنقذه من الغرق بطوق النجاة قبل أن يغرق وتنفجر رئته، وهو بالفعل سينفجر الآن من طول الانتظار، نظر إلى ساعته مرة أخرى، لن يستطيع كل هذا صبراً، ولكن من أجل صيد ثمين لابد أن يلقي بسنارته، فالطعم الذي يملكه سيأتي له بالحيتان وسيجلب له الكنز المنتظر، التعويض الذي يستحقه، الأدلة التي معه لا مفر من إنكارها، سترضخ لكل

طلباته عندما يقذف في وجهها كل الأسلحة التي معه، سأل نفسه كم الوقت سأنتظر تلك الملعونة؟ زفر آخر نفس في سيجارته المقتولة، لاحظ أحد العاملين بالمكان أنه قد انتهى من كأسه الثاني، فتقدم إليه ليسأله هل يريد مشروباً ثالثاً؟ أخبره أنه في انتظار ضيف وسوف يشرب معه، انصرف النادل في انتظار ضيفه، مرة أخيرة أعاد الاتصال بها وقبل أن ينتهي صوت الجرس في أذنه جاء ردها سريعاً، جاء قائلاً:

- ٣ دقايق وهكون في المكان.. بلاش تتصل تاني.

انتظر حتى تجاوز الوقت عشر دقائق، دلفت إلى الكافيه الضيق، تقدم لها ودعاها إلى الجلوس على طاولة مجاورة للبار، انطلق النادل كرصاصة تعرف اتجاهها وتساءل في أدب جم:

- حضرتك تشربي حاجة؟

أجابت وهي تضع حقيبتها على الطاولة وتعتدل في جلستها:

- ممكن أشرب نسكافيه.. سكر خفيف.

انصرف النادل إلى طريقه ليحضر ما طُلب منه، وضعت هند ساقاً فوق الأخرى، نظرت إلى سعيد بابتسامة صفراء:

- ها.. خير؟

أجابها سعيد في تحفز واضح:

- كل خير أكيد.. أنا عايز أعرفك بنفسي الأول.. سعيد وهدان.

فقطبت جبينها وقالت:

- أنت مش في التليفون قولتلي اسمك عمر حليم؟

- دي أول معلومة غلط.. تاني معلومة غلط إن أنا مش جاي بخصوص

موضوع التأمين على الحياة من شركة "اليكو" زي ماقولتلك.

اعتدلت قليلاً في جلستها، تقدّم النادل ووضع كوب النسكافيه على الطاولة، وكأنه لم يقل شيئاً، أخذت تتذوق المشروب الساخن، وضعت ملعقة سكر وأخذت تقلبه، نظرت إليه في ثقة اهتز لها سعيد:

- عايز إيه؟

أخرج من جيبه ظرفاً أبيض به مجموعة من الأسطوانات ووضعها أمامها، رشفت من الكوب قليلاً، ثم تقدمت بيدها والتقطت الظرف وفتحته، وجدت أيضاً ورقة بها قائمة من الأسماء التي كانت قد طلبت من نسرين أن تسجل مكالماتهم، أتى اسم عزت في القائمة، ابتسم بعد أن رأى ملامح القلق على وجهها، قال وهو يعود بظهره إلى المقعد:

- حافظ كل كلمة فيهم، في حد يسجل لشريك حياته برضه؟ معلش ربنا شفاهولك من كلامه القبيح مع البنات.. بس دا طلع نمس وشقي.

ضحك وهو يمسح جبينه الذي يتصبب عرقاً..

ألقت الظرف على الطاولة وبدأت تهز ساقها، ثم نظرت له وابتسمت في ثقة:

- وأنت بقى شغال مع نسرين؟

جاء رده بشيء من السخرية:

- برافو عليكي.. فعلاً زي ماتوقعت.. ذكية ولماحة.. بس تصحيح للمعلومة.. أنا كنت شغال مع اللي كان بيسجل لحضرتك المكالمات، واللي كان بيقسم مع نسرين.. إبراهيم.

- ادخل في المهم.. طبعاً عايز فلوس والحوار الرخيص دا.

- طب بذمتك.. واحد مطرود من شغله ظلم، وبقاله فترة منوّر الحاجة في

البيت عايزاه يطلب إيه غير كدا؟ بسبب طمعك وطمع نسرين وإبراهيم أنا اتطردت من الشغل من غير أي ذنب.. بس عارف ازاي أجيب حقي كويس.

- روح خد حقك منهم.. هو أنا اللي طردك من الشغل؟

- لا.. بس تقدري تساعديني إني أرجع إنسان تاني مش مهزوم ولا مكسور زي ماعملوا فيا.. الفلوس هاخدها بس مش منك.. أنا اخترتك تكوني الوسيط إني آخد الفلوس من نسرين وإبراهيم.. اللي أنت هتساعديني فيه تاني إنك تشغليني في شركة جوزك الضعيف..

قاطعته هند في حدة:

- دا أنت كمان طلعت عبيط.. هو دا كل طموحك؟ بص يا قمر.. الفلوس اللي أنت عايزها روح اطلبها من اللي ادوك على قفاك.. أنا مش وسيط لحد.. ولو على الشغل فأنا آسفة مش بشغل صيع عندي.. ماعنديش كلام تاني أقولهولك.

- عموماً فكّري ورقمي عندك.. بس لازم تعرفي حاجة مهمة جداً.. إن النعيم اللي انتي عايشة فيه دا مش هتلحقي تكمليه؛ لأن الآخر بالنسبة لك هيقرب.

- شكلك مجنون ياض.. بس عاذراك عشان أنت ماتعرفش مين هند جلال كويس.

نهضت واتخذت الطريق خارج الكافيه مقصدها بعد أن حملت حقيبتها، لم يُبالِ سعيد بما فعلت، ولكنه لاحظ أنها التقطت الظرف بمحتوياته وذهبت، يملك غيره، شرد قليلاً قبل أن يخرج من الكافيه، وتساءل هل ما يفعله سيذهب به في غيابة الجُب أم سيُعوض ما فُعل به؟

***

مبنى النيابة

تقدّم إبراهيم في خطى ثابتة. لم يظهر عليه التوتر أو الانفعال كما كان عليه سعيد. دلف إلى غرفة الوكيل، جلس ويداه مكبلتان بالأصفاد. انتظر نصف ساعة حتى تقدّم كاتب النيابة وجلس بجوار المكتب الخاص للوكيل. بعد عشر دقائق أخرى من الانتظار دلف محمد جمعة إلى الغرفة. جلس ثم أخذ يقلب في الأوراق التي أمامه، بينما أخذ إبراهيم يتأمل بنظره الغرفة. لا يبالي بشيء حتى أنه لم يلاحظ دخول الوكيل إلى الغرفة. بدأ الوكيل يملي على الكاتب:

عُرض علينا المحضر ٣٦٥١ لسنة ٢٠٠٩ بمعرفة النقيب آدم عواد، أثبت به حضور السيد/ إبراهيم عطا الله جاد. ووفقاً لتحريات المباحث وما هو مدوّن في محضر قسم قصر النيل قيام السيد/ إبراهيم عطاالله جاد بقتل السيدة/ هند جلال، وقد جاء في تقرير المعاينة من قبل المباحث أن القاتل اتبع نفس أسلوب قتل المجني عليها السيدة/ نسرين وهبه التي قُتلت من فترة تجاوزت الستة أشهر، وقد تبيّن أن القاتل استخدم نفس أسلوب القتل، مما يدل على أن الجاني واحد، وبالاطلاع على تقرير الطب الشرعي للمجني عليها نسرين وهبه تبيّن أنه اتبع نفس أسلوب القتل من ذبح واغتصاب للمجني عليها الأولى والثانية، وسيتم إرفاق تقرير الطب الشرعي للمجني عليها الثانية حين الانتهاء منه.

- ما قولك فيما هو منسوب إليك من أنك قمت بقتل كل من نسرين وهبه وهند جلال؟

- ماحصلش.

- أين كنت موجوداً حين تم القبض عليك؟

- كنت في البيت في مدينة نصر.

- ما الذي حدث إذاً؟ وما هي ظروف ضبطك وإحضارك؟

- أنا كنت موجود في شقتي في الدور الرابع، لقيت آدم بيه بيقتحم الشقة، وكتفوني وأخد موبايلاتي ومفاتيح الشقة والعربية، وجروني على القسم.

أشعل جمعة سيجارة ثم سأله:

- من التحريات التي قُدّمت من طرف المباحث تؤكد تورطك مع نسرين في تسجيل بعض المكالمات لعملاء داخل الشركة خارج إطار القانون ما قولك في ذلك؟

صمت ولم يعقب، أردف جمعة قائلاً:

- ما قولك فيما هو منسوب إليك من حصولك على مقابل مادي من نسرين في مقابل مساعدتها في تسجيل المكالمات الهاتفية؟

لن يصمت كثيراً دون إجابة فقرر أن يعطيه ما يريد قائلاً:

- كنت مضطر أعمل كدا.. كنت محتاج فلوس لظروف خاصة عندي.

- ظروف إيه؟

- حاجات شخصية.

- وبعدين؟

- نسرين عرضت عليا كمسئول عن الشبكات إني أسجل المكالمات لأرقام معينة، طبعا دا شيء صعب جداً، لكن أنا قدرت أعمل كدا، وخصوصا لما عرفت المبلغ اللي معروض عليا.

- لماذا حدثت بينكما مشادة كلامية داخل الشركة؟

- كانت مصممة إني أكمل الموضوع دا.. رفضت فهددتني، حسيت إني مش هقدر أكمل الموضوع دا وخصوصاً لما أمي جالها المرض الخبيث.

- وبناء على رفضك وتهديدها لك وخوفاً من الفضيحة والطرد من العمل اتخذت قراراً بقتلها؟

- لا طبعاً.

- بماذا تفسر اختفاءك بعد مقتلها وتنقلك داخل أنحاء الجمهورية؟

- كانت حالتي النفسية سيئة جداً ومعايا تقارير تثبت كدا، فكان أول حل بالنسبة لي إني أغير جو وأسافر.

- هل كنت على علم لمصلحة من كانت تقوم بتسجيل المكالمات؟

- ماكنتش بسأل.. المهم إني آخد الفلوس.

اتكأ جمعة على مرفقيه واقترب منه قليلاً:

- ما هي المبالغ التي تقاضيتها نظير ذلك؟

- حوالي خمسين ألف جنيه.

- بعض شهود العيان في الشركة قالوا إنك توعدت لنسرين بالقتل.

- ماحصلش.

- تحب أدخلّك شهود العيان؟

قالها وهو يعيد ظهره إلى الخلف.

- اللي تشوفه سيادتك.

-أين كنت موجوداً يوم مقتل نسرين وهبه؟

- مش فاكر.

- أين كنت موجوداً يوم مقتل هند جلال؟

- أعتقد كنت راجع من الصعيد.. مش فاكر.

- هل لديك شهود على ما تقوله؟

- أها.. أمي.

- ما هي علاقتك بهند جلال؟

- ماعرفهاش.

بحدة في كلامه قال:

- إزاي ماتعرفهاش وهي اللي كانت بتدفعلك الفلوس عن طريق نسرين؟

- ماكنش يهمني مين اللي بيدفع.. المهم آخد الفلوس.

***

تقدمت عايدة ودلفت إلى القسم، أحضرت معها بعض الأغراض التي سيحتاجها سلمان. شعرت أن الأمور ستزداد سوءاً إذا لم يتغير الوضع الذي أصبح فيه. الانهيار قريب، ولماذا قريب؟ الانهيار آتٍ، لا تشعر هي بذلك، أو تكابر كلما شعرت. فالشرخ الصغير في الجدار لا يلاحظ فإذا مر عليه وقت من الزمن وضح كالشمس للغير، ومع أقرب حمل سينهار الجدار. الآن هي مرحلة الضغط وغداً حتما سيأتي الانهيار، سيذوب كل شيء ككرة جليد تداعبها خيوط الشمس. تشعر دائماً أنها لا تحتاج لأحد في هذه الحياة. ولكن اليوم فعلت ما تفعله أي زوجة مع شريك الحياة. والعمر الممزق، الأسرة المشتتة. كل فيها يُغني على ليلاه. جنح مالك بما يريد، وتخلص من ندوب عقله وفكره وما صنعته به. وسلمان الذي بنى صرحه ثم اصطدم في جدار عالٍ. والآن قد تفكر في تقريب المسافات. وقد تفكر في أن العمر قد مضى ولن تستطيع إصلاح شيء، ولماذا تبدأ هي بالإصلاح؟ أين رب الأسرة؟ لن

يحرك ساكناً. فليكن ما يكون، ولتسِر الأمور في دروبها المكتوبة ولتسِر المراكب بدفع تيارات الهواء والمياه دون توجيه.

رأته جالساً في حزن بعد أن تم استدعاؤه من الحجز. يحاول آدم دائماً أن يحسن معاملته على غير العادة. يفكر بدوافع وجود سلمان في هذا الموقف. ستأتيه الإجابة حتما عما قريب.

جلس سلمان في دجنة أفكاره المؤلمة، وعلى غير عادة كان رثّ الهندام كث اللحية. اقتربت منه ثم ربتت على كتفه. سمعت منه ما تم في التحقيقات. ستأخذ الأمور وقتاً. فتلك القضية من الصعب أن تُغلق دون وجود جانٍ حقيقي، أي طريق سيؤدي إلى القاتل ستسلكه النيابة. قدمت له عصيراً معلباً وساندوتش ليأكله. سألته في هدوء:

- وليه مايكونش عزت هو اللي عمل كدا؟

نظر لها وهو يمضغ بقايا الطعام:

- إنت بتسأليني أنا ليه؟ لو عندك دليل ضده قدميه للنيابة.

- يعني إنت فيه دليل ضدك.

- لحد دلوقت لا.. بس السكرتيرة شهدت إني هددته إني هقتل هند.

- طب أنا هكلم المحامي يحاول يعمل أي حاجة.

تشدق قائلاً:

- كلميه..

- حقك عليا.

الصمت ساد في المكان قليلاً. عادت مرة أخرى تسأله:

- ماكونتش مأمن نفسك ليه؟

- أأمَن نفسي ازاي؟

- تمسك عليه أي حاجة وتبقى دي قصاد دي.

- والله؟ مانت بتفكري حلو أهو.. وبالنسبة لمراته برضه أأمن نفسي ازاي؟ مانت عارفاها وقابلتيها كذا مرة، وشوفتي تعاملها ازاي، كويس إنك ماتعاملتيش معاها في شغل.. دي واحدة ربنا بس العالم بيها.

نظرت له متسائلة:

- ومين قالك إني ماتعاملتش معاها في شغل؟

وهنا توقف عن مضغ الطعام، وترك ما تبقى في يده واعتدل في جلسته:

- اتعاملتي معاها في إيه بقى؟

- جت لي الوزارة كذا مرة وعرضت عليا إني أشتغل معاها.

- شغل من أنهِ نوع؟

-ويهمك في إيه تعرف؟

- تاني يا عايدة، ماكفكيش اللي حصل هتفضلي تكابري لحد إمتى؟

- صدقني معلومات مش هتفيدك.

بالفعل لن تفيد هذه المعلومات سلمان بشيء، ولن تُخرجه من الأزمة التي ألمّت به. هند تسعى دائما لكي تستغل أي طريق يُفتح أمامها، اعتقدت في بادئ الأمر أن عايدة قد تكون طريقاً لجلب المال، ولكن أي امرأة تعتقد أن هذا سيحدث بيسر؟ طمعت أن تكون لها شريكة في مشروع من إعدادها مثلما فعل زوجها مع سلمان، ولكن عايدة لا تكرر أخطاء الآخرين، لن تسقط في وادي الأفاعي -هند وعزت- جمع الله بينهما ليصبح كلٌّ منهما على حدة، قطباً من أقطاب المنفعة والمصالح الشخصية على حساب أي شيء،

تسلك هند الطرق لتعويض سنوات العجاف في الحي القديم، طلبت عايدة منها أن تقلل زياراتها داخل الوزارة، وعندما حاولت هند أن تعوض هذا بالزيارات المنزلية رفضت عايدة بكل صراحة، وقالت إن الله خلق الهواتف للتواصل أيضاً.

بحكم المشروعات التي تدخل فيها الوزارة مع الشركات الخاصة أصبح وجودها كثيراً داخل مكتب عايدة، دلفت هند إلى مكتب عايدة في إحدى الزيارات التي كان يجلس حسني محفوظ يتحدث مع عايدة، تعرف كلٌّ منهما إلى الآخر، قرأ حسني هند وأخذ يتحدث معها بعد أن خرجت عايدة من المكتب، بعد أن استدعاها أحدهم في أمر ما، لن يترك تلك الفرصة تذهب، فقدم نفسه كمدير في إحدى الشركات الكبيرة، رائحة عطرها تفوح داخل الغرفة، تُسكره وتذكره بكل ما يعشقه في المرأة، استطاع أن يلتقط رقم الهاتف منها اعتقادا منه في سهولة إقامة علاقة صداقة أو ما شابه معها، أما هي فرأت فيه طريقاً إلى بيزنس جديد.

***

- صدقني يا مالك مش هيفيد كل اللي بيحصل دا.

- ولازمته إيه تكسير المقاديف؟

- مش كده خالص والله.. أنا بس حاسة إنك مش ماشي صح في القضية.

- ليه يا ست يارا؟ ليكي وجهة نظر تانية؟

- آه طبعاً.

- تسمحي لي أعرفها.

- إيه تسمحي لي دي؟ إنت بتتكلم رسمي كدا ليه؟ عموما هشرحلك.

أخذت تتجول والهاتف يحتضن أذنها اليسرى، مختفياً داخل خصلات شعرها. قالت وهي تجلس إلى طرف السرير:

- بص يا سيدي.. لو إبراهيم فعلاً القاتل ماهربش ليه بعد ما قتلها؟ وكمان إنت كنت كاتب في الحلقة الأخيرة إن طريقة القتل متشابهة تمام زي بعض.. طب إبراهيم يعرف هند منين؟

- منين؟

- أنا اللي بسألك يا ناصح.

- الله أعلم.

- إبراهيم مالهوش مصلحة في قتل نسرين.

- أمال مين اللي له مصلحة.. منك نستفيد يا أستاذة.

- من غير تريقة.. ممكن يكون سعيد وهدان.. لما اتطرد من الشغل حاول يعوض طرده فبدأ يسعى للانتقام.. ممكن يكون قدر يوصل لهند وانتقم من الكل.

- دا على أساس إن إبراهيم ميت؟

- لا إبراهيم هيسيبه عايش عشان يلبسه القضية.

- ماهو سعيد في القضية برضه.

ضحكت وهي ترفع خصلات شعرها إلى أعلى:

- البركة فيك يا لوكا.

- عموماً أنا مش مقتنع.

- مش مهم أنت المهم النيابة.

- ماشي.. عايزة حاجة؟

قطبت جبينها:

- إيه المعاملة دي.. الحق عليا إني بحاول أساعدك!

- متشكرين يا افندم.. أنا أصلاً مش فاضي لكل الكلام دا

- خلاص روح شوف شغلك.. مش عايزة أعطلك.

- طب.. سلام.

أغلق الخط قبل أن تجيبه بالسلام، أخذت تسير ذهاباً وإياباً داخل الغرفة وتساءلت في حيرة من أمرها من يمكن أن تكون له مصلحة في قتلها غير سعيد؟ وما هو الدافع الرئيسي للقتل؟ هل من أمور خفية في حياة نسرين لا تعلمها؟

***

لم يتغير في شيء رغم ما حدث، استمرّ على ما كان عليه، في بادئ الأمر حاول أن يتظاهر أمام العاملين في الشركة بالحزن، ولكن بعد أسبوع عاد عزت كما هو، عندما يعود إلى المنزل يلتقط الهاتف ويتحدث مع اللاتي يشبعن ما يريد، تركت هند خلفها ثروة صُدم عندما علم أنها كانت تمتلك كل هذه المبالغ بالبنك، أحد عشر مليون جنيه بجانب ما كانت تمتلك من الحُليّ والذهب والمجوهرات واللوحات الفنية والأنتيكات التي ملأت بها المنزل، لم تقص عليه يوماً ماذا تريد أن تكون، الأحلام لا تحتاج أن تُحكى للآخرين، الأحلام تُرى على أرض الواقع بالأفعال، كانت تفعل، تحلم في غرفتها ثم تحول كل أحلامها إلى حقيقة، ثم تحول كل شيء إلى كابوس مفزع، ثم قُتلت وهو لن يبالي بشيء، إن عاشت أو قُتلت فتلك المرأة كانت قادرة على زرع حبال الشوك بينهما.

سينفض كل هذا الهراء ويتركه خلفه. سيهتم أكثر بمشاريعه، تخلص منهما أخيراً. الأول الذي حاول أن يقف له داخل المؤسسة والثانية هناك رجل آخر صنع له معروفاً سيشكره عندما يراه داخل قفص الاتهام، لا يهم الآن أن يفكر فيما مضى، المهم أن يضع خطوات لكي ينطلق كقطار سريع على قضيب من الذهب يعكس لمعانه على وجوه الآخرين فيزدادون انبهاراً. جلس إلى مكتبه في شقته وهو يشعل غليونه، نظر إلى أرجاء الغرفة، الآن دُفنت هند ودُفن معها الكثير من الأسرار، ما كان يشغله دائماً من أين كانت تأتي بكم المعلومات التي ساعدت في تغيير مسار عطاءات المشاريع؟ وكيف صنعت هذه الثروة؟

***

جرنال الساعة

جلس هاني وقد شرد قليلاً، العاملون يتحركون بحرية تامة، أما هو فشعر بأنه مقيد بالمقعد الذي جلس عليه، جلس في المكتب المقابل لمكتب مالك ينتظره، الغرفة خالية، ومصطفى مشغول يقسم اهتماماته بين القضية التي يحقق فيها مالك، وبين أهم الأحداث التي تدور حوله، مثل استدعاء مصر للسفير الإسرائيلي وطلب وقف إطلاق النار في غزة، وإعلان القاهرة عدم المشاركة في مؤتمر الدوحة، طلب كثيراً أن ينتقل من قسم الحوادث، ولكن قوبل طلبه بالرفض، يريد أن يبعد عن تلك الضغوط النفسية بالعمل داخل هذا القسم، يكفيه ضغوط العائلة، وضع قدمه داخل إطار ممتلئ بالدماء ولن يخرج منه، أصبح يشارك مالك في نجاح تجربتهما، ولكن أين هو من ذلك النجاح وكل شيء منسوب إلى مالك وليس له دور في شيء؟، عندما

قرر أن يترك الجرنال فكر كثيراً أين سيذهب؟ سيعود مرة أخرى إلى قاعات الأفراح؟ ليس لديه طريق آخر، تساءل في تعجب لماذا لا يشعر بثقة في ذاته وهو الذي يملك الموهبة التي تقوده إلى نجاحات عديدة، نفض تلك الأفكار السلبية التي ستأتي له بالوجع المستمر، قطع شروده دخول مالك إلى الغرفة متسائلاً:

- سرحان في إيه؟

- ولا حاجة.

لم يبالِ مالك بشيء يخص نفسية هاني، كل ما يهمه هو العمل.

- خلصت الصور الأخيرة ولا لسه؟

- أديني يوم كمان وهجيبهالك.

حدجه متسائلاً:

- يعني حلقة بكره هتنزل من غير صور؟

- معلش.. نزل أي صورة قديمة معاها.. هي القضية وصلت لفين؟

عاد مالك ببصره إلى متسلسلة الأفكار وهو يكتب بعض النقاط:

- بيحققوا مع إبراهيم.

- وأبوك؟

نظر له مالك دون أن يعقب.

- إيه ياعم هو أنا قلت حاجة غلط؟

وهو مستمر في الكتابة:

- لا ياعم مافيش.

تساءل هاني في تلقائية:

- تفكتر يا مالك مين هيلبس الليلة دي؟

- مش هتخرج عن سعيد وإبراهيم.

- يعني مش صعبان عليك صاحبك يبلس قضية زي دي؟

موجهاً له الكلمات كمدرس يشرح له خطأه:

- أولاً سعيد مش صاحبي.. مش كل شوية تقولي صاحبك.. صاحبك.. ثانياً اللي يغلط أي غلط أيا كان يستاهل اللي يجراله، ونفسي بقى تبطل العبط اللي أنت فيه ده، قلت لك ١٠٠ مرة مافيش حد بريء على كوكب الأرض.

حدجه بعينه ثم كرر الجملة الأخيرة مرة أخري:

- أي حد يا هاني.

ابتسم هاني في سخرية:

- كل واحد عارف أعماله إيه يا زميلي.

- بالظبط كدا.

- مع إن اللي زيك مش محتاجين يعملوا حاجة.. الفلوس اللي عندهم مالية البنوك.

- والناقص طول عمره شايف نفسه ناقص حتى لو غَرف في الشكاير فلوس.

- عارف يا زميل.. ساعات الواحد بيغلط غلطة يفضل يدفع تمنها عمره كله.

- عشان غبي مش بيتعلم من اللي فات.

- صح يا مالك.. إنت صح.

ابتسم مالك:

- عرفت بقى ليه هوصل؟

- آه عرفت.. إنت داهية كبيرة.

- يا ريت بقى تتعلم من الداهية اللي معاك.. وكمان بطل التوتر اللي بتبقى فيه دا ساعة الشغل.. إنت مش بتشوف نفسك عامل ازاي.. آدم مش سهل وصايع.

- ماهو اللي إيده في المية مش زي اللي إيده في النار.

- أنا وأنت إيدينا في النار سوا.

- عموماً ماتقلقش يا زميل.. أنا من العمرانية برضه.

ملوحاً له بيده:

- بلاش بس النفخة الكدابة دي.. أهو أنا اللي من مدينة نصر ممشيك ورايا زي الفرخة الدايخة.

- حقك تقول أكتر من كدا.

ضحك مالك بصوت عالٍ على غير العادة، فدلفت هناء الغرفة كمن استدعتها النداهة:

- أول مرة أشوفك بتضحك كدا؟

- عشان ساعات الغباء بيضحّك.

نظرت إلى هاني ثم ضحكت:

- صعبان عليا يا هاني.. أصلك ماتعرفش مالك كويس.

نهض هاني واتجه ناحية باب الغرفة:

- خليكي انتي معاه.. ما انتي بتعرفي تتعاملي معاه كويس.. (ثم قال متحدثاً لنفسه وهو يخرج من باب الغرفة) أصلك خدامة لأي كِيف.

***

بعد عشرة أيام استقر تقرير الطب الشرعي داخل درج النيابة، تلك الوريقات التي ينتظرها الجميع، إما ستضع حبل المشنقة حول المتهمين أو ستطلق سراحهم، ويستمتعون ويعوضون ما مرّ بهم من أزمة. جاءت سطور التقرير تحمل ما فعله الجاني بهند:

بالكشف الظاهري للجثة تبين أنها لامرأة في العقد الخامس من عمرها، الجثة عارية تماماً.. وُجدت رابطة عنق (كرافتة) من موديل التسعينيات مزكرشة القماش ملفوفة على العنق، ومعقود من الأمام بعقدتين.. وُجد أسفل رابطة العنق ذبح عنقي.. وجود مظاهر أسفكسيا الخنق.. عدم وجود أي آثار لقشور جلدية تحت الأظافر.. وجود بعض السحاحات مما يدل على وجود مقاومة.. وجود مظاهر اغتصاب.. وجود أثر لنصف بصمة مدممة بشرية على رابطة العنق من عند الطرف.

الصفة التشريحية:

الرأس:

لم يتبين بالفروة أي انسكابات دموية.. عظام القبوة خالية من الكسور.. عظام القاعدة خالية من الكسور.

العنق:

تلوثات بلون بني محمر بالأنسجة الرخوة حول الحنجرة مع كسر بالقرن الأيمن للعظم اللامي.. الغضاريف الحنجرية مذبوحة بعمق ٣ سنتيمترات.

الصدر:

عظام القفص الصدري والأضلاع خالية من الكسور.. التجويف الصدري به سائل ارتشاحي مدمم يقدر بحوالي لتر بكل جانب.. الرئتان منكمشتان وينتشر

فوق سطحهما نقطة نزفية.. القلب بحالة عادية.

العضو الأنثوي:

وجود بقايا للسائل المنوي.. عضلات المهبل في حالة انبساط..الرحم في حالته المستقرة.. وجود بقايا دماء متجلطة داخل المهبل.

طلبت النيابة على الفور التقرير الخاص بمقارنة العنيات المأخوذة من المتهمين بعينات الموجودة بمسرح الجريمة.

ما هي إلا أيام، وسيظهر كل شيء في سماء الحقيقة.

***

الفصل الرابع عشر
جرنال الساعة

الليل وما يحمله من هدوء وبمصاحبة كوب الشاي بالنعناع وبعيداً عن صخب العاملين داخل الجرنال، وبعيداً عن متابعة الآخرين على فيس بوك، جلس مالك في مكتبه، وقد تجاوزت الساعة الحادية عشرة مساءً، لا أحد يسير بالشارع؛ فالهدوء هو المسيطر على تلك المنطقة في هذا التوقيت، جلس يفكر ويرسم داخل متسلسلة الأفكار أكثر الأشكال والأحب إلى قلبه، رسمة الكومي في ورق اللعب، سمح له المناخ العام بالغوص في الأحداث التي لا تنتهي ما دامت الحياة تسير، جلس في انتظار ضالته؛ بالأدق كان في انتظار ما يؤكد براءة أبيه، هو لا يشعر بأي تعاطف تجاهه، ولكن في بعض الأحيان يرى أنه لا يستحق كل ما وصل له الآن، لا يهم ما فات، المهم القادم، يؤمن بأن أي إنسان له القدرة على إخفاء الحقيقة عن الأنظار، عاهد قلمه أن يركض لكي يصل إلى مبتغاه.

طال تفكيره وتأمله في الأحداث حتى قفزت يارا إلى ذهنه، تجاوزت الساعة الحادية عشرة، هل يسمح الوقت أن يهاتفها؟ فكر قليلاً ثم قرر محادثتها، ما يدفعه إلى ذلك أنه لا يحتمل أي اعتبارات لما يجوز أو لا يجوز، ضغط على زر الاتصال، لم ينتظر كثيراً حتى جاء صوتها الهادئ:

- يارا.. إزيك؟ نايمة؟

- لا يا مالك أنا صاحية.. إزيك؟ خير يا مالك؟

كالمدفع أطلق قذيفته دون انتظار:

- فاكرة لما حكيتي لي على الخناقة اللي حصلت بين نسرين وإبراهيم؟

زفرت وقد شعرت عندما رأت اسمه أنه يتحدث لأمر آخر تنتظره منذ فترة كبيرة. قالت في حنق:

- آه.. فاكرة.

- طب فاكرة أي طراطيش كلام وصلك أو سمعتها في كلامهم وسط الخناقة؟

صمتت لبرهة ثم قالت:

- ممم.. كل اللي فاكراه إنه كان بيقولها مش هشتغل كدا تاني.. ولو صممتي على أسلوبك دا معايا مش هيحصلك طيب.. حتى أنا أستغربت ولما سألتها ماتكلمتش معايا في الموضوع دا وقفلته.

- هل كان يقصد إنه يهددها بالقتل؟

- ماعتقدش.. دي نرفزة كلام.. وأنا لسه عند رأيي إن إبراهيم مالهوش علاقة بالموضوع دا خالص.

- يارا أنا ماطلبتش رأيك!

ارتفعت نبرة صوتها قائلة:

- إنت بتتكلم كدا ليه؟

- معلش.. أنا بحاول أفكر معاكي عشان أوصل لحاجة وانتي بتتفزعي بالكلام.. طب انتي ماكنتيش تعرفي هي وإبراهيم إيه الشغل اللي كان بينهم؟

ترددت قبل أن تجيبه:

- هي ماقلتليش حاجة.. بس فضولي خلاني أدوّر على اللي مخبياه عني.. كنت بحاول أحميها من نفسها.. كان كل همي إنها متكونش بتعمل حاجة تسيء لنفسها ولسمعتها في الشغل، وكمان عشان ماتمشيش من الشغل وتسيبني.

- ووصلتي لحاجة؟

- أكيد أنت عارف.

- طبعاً عارف بس أنا عايز أعرف انتي وصلتي لحاجة؟

- وصلت للي أنت وصلت له.

- طب انتي في الفترة الأخيرة قبل ما تتقتل مالاحظتيش إن فيه حد زارها في البيت أو المكتب، أو هي حكتلك عن حد جديد دخل حياتها؟

- أسئلتك كترت قوي.. هو تحقيق ولا إيه يا أستاذ يا صحفي؟

- عارف إني تقلت عليكي بس الموضوع انتي عارفه قد إيه مهم وصعب.

- حاضر يا سي مالك.. أنا ماقدرش أرفض لك طلب.. بص هي قبل ما تتقتل بحوالي شهر ونص كدا جاتلها واحده صاحبتها ومعاها راجل تاني.

- صاحبتها مين؟ ومين الراجل دا؟

ترددت وصمتت لفترة.. انفعل مالك قائلاً:

- ما تخلصي يا يارا.. انتي هتنقطيني بالكلام؟ صاحبتها مين؟

بتردد:

- هند.. هند جلال.

- وحضرتك بقى كنتِ عارفه إنها على علاقة بهند جلال؟

- أكيد أنت عارف إن أنا كنت قريبة منها، وحكت لي على اللي عملته هند معاها عشان ترجّع لها بنتها تاني.

- ماشي يا يارا.. اللي يريحك..

- إنت بتتعامل معايا كدا ليه؟ هو أنا مراتك يا ابني وأنا ماعرفش؟!

- مين اللي كان معاهم؟

- ماعرفهوش كنت أول مرة أشوفه.. بس ونسرين بتوصله عند الأسانسير قالتله أشوفك على خير يا بشمهندس حسني.

- حسني؟! حسني محفوظ.

***

قبل مقتل نسرين بأسبوع
سيالنترو كافيه - مدينة نصر

صاح بعصبية وقد احمرّت وجنتاه:

- يعني إيه مش عارفة؟ هو لعب عيال ولا إيه؟

جاء ردها بثبات وهدوء:

- لو سمحت أهدي شوية مالهاش لازمة الناس اللي حوالينا تسمع كلامنا.

أشعل سيجارة وبدأ في التهامها:

- هي صاحبتك مش خدت الفلوس اللي طلبتها؟ مش عارفة ازاي؟ اللي أعرفه إن الفلوس تحرك الحجر ولا إيه رأيك يا ست هند؟

رفعت حاجبها الأيمن، ومالت برأسها مقتربة منه:

- افرض إن الحجر قدامه حيطة هيتحرك ازاي يا حسني؟

- والله ماعرفش دي مسئوليتك.. عرض الأسعار المفروض هيتقدم كمان أسبوع، وأنا ماعنديش أي معلومة من اللي هيقدمها المنافسين.. ومن الآخر المشروع دا لو مارسيش عليا هيتخرب بيت الشركة وهاتطرد منها.

وضعت ساقاً فوق الأخرى في محاولة منها للتظاهر بالهدوء:

- اهدى يا قمر.. كله هيتحل.

- لا بقولك إيه الشغل دا مياكلش معايا مش على آخر الزمن حسني محفوظ يضحك عليه شوية نسوان.

اقتربت بجزعها منه وهي جالسة:

- بص.. اللي قاعدة قدامك دي تربية السيدة زينب.. سيبك من اللبس والعربية والزمالك والجو دا.. لمّ الليلة عشان أعرف أساعدك.. هكلمها دلوقت على التليفون وهوصل لحل معاها.. استنى.

أخرجت هاتفها المحمول وهاتفت نسرين.. لم تجِب في المرة الأولى.. وفي الثانية جاء صوتها:

- ألو.. إزيك يا نسرين.

قاطعها حسني بانفعال قائلاً:

- أنتِ لسه هتقضيها سلامات؟

- ماقولتلك استنى.. (وتابعت موجّهة حديثها إلى نسرين) بصي يا نسرين حسني محفوظ قاعد معايا وعايز يعرف راسه من رجليه.. هتقضيله المصلحة ولا خلاص مش هينفع؟

- الناس اللي معايا مش راضيين خالص.. وهددوني لو استمريت في اللي بطلبه منهم هيفضحوا أمري، وممكن توصل إنهم يقتلوني.

- يقتلوكي؟ مجانين دول ولا إيه؟ طب خلاص هاتي المبلغ اللي أخدتيه.

- آسفه يا هند المبلغ اتصرف.

- نعم؟ قلتِي إيه يا قمر؟

أسرعت وضغطت على مكبر الصوت بالهاتف لتسمع حسني ما قالته:

- الفلوس اتصرفت ومش هقدر أرجعها.

وهنا لم يتمالك أعصابه وصاح بصوت عال مصاحباً بصوت من أنفه:

- نعم يا روح أمك؟ شوية نسوان شمال زيكوا هيصيعوا عليا أنا.. أنا أقدر أخفكيوا.. هخلي أهاليكوا يعيطوا عليكوا بدل الدموع دم.

لم تُراعِ هند وجود أحد بالمكان، ولم تراعِ المكان، وأخرجت ما ترعرعت عليه منذ الصغر، نهضت بعدما ألقت بالهاتف على الطاولة:

- لا.. إهدى بقى كدا على نفسك يا قمر.. دا أنت لازم تشوف وش السيدة اللي على حق.. بقولك إيه مالكش حاجة عندنا، ودماغك الحلوة دي تخبطها في أتخن حيطة تعجبك لما تتفلق نصين.. ولعلمك ولا هتعرف تعمل معانا حاجة. إنت لحد دلوقتي ماتعرفش هند لما تتجنن وترجع لأصلها بتعمل إيه.. هخليك تقلب بطرحة.

صُدم حسني تماماً، ألجمت كلماتها لسانه، شعر أنه إذا طال انتظاره أمامها سيفقد ما تبقى له من كرامة، أخذ مفاتيحه وعلبة السجائر واتجه ناحية سيارته، جلس بداخلها دقيقة ثم أخرج هاتفه المحمول من جيبه وهاتف هند، ردّت في قوة وعنف:

- عايز إيه؟

- خافي على نفسك أنتِ وصاحبتك.. أظن رسالتي وصلت.

- يلا غور (ثم أغلقت الخط).

***

نيابة قصر النيل

تقدم في خطوات سريعة باتجاه مكتب الوكيل محمد جمعة، كان هدفه محدداً سابقاً، يحمل بين راحتيه ملفاً من الأوراق ومغلقاً بالشمع الأحمر،

هدفه الأساسي أن يسلمه يدأ بيد، لم يجده بالمكتب، سأل أحد العاملين وعلم منه أنه موجود بمكتب أحمد خيري، تقدم واستأذن موظف مصلحة الطب الشرعي بالدخول، دلف إلى الغرفة وقدّم إلى محمد جمعة -الذي كان يجلس أمام زميله- ملف تقرير الطب الشرعي الذي يوجد بين سطوره مقارنة عينات المتهمين بالعينات التي وُجدت داخل مسرح الجريمة وبالجثث. تسلم الملف ثم دعاه للجلوس، ولكنه استأذن للانصراف، فأذن له محمد وانصرف، تلهف خيري لمعرفة ما يحتويه الملف فأسرع ليأخذه منه، ولكن أصر جمعة على قرلءته بنفسه أولاً:

- ما تصبر يا أحمد هقراه وهقولك اللي فيه.

- طب اقرأ بسرعة.

سطّر بعينه الحروف المرصوصة داخل الأوراق وبدأ القراءة ؛ في كل مرة ينتهي من أحد أوراق الملف كانت ملامح وجه تتغيّر كبحر تعلو أمواجه وتنخفض، سأله أحمد في شغفه المعتاد ماذا أتت له الأوراق من معلومات، لم يجبه وأشار له بيده أن يصبر قليلاً. تابع جمعة بعينه إحدى عشرة ورقة هي محتويات التقرير الذي بين يديه؛ قام أحمد من مكانه واتجه إلى مكان جلوس جمعة، ودفن رأسه بين كتف جمعة وبين الأوراق ليقرأ مذيلة التقرير، لم يستطِع قراءة الكلمات فسأل جمعة في لهفه ممتزجة بفضول عارم قائلاً:

- شكلك مش مطمني... خير؟

- كارثة يا خيري.

***

دلف مالك إلى غرفته، جلس قليلاً قبل أن يبدّل ملابسه، فقد اعتاد الجلوس أمام المرآة يتفحص ملامحه ويتذكر كل الأحداث التي مرّت عليه في اليوم، ينتهي من جلسته ويتحرك في بطء ليلتقط ملابس البيت ويبدأ في تبديلها، كان رأسه لا يهدأ والأفكار تتسارع في سباق فورميلا وان، قلما ما يحاول أن يزيح كل تلك الأفكار من عقله، ولكن إذا فعل ذلك لن يشعر أنه هو، تابع ارتداء ملابسه وهو جالس؛ لشعوره بألم أسفل القدم، يسير لمسافات طويلة فيعطي إشارة بدء السباق في رأسه.

بدأ هاتفه يحدث جلبة في المكان، كان موضعه بعيداً عنه، لم يُبالِ بالمتصل فهو ليس على استعداد لأن يتكلم مع أحد، فلينتظر هذا المزعج، عاد الهاتف ليعلن عن اتصال مرة أخرى، سيتخلص من هذا المزعج، أمسك الهاتف ونظر إلى شاشته فوجد اسم أحمد صديقه، جلس إلى المقعد الهزاز المفضل له:

- إزيك يا خيري؟

- إنت فين؟

- في البيت.. خير؟

- كارثة.

قطب مالك جبينه وشعر أن هناك أمراً ما، تقدّم بجزعه إلى الأمام وهو مازال جالساً:

- كارثة إيه يا خيري؟ ما تتكلم.

- تقرير الطب الشرعي وصل لجمعة النهارده وفيه مقارنة العينات.

قال في قلق:

- ما له بقى التقرير؟

- النتيجة سلبية.

- يعني إيه بقى سلبية؟

- بعد لما جمعوا البصمة اللي نصها كان على غطاء السريروالنص التاني على الكرافتة اللي كانت مخنوقة بيها هند، وجدوا إن البصمه دي لصباع البنصر، ولما طبقوا مع بصمات سعيد وإبراهيم وأبوك لقوها مش نفس البصمة.

- طب دي البصمة.. وعينة الحيوان المنوي وشعر الدقن؟

- برضه مش متطابقة.

انفعل مالك بسبب ما سمعه:

- نعم؟! يعني إيه الكلام دا؟

- زي ما قلتلك كدا.

صاح مالك قائلاً:

- يعني كل التعب دا راح فاشوش؟ أنا طلع عين أهلي وفي الآخر مافيش قاتل؟ إزاي يا خيري الكلام دا؟ لا.. لا أكيد فيه حاجة غلط.. التقرير دا مزوّر.

- مزوّر ازاي يا مالك؟ مش إحنا اللي يتقالنا الكلام دا..

- أمال يا خيري.. الناس دي كدا شكراً.. هيودّعوا السجن؟

- بالظبط.. هياخدوا إخلاء سبيل.. دا كان الدليل الوحيد على إدانتهم.. بس أنت مش فرحان إن أبوك براءة.

صمت لثانية ثم قال:

- أنا كنت عارف إن عزت بيلعب لعب وسخ.. دا هيبقى حسابه معايا بعدين.

- عايز أقولك إن النيابة عندنا مقلوبة.. مالك إوعى تنشر أي حاجة من اللي بقولهالك.

ضحك في سخرية:

- عارف طبعاً.. أهم حاجة الرأي العام.. بس طبعا كمان يومين هيبان القاتل على إنه واحد مريض أو مجنون صح؟

- ماتقلقش.. ركز أنت في اللي بتعمله وكله هيتحل.

***

لابد أن يظهر إلى الناس بمظهره العادي، بعد مقتل هند حاول أن يتوارى عن الأنظار قليلاً، ولكن عمله أرغمه أن يقطع إجازته، لم يعد هناك أي طريق لكي يستعيد ماله الذي فقده، كانت هند هي الطريق الوحيد، فلا أحد يعلم بما دفعه مقابل ما يريده، تحدث إلى نفسه كثيراً محاولاً أن يعدل عن فكرة عدم الظهور، وقرر أن يعاود حياته كما كانت، ففي نهاية الأسبوع عاد إلى الملهى الذي كان يذهب اليه، واصطحب من يصطحبهن إلى بيته، وعاد مرة أخرى للظهور في الوزارة، وعاد لمضايقاته المستمرة لعايدة، حسني محفوظ أذكى من أن يقع في أفعال تجعل الأنظار تلتفت إليه، هو شريك في الألعاب القذرة التي تتم -تحت الترابيزة- ولكن لم يسعفه الحظ، فقد رحلت نسرين ومن بعدها هند، استطاع بخبرته ومكانته داخل الشركة أن يعوض ما خسرته الشركة، تمكّن من ربح عطاء كان قد تقدم إليه بالوزارة التي تعمل بها عايدة، قيمة المشروع كانت كافية في أن تجعل الإدارة في شركته تغض الطرف عما حدث.

جلس في مكانه المفضل وشرد قليلاً، حضرت إحداهن وبدأت في مداعبة خصلات شعره الذي زحف إليه اللون الأبيض، نحى يدها جانباً وطلب منها أن تغادر الطاولة التي يجلس عليها، صوت المزيكا لم يبدأ بعد، أراد أن يختلي بأفكاره ولو لثوانٍ، شعر لأول مرة منذ أن علم بقتل هند أن الدائرة ستبدأ من عنده، ولكن خلال متابعته للأحداث من خلال مقالات مالك علم أن الدائرة بدأت من عند آخرين، أسرّ قولاً: إذا أرادت النيابة أن تبحث جيداً حتماً ستكتشف علاقتي بهن؛ أي إثبات يحمل معه دليلاً قاطعاً على ارتكابه للجريمة؟

***

مكتب أحمد خيري

جلس مالك في مكتب أحمد في وقت مبكر من اليوم، لم يستطِع أن يصبر، فما أن رأى ضوء النهار حتى أسرع إلى مكتب صديقه، وانتظره حتى أتى في ميعاده اليومي، دلف أحمد إلى المكتب، فوجد صديقه في أنتظاره، تعجب أحمد من وجود مالك في مثل هذا التوقيت دون أن يبلغه باتصال سابق، طلب له ولمالك كوبين من الشاي جاء رد مالك:

- أنا شربت.. مش وقته خالص نشرب حاجة دلوقت.

- خير؟

- فيه شخص جديد ماكنتش أعرف إنه في القضية.

- مين يا مالك؟

- اتصل بمحمد جمعة وقوله ييجي.

بتعجب:

- إشمعنى؟

- اعمل بس اللي بقولك عليه.

حضر محمد جمعة وجلس في المقعد المقابل لمالك، قال جمعة من هدوء:

- إيه يا مالك؟ عايزني في إيه؟

- بص يا محمد بيه.. فيه معلومة وصلتلي إن في شخص يُدعى حسني محفوظ، كان من فترة قبل موت نسرين يتردد عليها في مكتبها، وكانت هند معاه.

حدجه أحمد دون أن ينبس بكلمة..

- من غير استغراب.. أنا واثق من المعلومة دي.

سأله جمعة وقد بدا عليه الاهتمام:

- مين مصدرك؟

-ماينفعش أقولك.. دا شغلي وأنا كصحفي ماقدرش أبوح بمصادري.

تحرك أحمد متجهاً ناحية الباب ليغلقه بإحكام، وطلب من أحد العاملين عدم دخول أي فرد إليه، أردف مالك قائلاً:

- حسني يعرف القاتلتين، وواضح إن كل الخيوط بتصبّ عند هند.

قاطعة جمعة متسائلاً:

- ماقولتش ليه من الأول.

- أنا لسه عارف من قريب جداً.. وكنت منتظر نتيجة تقرير الطب الشرعي، ولما عرفت إن النتيجة سلبية قلت يبقى دا آخر خيط ممكن نلجأ له.

نظر محمد جمعة إلى أحمد كأنه يُخبره لماذا أعطيت لمالك تلك المعلومات، أسرع مالك بعد أن لمح تلك النظرة.

- محمد بيه ماتخافش مفيش كلمة هتتنشر من التقرير، وإن النتيجة طلعت سلبية.. المهم دلوقت عايزين منك قرار بضبط وإحضار حسني محفوظ.

قاطعه أحمد قائلاً:

- لا يا مالك مش سهلة كدا.. لازم دليل عشان نستدعيه.

سأله مالك في ضيق وحنق:

- طب إيه الدليل اللي كان مع جنابك لما مسكت أبويا واتهمتوه بالقتل؟

صمتا ولم يعقبا.. أردف مالك قائلاً:

- كدا بنضيع وقت.. أنا دعبست شوية وراه.. وعرفت إنه كل يوم بيجيب معاه حريم البيت.. بلاغ صغير والبوليس يقبض عليه ويدخل في القضية.

باغته محمد جمعة بسؤال:

- إنت ليه واثق قوي كدا إن الراجل دا هو القاتل؟

ابتسم مالك في ثقة وأخرج من حقيبته متسلسلة الأفكار، وقبل أن يبدأ في الكلام قال له أحمد:

- مالك.. أنا عارف إنك ساعدتنا كتير في القضية دي.. بس المرة دي مافيهاش سكة غلط نمشيها.. النائب العام بذاته محذر محمد جمعة من أي غلطة.. وزي ماقلتلي بقت قضية رأي عام.

قال جمعة وهو يبتسم وينظر إلى أحمد:

- البركة فيك يا عم مالك.

فتحدث مالك في ثقة قائلاً:

- أعتقد يا محمد بيه اسمك نور في الجرنال عندي.. ماتقوله حاجة يا خيري.

ابتسم خيري بينما كان جمعة يحدجه.. قال أحمد:

- ورينا عايز تقول إيه يا عم اللمض.

بدأ مالك في كتابة الأسماء التي تم اتهامها وأيضاً اسم حسني محفوظ وضع الجميع داخل مثلثين متقابلين عند الرأس..

وبدأ في شرح علاقة كل فرد بالآخر، ووضع داخل كل زاوية في رأس كل مثلث اسم هند ونسرين، وكتب أسماء كل المشتبه بهم وعلاقتهم بالضحيتين، أخرج من اسم كل واحد فيهم خطاً ممتداً طولاً، وضع كلاً من سعيد وإبراهيم في المثلث الأعلى، ووضع حسني محفوظ وسلمان والده في المثلث الأسفل، وأخذ يمد خطوطه، وكتب فوق كل خط نوع العلاقة بين كل منهم وبين الضحيتين، خطين فقط هما الذين أحدثا تقاطعاً مع هند ونسرين، خط سعيد وخط حسني، نظر لهما وقد بدأت عليهما علامات التعجب.

- كدا الخط اللي فاضل هو حسني محفوظ.. سعيد خطه احنا مشينا عليه بس في الآخر الطب الشرعي خرّجه منها.. يبقى كدا يا محمد بيه فاضلنا حسني محفوظ.

نهض محمد جمعة وهو ينظر إلى أحمد خيري قائلاً:

- إنت جايبه منين؟

ضحك أحمد في ثقة قائلاً:

- عشان تعرف بس إن الناس الجامدة هي اللي تبعي.

قبل أن يغادر محمد جمعة الغرفة قال لمالك:

- النهارده هيكون قرار ضبط وإحضار حسني موجود.

قاطعه مالك قائلاً:

- معلش يا محمد بيه.. ممكن أطلب حاجة؟

- اتفضل.

- أنا من يومين كنت بتبع حسني وعرفت إنه بيجيب حريم للشقة زي ماقلت لحضرتك.. بلاغ صغير للقسم ويطبوا عليه ومعاه واحدة منهم من غير أي قرار بضبط وإحضاره.

قال أحمد:

- بس كدا ممكن يخرج منها بسهولة.

أجابه مالك:

- لا.. الأدلة هتكون موجودة، وبالذات لما تكون معاه واحدة ع السرير.

نظر له محمد جمعة في إعجاب:

- صاحبك يا خيري بيفكر صح.. دماغك حلوة.

- شكراً.. أنا هستأذن.. وإن شاء الله القضية هتتحل في يومين.. بس الطب الشرعي يكون سريع معانا.

ربت أحمد على كتف صديقه قائلاً:

- ماتقلقش.. دي بتاعتنا يا مالك.

الفصل الخامس عشر
المحطة الأخيرة

كان الانتظار طويلاً، والشغف يزداد يوماً عن يوم، أصبحت الدقائق والثواني بالنسبة لمالك ساعاتٍ وأياماً لا تنتهي، انتظر أربعة أيام بعد اجتماعه مع أحمد خيري ومحمد جمعة، المكالمة الفاصلة لم تأتِه بعد، جلس كعنكبوت غزل خيوطه حوله في انتظار قدوم الفريسة حتى تُلتهم، لابد أن يسقط، سيخطئ قريباً، يفكر بصوت مرتفع وينظر إلى الهاتف وينتظر، ليس لديه بديل آخر، حتى وإن انتظر لشهر؛ لابد وأن يعود الزمار للعزف بأصابعه مرة ثانية، لم يترك أي ثغرة لكي يفلت منها، تلك الخيوط لن تهوي به إذا أُلقي فيها، جاء اليوم الخامس، وفي بداية الليل جاءته المكالمة المنتظرة:

- مالك بيه.. حسني وصل ومعاه واحدة من إياهم.
- تمام.. بقالهم كتير؟
- لسه واصل من عشر دقايق.
- طب سلام أنت يا عم سعد.

أسرع وهاتف أحمد خيري، وأخبره بما حدث، أصَر أن يكون بالقرب من واقعة التلبّس، تسأل أحمد في أي مكان يسكن؟ في منطقة العجوزة، وأعطاه مالك العنوان بالتفصيل، لم ينتظر أحمد كثيراً حتى أبلغ جمعة بما حدث.

اقترب كل شيء، والنهاية حتمية لا مردّ فيها، أسرعت قوة من ضباط قسم العجوزة بعد بلاغ جمعة لرئيس المباحث، حضر مالك أسفل البناية قبل قدوم الشرطة، توارى عنهم خلف إحدى الأشجار، وجلس على الرصيف

ليكتب: هاتف مدير التحرير وأخبره أن يعدّ صفحة كاملة في العدد الصادر غداً. حاول مصطفى أن يستفسر أكثر عن الأحداث، ولكن لم يعطِه مالك الفرصه وأنهى المحادثة. بعد نصف ساعة تقدمت الشرطة واقتحمت البناية، شعر مالك أن حلمه يقترب من الحقيقة وسيشعر بالانتصار عندما يرى حسني وهو مكبل بالأصفاد جالساً داخل عربة الشرطة.

اقتحمت قوات الشرطة شقة حسني بعد أن ظلت لدقائق تطرق الباب دون أي رد منه، وجدته في غرفة النوم ومعه إحداهن. وقت الانتظار بالنسبة لمالك صعب و مرهق.

ما أن رآه يتأبط ذراع أحد أمناء الشرطة ومن خلفه الفتاة وهي شبه عارية حتى نهض وأسرع إليهم، اجتمع القليل من المارة لرؤية ما يحدث. وقف بينهم كمتفرج يتابع مباراة ساخنة. نظر له مالك بملء عينيه يتأمل لحظة ضعفه، رأى في عينه ما تمنى أن يراه، تلك النظرات التائهة التي تنتظر المصير المجهول، ابتسم مالك وهو يداعب أنفه بأصبع السبابة. تحركت سيارة الشرطة، أسند جسده على إحدى السيارات الرابضة أمام المبنى، وبدأ يكتب، لاحظ أن جميع السكان يُخرجون رؤوسهم ليشاهدوا ما يحدث. ابتسم مرة أخرى وشعر بالنشوة تجتاح جسده، تقدّم البواب وسأل مالك أن يجلس على كرسيه ويكتب، اعتذر له وانصرف.

***

مبنى شركة "تقسيم"

كانت المرة الأولى التي ظهر فيها سلمان بعد خروجه من الأزمة، دلف إلى المبنى، ألجمت المفاجأة بعض الموظفين المعروفين بانتمائهم لعزت، كانوا على

يقين أن أمر سلمان قد انتهى بمجرد شهادتهم أمام النيابة أنه هدد عزت بقتل زوجته؛ تقدم بخطى ثابتة مقطب الجبين لا يبالي بتهنئة الموظفين له. أصّر أن يصعد على السلم دون استخدام المصعد الكهربائي، اختلطت نظراته للمكان بين التحدي والإصرار على إعادة ما فقده وبين الحنين لتلك الجدران التي شُيّدت بمجهوده على مدار عشرين عاماً. ما أن وصل إلى الطابق السادس حتى تقدم إلى غرفة مكتبه، لم يجد السكرتيرة في مكتبها.. لاحظ أن اسمه لم يعد موجوداً على باب الغرفة، أخرج المفتاح وأولجه في مزلاج الباب، دلف إلى الغرفة فوجدها خالية تماماً من أي أثاث مكتبي، اندفع إلى الخارج. لاحظ إحدى الموظفات وهي تسير، دعاها بصوت خفيض، انتبهت إليه في تعجب، أسرّت سؤالها: ماذا أتى به الآن؟ تقدمت فباغتها بسؤال:

- إيه اللي حصل يا شيرين؟

- إزيك يا مستر سلمان.. حمد لله على السلامة.

- مافيش سلامات.. إزاي أدخل مكتبي مالقيش أي حاجه فيه؟ فاضي؟

- ماعنديش أي تفاصيل يا مستر سلمان.. كل اللي أعرفه إن في ميل اتبعت للموظفين من مستر عزت، بيبلغنا فيه إن الشراكة اللي بينكوا اتفضت.. وإن حضرتك ما بقيتش في الإدارة.. دا بس اللي أعرفه.

وكأنها لم تكن تقف أمامه، انطلق إلى غرفة عزت، وركل الباب بقدمه غاضباً، وجد عزت جالساً يتحدث في الهاتف وغليونه في فمه، انتفض عزت من مقعده جراء دخول سلمان بقوة، اندفع إليه سلمان وأمسك به، دفعه إلى سطح المكتب فارتطم رأسه واندفع الدم، استمر سلمان في لكمه رغم

محاولات الآخر أن يفلت من بين يده، ولكن أتت محاولاته بالفشل، افترسه سلمان، أخرج كل ما بداخله من شحنات غضب وانتقام منه، لم يتركه إلا وقد أصبح عزت جسداً لا يتحرك، مجرد شيء تخرج منه الأنفاس ببطء، اجتمع العاملون بالمبنى بعد أن سمعوا أصوات تحطيم الأثاث وأصوات العراك بينهما، اخترق سلمان تجمّع العاملين أمام غرفة المكتب وهو يتصبب عرقاً وثيابه متقطعة، بينما كان عزت يفترش الأرض ألماً، تعجب بعض الموظفين، فكيف لسلمان أن يفعل ذلك وهو لم يفكر أن يصيح في أحد في يوم من الأيام؟! ربما لأن هذا الموظف لا يعلم ما الذي يراه المظلوم في محبسه، انطلق سلمان إلى بيته وهو يشعر أنه لم يعد كسابق عهده، سيعيش ما تبقى من حياته وهو يشعر أنه انتقم ولو بالقليل من الذي دفعه ظلماً إلى الظلام، من كان سبباً في تلويث سمعته، سيسعى ليسترد حقه حتى وإن كان بالقوة.. فالحق قوي.. ومن يترك القوة يفنى تحت الثرى.

***

اتخذ هاني طريقه إلى البيت، تقدم بخطوات ثقيلة وهو يسير بجوار أكاديمية الفنون بالهرم، صادف أحد الأصدقاء أثناء سيره، دعاه إلى مقهى صدفة، اعتذر هاني ولم يقبل الدعوة؛ بحجة أن هناك الكثير من الأعمال لابد وأن ينتهي منها الليلة، كان شارداً فاتخذ طريقاً يبعد كثيراً عن بيته، دلف إلى شارع الثلاثيني بالعمرانية، ثم سار لمدة خمسة عشر دقيقة حتى وصل إلى منطقة الطالبية ومنها إلى بيته، بمجرد وجوده أمام البيت شعر بكل الطاقات السلبية تتخلله، فعائلته مصدر كل شيء سلبي في هذا الكون، المال.. المال.. المال.. فمنذ أن رحل أبوه وهم لا يتوقفون عن طلب المال، الأخت التي قاربت

على الزواج وتحتاج دائماً إلى مصاريف، والأم وما تحمله من أمراض هذا الزمان من ضغط وسكر تحتاج شهرياً إلى الكثير من المال للعلاج، دائماً يسعى ليزيد من دخل العائلة؛ جلس يفكر وهو يمضغ الطعام الذي وضعته له أخته، تساءل ما هو الطريق الذي يحصل منه على مال كثير يستطيع العيش به ويغطي كل هذه المصاريف؟ انتهى من طعامه، دلف إلى الحمام ووقف يغسل يديه وفمه، نظر إلى المرآة التي أمامه وتذكر مالك، كيف لم يطلب منه يوماً أن يساعده ولو بمبلغ صغير؛ ولماذا لا يساعدني بمبلغ كبير؟، ثلاثون ألف جنيه مبلغ معقول، لن يدفع مليماً من جيبه الخاص، هذا المبلغ لا يساوي شيئاً في رصيد حسابات أبيه وأمه؛ مسح يده بالمنشفة واتجه إلى غرفته، بدّل ملابسه وجلس إلى الكمبيوتر، فتحه وبدأ في العمل، تعديل بعض الصور، لم تتركه الفكرة ثانية واحدة وهو يمسك بالفارة ويعمل على برنامج تعديل الصور "فوتوشوب"، قال متحدثاً إلى نفسه: لقد وقفت بجوار مالك كثيراً، وكل ما طلبه مني قد فعلته على أكمل وجه، لا يهمني ما يعرفه عني، فأنا أيضاً أعرف عنه ما يخفيه عن العالم كله، فليعتبر هذا المبلغ نظير كتمان أسراره، أما إذا رفض أن يعطيني ما طلبته منه فسوف أتحرك في الاتجاه الذي يجعله يندم أشد الندم على رفضه، نهض وأمسك هاتفه المحمول وهاتف مالك، لم يجبه لثلاث محاولات للاتصال؛ في محاولة أخيرة جاء رد مالك:

- إيه ياعم.. ماردتش عليك كذا مرة يبقى ماتزنش كتير.

- ما بالراحة يا مالك؟

- أنا مشغول يا هاني.. عايز إيه؟

- لازم أشوقك.

- مش فاضي دلوقت.. خليها بكره في الجرنال.

- ليه بكره؟ خليها كمان ساعة.

رد مالك في سخرية:

- هو الموضوع مهم قوي كدا؟

- من غير تريقة.. هتقابلني النهارده؟

- قولتلك بكره.. سلام.

أغلق الخط ولم ينتظر أن يرد له السلام، ألقى هاني الهاتف على السرير وهو يصيح:

- دا أنت ابن ستين كلب وسخ.

دلفت أخته إلى غرفته قلقة عليه ومنزعجة فنهرها، خرجت وهي تبكي، لم يُبالِ لها، أغلق جهاز الكمبيوتر وأغلق الإضاءة ومدّد جسده على السرير، لم يأتِه النوم إلا بعد ساعة، ليرى ماذا سيفعل غداً.

***

اليوم التالي

الجرنال

تقدم هاني مسرعاً إلى مكتب مالك فلم يجده، هاتفه وعلم أنه قد اقترب من الوصول إلى الجرنال، جلس ينتظره، نصف ساعة مرت ولم يأتِ، هاتفه مرة أخرى، وأخبره أنه سينتظره في المقهى الذي يجلس فيه؛ تحرك هاني إلى هناك، وحين وصل وجد مالك جالساً يكتب في متسلسلة الأفكار، جلس هاني وطلب من القهوجي فنجاناً من القهوة، اقترب من مالك، كان مازال مستمراً

في الكتابة في محاولة منه لعدم قطع حبال أفكاره المسترسلة بقوة. قال له هاني في محاولة منه لكسر حاجز الصمت:

- ممكن تفضى لى شوية وتركز معايا.

أجابه وهو مستمر في الكتابة:

- اتكلم يا هاني أنا سامعك.

- كنت محتاج منك مبلغ.. عندي مصلحة عايز اخلصها.

حدجه مالك دون أن ينبس بكلمة.. أردف هاني قائلاً:

- واضح إن كلامي مش عاجب سيادتك.

ترك مالك القلم وأغلق متسلسلة الأفكار، اعتدل في جلسته، ثم رشف من الكوب الذي أمامه بعض قطرات من الشاي وقال له:

- فلوس إيه اللي أنت عايزها مني؟

- محتاج تلاتين ألف جنيه.

ابتسم مالك في سخرية قائلاً:

- هو حد مفهمك إني غني كدا؟

- لا مش أنت اللي غني.. بس أبوك وأمك معاهم فلوس.

- بص يا هاني.. واضح إنك مركز قوي مع أبويا وأمي عشان دي تاني مرة تجيب لي سيرتهم.. لمّ الدور كدا واعقل.. وكمان انت عارف إني سايبلهم البيت وعايش لوحدي، وبادوب بصرف من مرتبي في الجرنال.

- مالك.. أنا ماليش فيه.. الفيلم الهندي بتاعك دا مش حدوتة هتحكيهالي فهطبطب عليك وهقولك دول ناس وحشيين.. اللي بتعمله دا كله شغل عيال

أهلها مدلعينهم. إنما إحنا يا أستاذ مالك بنصرف على عيلة.. وكمان أنا ساعدتك كتير قوي.. ودا الوقت اللي تقف فيه جنبي.

داعب مالك أنفه بأصبعه السبابة قائلاً:

- الله عليك وأنت عايش دور المضحي.. خد بالك إن كل حاجة حصلت وأنت موافق عليها.. بس طمعك هو اللي خلاك تشترك معايا في الشغل اللي عملناه سوا، ألا صحيح قولي.. أنت مسحت الصور اللي عندك ع الجهاز ولا لأ؟

تغيّرت ملامح وجه هاني، وظهر عليه الضيق فقال في حنق:

- لو أنت فاكر إنك كدا ماسكني من إيدي اللي بتوجعني تبقى غلطان.. الظاهر إنك مش حاسس إن ليك إيد بتوجعك برضه.

- هاني.. أنا مش فاضيلك.. ولا فاضي للحقد اللي مالي قلبك من ناحيتي.. لما ربنا يكرم والقضية اللي بحقق فيها تخلص يبقى نتكلم في اللي أنت عايزه.

- حاضر يا مالك.. بس خد بالك لو أنت فاكر نفسك ذكي وصايع وهتقدر تضحك عليا تبقى غلطان.. لأن أنا الوحيد اللي هقدر أجيب رأسك تحت.. ماشي يا شقيق؟ أسيبك بقى تكتب اللي بتهري بيه عقول الناس.. سلام يا نجم.

تحرك هاني عائداً مرة أخرى إلى الجرنال، ظلّ مالك جالساً يفكر في الحوار الذي حدث بينهما، الآن تيقن أن هذا المخلوق كان يدبر له شيئاً، شعر في بادئ الأمر أن أمره هين ولكن خاب ظنه، بدأ مع الآن اللعب بأوراق مكشوفة، وكيف له أن يفعل ذلك ومالك عنده خبرة كبيرة في اللعب بالأوراق؟ وضعه هاني داخل طرفين ليس لهما ثالث.. إما المال أو الكلام.

***

مبنى النيابة

خمسة عشر يوماً من التحقيقات مع حسني محفوظ ولم يعترف بشيء، كل ما تردد على شفتيه أنه لا يوجد لديه أي تفاصيل أو معلومة عن جرائم القتل ولا تربطه علاقة بالقتيلتين، تم استدعاء الشهود أمام النيابة، الأولى يارا: أدلت بأقوالها أنه في أحد الأيام رأت حسني وهو يخرج من مكتب نسرين بصحبة هند جلال، وعندما سُئلت هل لديها أي معلومات عن سبب الزيارة أجابت بالنفي.

في محاولة أخرى من النيابة للوصول إلى الأدلة الكاملة، تم استدعاء أحد العاملين في الكافيه الذي حدثت به المشادة الكلامية بين هند وحسني بعد التحريات التي توصلت لها المباحث، قال إنه يتذكر ما حدث ولكنه لا يتذكر كلهما؛ مع تكثيف التحريات وُجد أحد المحال المتخصصة في بيع الأدوات الكهربائية وأجهزة المراقبة المجاور للكافيه، رصدت إحدى الكاميرات الرابضة أعلى المحل لحظة دخول كل منهما وخروج حسني قبل أن تخرج هند بنصف ساعة، عُرض على النيابة شريط التسجيل بحضور حسني واعترف بمعرفته بالضحيتين، ولكنه أصر أنه لم يقتل أحداً منهما؛ وجهت له النيابة تهمة القتل أنكر بشدة، طلبت عرضه على الطب الشرعي لأخذ العينات ومقارنتها بالعينات الموجودة في مسرح الجريمة.

أمرت النيابة بتفتيش شقته وإحضار بعض الأغراض الخاصة به، بعد ثلاثة أيام تم عرضه مرة أخرى على النيابة، وضع روابط العنق الخاصة به وبينهم وضع الرابطتين اللتين وجدتهما المباحث في مسرح الجريمة، وعند سؤاله عن

هذه الروابط اعترف أنها ملكه، ولكن أشار إلى الرابطتين وقال إن كلا منهما قد فُقدت في فترات متباعدة.

كيف فُقدتا منه؟ ومن أتى بهم إلى موقعي الحادث؟ (تساءل محمد جمعة)..

أجابه حسني في ثقة:

- ماعرفش.

- هل يوجد غرباء يدخلون منزلك؟

تلجلج في حديثه:

- ساعات.. بنات بييجوا معايا من الملهى.. كل أسبوع واحدة شكل.

عقد جمعة ذراعه وهو يحدجه:

- من هن أكثر النساء قدوماً إلى منزلك؟

- واحدة اسمها عزة.. بس هي هتعمل إيه بهدومي؟

أشار إلى الكاتب أن يتوقف عن الكتابة ثم قال لحسني:

- بص أنا ماشي معاك للآخر في كل اللي بتقوله.. بس خد بالك من حاجة إن اعترافك هييجي هييجي.. وإن فيه أدلة هتثبت إنك الجاني.. حاول تساعد نفسك وتقولنا اللي حصل.

صمت حسني ولم يعقب، أشار جمعة إلى الكاتب لكي يستمر..

- أمرنا نحن باستدعاء السيدة عزة (ثم موجهاً حديثه لحسني).. هو دا اسمها الحقيقي ولا اسم الشغل؟

- بصراحة ماكنتش باخد البطايق وهما داخلين الأوضة!

- احترم نفسك أنت قدام نيابة.. هي كانت في أنهي ملهى ليلي؟

- اسمه وايت نايل.

- يتم استدعاء عزة التي تعمل بملهى ليلي وايت نايل: للتحقيق معها.

بعد يومين عُرضت على وكيل النيابة، وأنكرت معرفتها بالرابطتين، وأقرت أنها ذهبت مع حسني مرتين إلى المنزل، ولكنها لم تأخذ شيئاً من منزله.

لا بدائل أخرى له.. جميع الطرق ستؤدي إلى السجن. أو إلى المحطة الأخيرة.

***

الفصل السادس عشر
المحاكمة

وقف محمد جمعة يعرض لهيئة المحكمة ملابسات الحادث، بينما جلس مالك وخيري ويارا يستمعون إلى المرافعة، تجاوز الوقت نصف ساعة ومازال جمعة يتحدث إلى القضاة، عرض تقرير الطب الشرعي والأدلة الجنائية وتقرير مقارنة العينات التي وُجدت في مسرح الجريمة وعينات من المتهم، وقد تبيّن من خلال التقرير أن العينات متطابقة، حيث تبيّن أن نصف البصمة التي وُجدت على غطاء السرير للضحية الأولى نسرين تكتمل مع النصف الاخر الموجود على رابطة العنق في الضحية الثانية هند.. وبخصوص تحليل الـ "دي إن أيه" وُجد تطابق عينات الحيوان المنوي المأخوذة من الجثث والأغطية مع العينة المأخوذة من المتهم، أيضاً تطابقت عينة شعر الذقن المتاحة معه، وبناء على ما هو مقدم إلى هيئة المحكمة طلبت النيابة توقيع أقصى العقوبة على المتهم ألا وهي الإعدام.

حدثت جلبة داخل القاعة من قبل أقارب المتهم، طرق القاضي طرقتين على المنصة الرابض خلفها؛ فصمت الجميع، بدأ محامو الدفاع في القيام بدورهم، يجلس مالك يترقب كل ما يحدث دون أن يتكلم أو يبدي اهتماماً، كل ما كان يفعله هو أن يتأمل ملامح حسني داخل القفص، ويدوّن كلمات ما في متسلسلة الأفكار، كانت المواجهة قوية ومشتعلة بين الدفاع والنيابة؛ وعلى مدار الساعة والنصف ساعة وهو الوقت الذي قضى فيها الجميع يتحدث ما بين دفاع وما بين اتهامات تقدمها النيابة للمحكمة وشهود إثبات

أن المتهم كان على علاقة بالقتيلتين: جاء قرار القاضي بإحالة أوراق المتهم للمفتي، تداخلت الأصوات داخل القاعة فانقسمت بين أقارب المتهم الرافضين لقرار القاضي، وبين أقارب القتيلتين وهم يهللون انتصاراً، اختلطت المشاعر داخل المحكمة، ظل مالك جالساً يفكر ويكتب قبل أن تقاطعه يارا قائلة:

- مبروك يا مالك القضية.

وقف مالك وهو يقول:

- الله يبارك فيكي..

تقدم أحمد خيري وعانق صديقه:

- القضية دي كانت متعبة قوي وتفاصيلها كتير.. الحمد لله إننا قدرنا نقفلها بالشكل الهايل ده.

- أنا عارف طبعاً إنها كانت متعبة.. بس المجهود ماراحش هدر.

دعا مالك الجميع على الغداء بهذه المناسبة، ربما تعجبت يارا وهي ترى مالك يفعل ذلك لأول مرة، دلفوا إلى أحد المطاعم في المهندسين، جلست يارا في مقابل مالك على الطاولة بينما جلس خيري في مقابل جمعة.

تقدم النادل وأعطى لهم قائمة الطعام، بدا للجميع أن مالك لا يهتم بها حيث كان أولهم طلباً للطعام، دوّن النادل الطلبات تباعاً، ثم انصرف، ربت خيري عل كتف مالك الرابض جانبه قائلاً:

- بكره يا مالك محدش هيعرف يكلمك.. أراهنك إن مدير التحرير هيعينك رئيس قسم الحوادث.

ابتسم مالك ولم يعقب.

سأله محمد جمعة:

- إزاي كنت واثق كدا إن حسني هو القاتل؟

أجابه مالك بهدوء:

- زي ماشرحتلك ع الورق في النيابة.. كل الخيوط اللي كانت قدامي بتوديني ناحية حسني.. كنت محتاج بس إني أتأكد إن حسني على علاقة بنسرين.. وطبعاً البركة في مصادري.

ابتسمت يار خلسة، وخالجها شعور قوي بالفخر.

تساءل جمعة:

- هي نسرين كانت صاحبتك قوي يا يارا؟

اندفعت في أجابتها كالعطش الذي وجد ماءً فجأة:

- آه طبعا.. الله يرحمها كانت أكتر من أختي.. كنا عارفين عن بعض كل حاجة.

ابتسم جمعة وهو يحدق في مالك:

- أمال ازاي ماعرفتيش اللي كانت بتعمله؟

بدا على يار القليل من التوتر وهي تتحدث:

- هي ماحكتليش حاجة عن الموضوع دا.. بس أنا حسيت إن فيه حاجة غلط بتحصل وقررت أعرف بطريقتي.

قال مالك مقاطعاً:

- لازم تبقي عارفة حاجة.. إن جوا كل واحد في الدنيا دي كهف كبير بيخبي فيه اللي عايز يداريه عن الناس، وكل فترة بيزور الكهف دا ويطمن على اللي مخبيه.. فيه حاجات عمر ضوء الشمس ما هيشوفها.

قال خيري معقباً على كلام صديقه:

- كلامك صح.. بس أنا ماعتقدش إن انت عندك كهف زي دا..

قال جمعة:

- أنت بتتكلم بثقة كدا ليه؟

- عشان إحنا صحاب من زمان وعارفين عن بعض كل حاجة.

ابتسم مالك ولم يعقب.

تقدم النادل ووضع أطباق الطعام أمامهم متمنياً لهم وجبة شهية، بدأ كل واحد منهم في الأكل، كان مالك يأكل ببطء شديد، لاحظت يارا ذلك، بعد دقائق قليلة تحدث جمعة قائلاً:

- الموضوع دا في حاجة غريبة، أنا بقالي فترة بفكر فيها.

- إيه هي؟ (سأله مالك).

- واحد في سن حسني إزاي هيقتلهم كدا وكمان يغتصبهم من غير ما يكون فيه أي أثر جامد وقوي للمقاومة على جثث الضحايا، كمان فيه سطرين في تقرير الطب الشرعي بتقول إن الروح طلعت قبل الاغتصاب بثواني قليلة.. معنى كدا إن حسني اغتصبها وهي مقتولة.

سأله أحمد وهو يمضغ طعامه:

- وضّح.. عايز تقول إيه؟

- أنا بفكر معاكوا بصوت عالي.. القضية خلاص اتقفلت.. بس برضه حاجة غريبة.. إزاي يغتصبهم مقتولين في حين إنه قادر يقيم علاقات جنسية مع العاهرات اللي كان بيجبهم البيت؟

احمرت وجنتا يارا وظهر على ملامحها علامات الخجل، فأشار أحمد لجمعة أن يغير الحديث بعيداً عن تلك النقطة.

قال أحمد وهو يمسك بكوب الماء قبل أن يشرب القليل منه:

- لو كلامك دا صح يبقى كدا المفروض إن حسني مريض بمرض نفسي مش فاكر اسمه إيه كدا..

- نيكروفيليا. (أجابه مالك).

- أعتقد هو.

قاطعتهم يارا:

- يا جماعة إنتوا هتتعبوا نفسكوا ليه في كل الكلام دا؟ القضية اتقفلت وحسني مية المية واخد حكم نهائي خلاص.. يبقي نكمّل أكلنا ونغير الموضوع.

***

سجن القناطر
الساعة الثامنة صباحاً

تقدم مجموعة من الضباط في طريقهم إلى زنزانة حسني الانفرادية، اقتادوه إلى غرفة أخرى، كان يرتدي بدلة حمراء مخيفة. يسير على الأرض بأقدام ثقيلة غير مستوعب ما يدور حوله. تأبّط كتفيه جنديان ممن كانوا مصاحبين للضباط أمام الزنزانة. أحداث كثيرة يستعرضها عقله ولا يصدّق أنها النهاية.. لم أفعل شيئاً.. لم أقتل أحداً (صاح بصوته في الممر المؤدي إلى غرفة الإعدام).. فكم من مسجون وهو في طريقه إلى غرفة الموت يصيح بمثل تلك العبارات. ثلاثة أشهر وأقرّت المحكمة حكم الإعدام بعد رفض الطعن الواهن المقدّم من الدفاع. لا مفر. كانت الأدلة قوية جداً وحُسمت القضية ضده، ورأت النيابة الدوافع القوية للقتل بعد اعترافه بشأن الأموال التي دفعها في مقابل ما يريده من نسرين ولم يحصل على المقابل المرغوب، لم

يجد فريق الدفاع ثغرة ينفذ منها وينقذ موكله من الإعدام.. دخل إلى السجن ليخرج إلى النهاية، اعترف لنفسه أنه أخطأ، اعتراف يسبق الألم، لا يرى المرء منا أخطاءه إلا في مرآة النهاية، فهي لا تكذب أبداً، والبعض يراها في مرآة الألم، عند دخوله الغرفة لم يُجدِ نفعاً ما يفكر فيه، لن يشعر بالألم، مقبض الأرض الخشبية التي يقف عليها لا تأخذ من عشماوي أي جهد أو وقت، ستغطي رأسه تلك القماشة البالية وسيحل الظلام المؤقت، لثوانٍ ثم يصبح الظلام أبدياً، هكذا يؤهّلون موتاهم للنهاية.. القصاص حق، ورد الحقوق إلى أصحابها هي رسالة الإنسان على الأرض.

ظلّ جسد حسني معلقاً يترنح في الهواء كبندول ساعة.. أعلن نجاح عملية الإعدام بشكل طبيعي، وفي الثامنة والنصف صباحاً أغلقت القضية.

فلتسترح أرواح من قُتلوا.....

***

بعد مرور ثلاثة أشهر

بينما يجلس مالك في المقهى بوسط البلد، إذ بهاتفه يعلن عن قدوم اتصال مُلِحّ، الرقم بدون اسم، فربما أحد الأشخاص الذين يتصارعون من أجل تهنئته بمنصبه الجديد كرئيس لقسم الحوادث ونائب رئيس التحرير للجرنال، كان مشغولاً بإعداد كتابه الجديد الذي تدور أحداثه عن القضية، تلقى عرضاً من إحدي دور النشر المعروفة لتجميع الحلقات القصصية التي كُتبت في الجرنال خلال فترة التحقيق لتصبح رواية في إطار بوليسي مشوق، وبالفعل بعد الاتفاق مع الدار، بدأ مالك في إعداد روايته.

ظلّ الهاتف يصدر نغماته حتى أجاب مالك بعد المحاولة الرابعة من المتصل جاء صوتها هادئاً فرحاً:

- مبروك يا أستاذ مالك.

- الله يبارك فيكي.. مين معايا؟

- حقك تنسى صوتي وتمسح رقمي.

- أنا غيرت موبايلي.

ابتسمت بصوت خفيض:

- طبعاً.. من كاتب صحفي مبتدئ لرئيس قسم الحوادث ونائب رئيس التحرير.

صمت مالك، أردفت قائلة:

- مش هطول عليك عشان أكيد مشغول.. أنا مروة.. مش فاكر مين مروة؟ مروة وافي بتاعة جرنال الحدث فاكرني؟ طب بلاش.. فاكر زهير منصور؟ بص يا مالك زي مانا وقفت جنبك لازم تقف جنبي.

- خير يا مروة عايزة إيه؟

- أنا سبت الجرنال بمشكلة كبيرة مع مدير التحرير.. كان عايزني.....

قاطعها في حنق:

- الخلاصة يا مروة.. عايزة شغل؟

- يا ريت.. وبلاش تنسى الجميل اللي عملتهولك.. أنا جبتلك كل اللي أنت عايزه من زهير منصور، ولولا اللي عملته ماكانش هو اتطرد من الجرنال وأنت مسكت مكانه.

- مش ناسي يا مروة، وعارف إنك جبتلي الورق اللي كان معاه.. مالهاش أي لازمة تحكيلي القصة حتى ولو على سبيل إنك تفكريني.

- أصل سنة كتير على واحد مشغول زيك.. أكيد هتنسى.

- بصي يا مروة مش هينفع في الجرنال عندي.. هكلملك واحد صاحبي ماسك صفحة الفن في مجلة كبيرة.. أعتقد إنك هتعرفي تلاقي نفسك في حاجة جديدة عليكي زي دي.

- ماشي يا مالك.. بس يا ريت تكون صادق في كلامك، على الأقل الخدمة دي أقل بكتير من اللي عملته عشانك.

في محاولة منه لإنهاء الحوار:

- هكلمه بعد ما أقفل معاكي.. سلام يا مروة.

أغلق الخط وقد بدا عليه الانزعاج، اقترب منه القهوجي ليسأله هل يريد أن يشرب أي شيء آخر، فأجابه بالنفي.

استمر في الكتابة، مرّ عليه الوقت سريعاً، شعر بقليل من الإرهاق، دفع حساب ما شربه وانصرف، ترجّل حتى اقترب من محطة المترو، دلف إلى رصيف القطار حتى اختفي وسط الناس المندفعة للدخول إلى العربة.

الازدحام يزيد من توتره، جلس إلى أحد المقاعد فور قيام سيدة وطفلها، زاد من توتره صوت العربة أسفل النهر حيث يرتفع صوت الارتطام، أخرج متسلسلة الأفكار وبدأ يكتب ليفرغ الشحنات السالبة، شرد قليلاً عندما لم يجد شيئاً يكتبه فبدأ في رسم الشكل المفضل لديه.. الكومي في أوراق اللعب.. ظل يرسم لمدة عشر دقائق حتى امتلأت صفحتان متقابلتان، نظر إلى اللوحة المعلقة أعلى باب دخول العربة ليعرف هل اقترب من محطة

الجيزة. نظر إلى ساعة هاتفه المحمول لتعلن الساعة تأخره عن الميعاد ثلاثين دقيقة. هاتفه "هاني" مؤكداً على الموعد ولائماً له على تأخره. أخبره مالك أنه في خلال دقائق سيكون موجوداً في شارع الهرم، وصف له هاني عنوان منزله. اعترض مالك في بادئ الأمر على مكان المقابلة، لكن أقنعه هاني أنهما سيتحدثان بشكل أفضل في بيته، فلن يكون أحد هناك: فوالدته ترقد في المستشفى في حالة أعياء بعد أن أصابتها غيبوبة سكر، وتجلس في صحبة أخواته، ولذلك سيكون البيت أنسب مكان للحديث الحر دون أن تتابعه آذان الجالسين، وحتي يحصل على المبلغ المرغوب دون أن يشعر بالقلق وهو يحمله في الطريق إلى منزله. أخبره مالك أنه أحضر معه المبلغ المطلوب، انتظره هاني كالجائع ينتظر عامل توصيل الطعام، جلس يفكر كيف سينفق المال الذي سوف يحصل عليه بعد قليل؟ لن ترفضه أي فتاة لفقره، ولكن ماذا يعني ثلاثين ألف جنيه اليوم؟ لن يكون مبلغاً كبيراً يفعل به ما يشاء، ولكن يكفيه أن يحصل على مقابل ما فعله معه.

احتاج مالك أن يهاتف هاني مرات عديدة حتى يصل إلى المنزل، بعد فترة قصيرة وقف مالك أمام منزل من ثلاث طوابق متهالك وقديم، لم يتعجب فكما يقولون: "الجواب بيبان من عنوانه"، وهاني خير عنوان لهذا الجواب.. دلف إلى الشقة وجلس في غرفة الضيوف، الشقة مقسمة لثلاث غرف صغيرة، غرفتان تطل كل منهما على الصالة، غرفة الضيوف وغرفة هاني، والغرفة الثالثة تبعد عن الصالة مسافة الممر، والتي تحتضن الحمام والمطبخ أيضاً، تركه هاني واتجه إلى المطبخ ليعد كوب الشاي المفضل لصديقه مع أوراق النعناع، "ظبط الزبون عشان الزبون يظبطك"، قالها

لنفسه وهو يدلف إلى المطبخ، جلس مالك يتأمل الغرفة، في ركن من أركانها تكتظ بكراتين مكتوب على أحد جوانبها ما تحتويه (طقم الصيني.. ملايات.. بطاطين) كل مجموعة داخل كرتونة مختلفة.. وضع مالك حقيبته على المنضدة التي أمامه، أخرج متسلسلة الأفكار ليقتل وقت الانتظار، ما هي إلا دقائق حتى دلف هاني إلى الغرفة، يحمل بين راحتيه صينية عليها كوبان من الشاي، وضع الأكواب بجانب الحقيبة، أزاح الحقيبة بيده ليتأكد أنها تحمل المبلغ المطلوب، وعندما شعر بثقلها ابتسم، جلس بالمقعد المذهب أمام مالك، بدأ هاني حديثه بتهنئة مالك على نجاح مهمته في القضية، كانت ملامح مالك ثابتة ولا تظهر ما يخفيه، سأله هاني في لهفة:

- جبت معاك الفلوس؟

- مستعجل ليه؟ إلا إذا كنت عايز تاخدهم عشان أمشي.

- لا ماتقولش كدا.. أنا حبيت أطمن.

- اطمن.. كله موجود حسب اتفاقنا.. بس عايز أسالك سؤال.

- أؤمرني يا شقيق.

- كنت هتعمل إيه لو الصور اللي أنا شفتها عندك على الجهاز دي وزّعتها على زمايلنا في الجرنال ورفعتها على النت؟

- كنت هخليك تحصّل نسرين وهند.

- ماكنتش أعرف إن قلبك ميت كدا.

- اللي شفته معاك في الشغلانة دي موّت قلبي.. وكمان أنا أجي جنبك إيه؟ (يضحك)

- بس اللي أنت ماتعرفهوش إن الموضوع دا عايز مخ مع قلب ميت.. للأسف مافيش عندك مخ.

- طب ليه كدا يا شقيق.. مقبولة منك.

اقترب منه مالك ووضع بين يد هاني متسلسلة الأفكار وأخذ يتصفح أوراقها ويشرح لهاني كأستاذ يشرح لتلميذه.

- بص كدا يا هاني.. شايف أنا عامل إيه.. راسم كل حاجة هكتبها في القضية دي.. شوفت؟ هو دا المخ.. فهمت؟

- آه فهمت.. لخّص بقى فين الفلوس؟

- صورك معايا على أسطوانة.

- يادي أم الصور.. إنت مصمم تعصبني ليه؟ ما تشوف موضوع تاني ترغي فيه.

- موضوع تاني ازاي؟؟ صورتك وأنت جوا المشرحة ومعاك جثث حريم ميتة نايم معاهم.. تفتكر مش الصور دي تبقى خبطة صحفية جامدة.

***

إحساس غريب لأول مرة أشعر به.. على مدار الأعوام السابقة كان حسني مصدر إزعاج لي.. أعرف أنه سيئ السمعة يصطحب المومسات إلى بيته، ولكن أن يقتل؟ كيف؟ لم يظهر عليه أي مظاهر عنف تنبئ بأنه قاتل.

ولماذا لا يقتل، أهو ملاك بالقدر الكافي لكي لا يقترف مثل هذه الخطيئة؟ نهاية طبيعية لشخص مثله اندفع بكل غرائزه طامعاً في كسب كل شيء حوله.. المال من طرق غير مشروعة.. امرأة يقيم علاقة معها.. وأخيراً يقتل.. مال - جنس - قتل.. أكمل الضلع الثالث.. رغم ما فعله في بادئ الأمر، إلا أنه

لم يفكر في العودة إلى الطريق القويم للنفس البشرية التي خلقها الله.. رحل ورحلت معه كل مضايقاته لي.. ما يهمني الآن هو مالك ابني.. أصبح الآن يقف على الشاطئ الآخر من البحر، لا أراه ولا هو يريد أن يراني.. أنا على يقين أنه لن يعود إلى أحضاني مرة أخرى.. تلك التي دفأته في الليالي الباردة.. كيف يسمح لذاكرته أن تنسى كل هذا؟ مالك أصبح شخصاً آخر غير الذي أنجبته بطني.. إذا كان يرى أن ما فعلته معه جريمة في حقه فليتذكر أنني ضحيت كثيراً من أجله.. يكفي أنني تحمّلت سنوات سفر سلمان دون رجل يحمل معي المسئولية.. سخّرت كل اهتماماتي على تربيته وتوفير كل وسائل المتعة والراحة له.. لماذا لم يعد؟ هل مازال يتذكر مشاجراتي معه وعنفي كما يقول؟ لا.. خوفي عليه دفعني إلى ذلك.. كان شعوراً قاسياً عندما فقدت أبي.. شعرت أنني كُسِرت ولم يعد هنالك ما يقويني.. وما زاد الطين بلة أن سلمان أعطى لي ظهره وولى مدبراً.. أصبحت عملياً دون رَجُل.. في وسط هزة الحياة القاسية.. ربّيت لنفسي مخالب كي أنبش من يحاول أن يقترب مني أو من ابني.. أعترف أن مالك كان يتأذي من مخالبي هذه، ولكن خوفي عليه هو ما دفعني لذلك.. تلك الكلمات لن تجدي نفعاً الآن، فما حدث قد حدث.. مالك يشعر أنه قد وجد ضالته.. وسلمان اختار أن يرحل بعد الأزمة الأخيرة، عاد إلى شقة عين شمس.. لن يؤثّر وجوده معي في شيء، فوجوده معي في مكان واحد كان أيضاً رحيلاً.. فأرواح الأشخاص إذا رحلت تبقى الأجسام كتماثيل من حجر.. الآن أصبحت وحيدة.. لم أعد عايدة التي كانت في الماضي.

***

صدق مالك عندما وعدني أنه سيصل إلى القاتل، رأيت فيه جانباً لم أكن أعرفه، رغم هدوئه وردوده القوية والتي تصل أحيانا إلى العنف، إلا أنه مخلص في عمله، وأيضاً طموح ويصل إلى ما يريده، كم تمنيت أن أصبح أحد أمانيه التي يسعى لتحقيقها، لا أعلم ما تحمله الأيام ربما سيأتي يوم ونصبح فيه كياناً واحداً داخل بيت واحد.

جلست يارا بمفردها في الكافيه التي قابلت فيه مالك لأول مرة، مع أصدقائهم المشتركين، جلست تتذكر تفاصيل اللقاء الأول. شعرت بسعادة؛ لأنها شاركت بشهادتها في المحكمة، مما ساعد على أن ينال القاتل جزاءه، مرت ساعة كاملة وهي جالسة بمفردها، استعادت تركيزها بعد فترة شرود طويلة سارت داخل صندوق الذكريات، همّت بالقيام لترحل، فوجئت بهاتفها يُصدر نغماته، الرقم غير معروف، جاء صوت فتاة تعرفه جيداً أجابت قائلة:

- مش معقولة.. رجعتي إمتى؟

- إزيك يا يارا واحشاني جداً.. لسه راجعة أنا وبابا من ألمانيا امبارح.

- حمد لله على السلامة يا ماهي.. إنتي فين؟

- أنا قاعدة مع بابا في شقته، وبكره هروح شقة ماما اللي في الزمالك.. فاكرها يا يارا؟

- طبعاً يا ماهي فاكراها.. كانت أيام حلوة قوي.

- أنا عايزة أزور الشقة، وأول حد كان في بالي يدخل معايا الشقة بعد الفترة الكبيرة دي هي إنتي.. لازم تكوني معايا.

- حاضر يا ماهي.. إن شاء الله هكون معاكي.

- خلاص نتقابل بكره على الساعة خمسة.. هتلاقيني مستنياكي تحت العمارة، مش هدخل الشقة إلا وانتي معايا.

-بس اللي أعرفه يا ماهي إن النيابة كانت مشمعة الشقة بالشمع الأحمر.

- لا.. ما خلاص، بابا بعت محامي وخلص الموضوع بعد إلحاح مني إنه يدخل عشان الشقة تتفتح، خصوصاً بعد ما الجاني اتقبض عليه.

- إن شاء الله بكره هكون موجوه في الميعاد مستنياكي.

- سلام يا يارا.

- مع السلامة يا ماهي.

***

في اليوم التالي

وقفت يارا تنتظر ماهي أمام البناية، حضرت قبل الميعاد المتفق عليه بعشر دقائق، أخذت تسير إياباً وذهاباً أمام البوابة تتأمل كل ما تقع عليه عيناها، نظرت إلى البناية وتذكرت أيامها الجميلة في صحبة نسرين، لا يبقي شيء كما هو على حاله، فمنذ سنة تقريبا كانت تأتي لتقضي أفضل الأوقات لديها، رحل من رحلوا وتبقى الأماكن كما هي تذكّرنا بمن عاشوا فيها.

وقفت سيارة مرسيدس أمام البناية، اندفعت ماهي إلى يارا، احتضنتها وأخذت تبكي، شعرت يارا أنها نسرين وليست ابنتها، بكت بشدة، اقترب والد ماهي، وأخذ يربت على كتف يارا واحتضن ابنته.

دلفا إلى الشقة بعد أن أصّر والد ماهي أن ينتظرهما في السيارة، أنارت ماهي الإضاءة، ووقفت تتأمل الشقة، تقدمت الصغيرة تلمس بأناملها الحوائط

والأثاث وتتذكر تلك الأيام التي عاشت سعيدة بين تلك الجدران، رحلت نسرين، ولكن ظلت رائحتها تعبق المكان.

اقتربت منها يارا واحتضنتها مرة أخرى، جلستا وتحدثتا عن كل شيء حدث خلال فترة سفر ماهي خارج مصر، تقدمت ماهي ودلفت إلى غرفتها بينما ظلت يارا في الصالة كما هي، أخذت تتجول في الصالة لقتل وقت تنتظارها لماهي، تنتقلت ببصرها إلى المكتبة الصغيرة بأحد أطراف الصالة، اقتربت منها وأخذت تقرأ عناواين الكتب بها، وأثناء ذلك لمحت جهاز "الميني لابتوب" الخاص بنسرين رابضاً بين كتابين، فبدا للوهلة الأولى أنه كتاب، ولكن يارا تعلم أنه الجهاز، تعجّبت من عدم ملاحظة رجال المباحث له رغم تفتيشهم للشقة، لكنها ما لبثت أن أدركت أنهم قد خُدعوا في منظره فاعتقدوا أنه كتاب سميك وسط الكتب.. تقدمت ووضعت الجهاز على فخذيها وضغطت على زر التشغيل فلم يستجيب، تركته ظناً منها أنه لا يعمل، ولكن شيئاً ما دفعها إلى أن تحاول مرة أخرى بعد أن وضعت الشاحن الخاص والذي ما زال متصلاً بالكهرباء منذ آخر استعمال له، بدأ الجهاز يستجيب، تصفحت محتوياته حتى وصلت إلى الصور، أخذت تشاهد صور نسرين وصوراً أخرى كانت تجمعهما سويا، أخرجت من حقيبتها الفلاشة الخاصة بالاتصال بالإنترنت، كانت ماهي دخلت إلى الحمام بعد أن أخبرت يارا بصوت عال، دخلت يارا على موقع فيس بوك كنوع من كسر الملل، لم يُطلب منها اسم المستخدم وكلمة الدخول، فجأة وجدت نفسها تتصفح الصفحة الخاصة بنسرين، أصبحت يارا ترى كل شيء، لم تستطع أن تمنع نفسها، تصفحت

الرسائل الخاصة بصديقتها، فوجدت محادثة طويلة استمرت لشهور حسب تواريخ الرسائل بين نسرين ومالك!!

***

عادت إحدى أخوات هاني إلى المنزل في اليوم التالي، بعد أن استقرت حالة الأم، دلفت إلى الشقة بمفردها، نور الصالة مُضاء على غير العادة، تشعر بالإرهاق فما أن دخلت حتى أسرعت إلى الحمام، وألقت بجسدها تحت ماء دافئ شعرت بقليل من الراحة، انتهت من الاستحمام ودخلت إلى المطبخ، قطرات الماء تتساقط من شعرها وملابسها تلتصق بجسدها المبتل بالماء، لاحظت أن محتويات المطبخ متناثرة بالأخص درج الملاعق، زفرت في حنق قائلة:

- الله يسامحك يا هاني.. والعدرا لما ترجع لهخليك تغسل مكان قرفك.

أعدّت الطعام وجلست في الصالة تأكل ما طاب لها، سئمت من طعام المستشفي، جلست أمام التلفاز تأكل، وقعت عينها على باب غرفة استقبال الضيوف، كان الباب موارباً فسمح بدخول إضاءة الصالة، مما أظهر جزءاً من أرض الغرفة، لاحظت بعض محتويات الكراتين على الأرض، قامت منزعجة قائله:

- ده مين ده اللي بيقلّب في حاجتي؟

دلفت إلى الغرفة وأضاءت الأنارة.. صرخت بصوت أسمع كل من في الحي، أسرعت إلى خارج الشقة، وكعادة سكان المناطق الشعبية أسرع الجيران واتجهوا إلى الداخل ليروا ما رأته.

الفصل السابع عشر
ليبدأ العرض

اندفع محمد جمعة في الممر المؤدي إلى مكتبه، بدا على ملامحه الانزعاج، دلف إلى الغرفة، وألقى جسده على مقعد المكتب، خلع رابطة عنقه وأسند ظهره إلى الخلف، رفع رأسه محدقاً في سقف الغرفة، هاتف أحمد خيري في مكتبه، وطلب منه أن يحضر إليه، طلب من عامل البوفيه أن يعد فنجان قهوة، دلف أحمد إلى المكتب، لاحظ أن ملامح محمد لم تكن على ما يرام، أراد أن يطمئن فربما قد حدث شيء لا يعلمه، جلس أمامه متسائلاً:

- خير؟

- للأسف.. مش خير... لسه إسلام توفيق وكيل نيابة العمرانية مكلمني ويقولي الدنيا مقلوبة.

- طب ماتفهمني فيه إيه.

- المصور الصحفي زميل مالك صاحبك اتقتل امبارح.

حدجه أحمد متسائلاً:

- يا نهار أبيض.. طب ازاي مالك مايقوليش.

- مش موضوعنا.. المشكلة إن الواد دا اتقتل بنفس الأسلوب اللي اتقتلت بيه هند ونسرين.

- وأفهم من كدا إيه بقى؟

- حاجة من الاتنين مالهمش تالت.. يا إما اللي قتل الاتنين دول هو هو اللي قتل هاني.. يا إما واحد بيتبع نفس أسلوب القتل.

اختلطت الأوراق، تبعثرت في وجه الجميع، ما الذي يحدث، لا شيء يُظهر لنا الحقيقة، إعادة الحسابات في هذا الموقف قد تفيد وقد تضر. فما فائدة هذا وقد أعدم قاتل الضحيتين؟ ربما مع إعادة النظر قد يتبين أن هناك شخصاً آخر درس طريقة القتل أراد أن يطبقها مع هاني، ما علاقة الأطراف ببعضها البعض؟ لا أحد يعلم في ظل هذا الوضع.

***

صُدمت يارا عندما قرأت الرسائل والمحادثات التي كانت بين مالك و نسرين، قرأت سريعا وقبل أن تأتي ماهي من الداخل أسرعت وفتحت ملف ورد ونقلت كل محتويات المحادثة بينهما بالملف وأرسلته إلى بريدها الإلكتروني لحين العودة إلى المنزل لتقرأه جيداً.

الفضول والرغبة في معرفة محتوى الرسائل جعلتها تنهي الزيارة سريعاً متجهة إلى البيت، أسرعت إلى اللابتوب ثم فتحت الإيميل وضغطت زر التحميل، وجلست في الغرفة بمفردها تقرأ الرسائل التي كانت بينهما على مدار عام كامل قبل مقتل نسرين، تعجّبت لماذا لم تصارحها أنها تتحدث مع مالك في أمور كثيرة؟ يبدو أن مالك كان محقاً عندما تحدث عن الكهف الذي يسكن بداخل كل واحد منا، لكن لم تتوقع أن نسرين برغم الصداقة التي بينهما كانت تخفي في الكهف الكثير عنها.

أخذت تقرأ السطور وتبكي، لم تصدّق ما تقرأه عيناها، كيف ومتى استطاعت نسرين أن تقترب من مالك ليتحدثا في أمور خاصة لم تتحدث نسرين معها من قبل، هناك أمر غريب، شيء لا تستطيع يارا أن تدركه، وجدت لقاءات تم الاتفاق عليها، وجدت نفسها بين حديثهما، حاولت نسرين

أن تصف لمالك ما حملته يارا من مشاعر تجاهه. قرأت جملة: "وحشتني ووحشني الكلام معاك". عندما يغيب مالك كعادته بالأيام والأسابيع، لم تتوقع أن تتجاوز العلاقة عن حد المرة التي تقابلا فيها، حتى عندما أفرج مالك عن وجود يارا في قائمة انتظار الأضافة عنده على موقع فيس بوك وجدت نسرين صديقة مشتركة بينهما، ولكن أن تصل العلاقة إلى هذا الحد من التفاصيل الدقيقة في حياة نسرين فلم تتوقع ذلك أبداً، كيف وقد بدا لها أن هذا الكائن لا يميل إلى التحدث مع النساء أو مصاحبتهن، تركت ما تبقى من المحادثة وقامت تتجول ذهاباً وإياباً في الغرفة وقد غمرتها الصدمة. قالت متسائلة: كيف لكل هذا أن يحدث، وأنا التي كنت على يقين أنني أعرف ما يدور من حولي؟ من الآن سأصنع لنفسي كهفاً مظلماً لن يجرؤ أحد أن يتخطاه وإن فعل سيُدفن بداخله.

***

وجدت المباحث جثة هاني مسجاة على بطنه بأرض غرفة استقبال الضيوف، وُجد مذبوحاً من العنق ويلتف حول رقبته رابطة عنق خاصة به، تم التعرف عليها من قبل أحد أفراد أسرته، أسرع ضابط المباحث العقيد طاهر المنياوي باستدعاء كل سكان العقار، وأيضاً استدعاء أفراد عائلته، وتبيّن من التحقيقات أن هاني لم يكن لديه أي خصومة مع أحد في محيط الأسرة أو الجيران، وُجد أيضاً أن القاتل دخل بطريقة مشروعة لعدم وجود أي كسر بباب الشقة أو النوافذ، بالمعاينة الظاهرين وُجد أن هاني كان ممسكاً بيده قطعة ورق مقطوعة من أحد الكشاكيل لا يتعدى حجمها كف اليد مدون بها بعض الرسومات والكلمات غير مرتبة، قد تقود تلك الورقة

المباحث لمعرفة هوية القاتل، أرسلت الجثة للطب الشرعي؛ لتشريحها وإرسال التقرير في أسرع وقت للنيابة.

علم آدم عواد بما حدث، طلب من العقيد طاهر أن يلتقي به وخصوصاً بعد معرفته بتشابه أسلوب القتل بين القضيتين، في اليوم التالي كان طاهر في انتظار آدم في مكتبه، يريد أن يسمع ما يلقيه على مسامعه.

في صباح اليوم التالي كان آدم موجوداً بمكتب طاهر، جلس طاهر ممتلئ الجثة يلامس كرشه حزام البنطال، يبتسم في خبث لآدم، قال طاهر وهو يشعل سيجارته وينفث الدخان في اتجاه آدم:

- لما كلمتني يا آدم بيه.. طلبت ملخص عن القضية اللي كانت في دايرتك.. مش برضه القاتل هو حسني محفوظ واتعدم؟

- مظبوط.

تقدم طاهر بجذعه ثم استند بذراعه على المكتب قائلاً:

- أعتقد إن اللي جايبك النهارده في مكتبي إنه وصلك تفاصيل جريمة القتل اللي حصلت من يومين.. وأكيد عرفت إن طريقة القتل متشابهة.. ودا في قاموسي مالهوش إلا معنى واحد (سحب نفساً من السيجارة وألقى بدخانها في اتجاه آدم، ابتسم ثم أردف قائلاً).. إن القاتل لسه بيتفسح في البلد!

- وليه ماتقولش إنه استخدم نفس طريقة القتل وخصوصاً إنها اتكتبت في الجرنال.. وكمان يا طاهر بيه إنت راجل مباحث قديم وسمعتك سابقاك وعارف إن الأدلة الجنائية دليل قوي ضد أي متهم.. والأدلة اللي كانت موجودة في مسرح الجريمة تطابقت مع المتهم.. إلا لو أنت بتشك في نزاهة قضائنا؟

ألقى آدم كرة النار في ملعبه، الابتسامة الساخرة لا تفارق وجه طاهر، قال محاولاً الرد بقوة:

- إنت لسه سنك وخبرتك مش كبيرة..

قاطعه آدم بحدة:

- طاهر بيه أنا جاي هنا مش عشان آخد تقييمك في خبرتي وسني.. أنا جايلك في محاولة مني إني أقدر أقدم لك تقارير من القضية اللي كانت معايا..

- تشرب حاجة؟

- شكراً.

أقدم آدم على تلك الخطوة في محاولة منه للدخول داخل القضية للتأكد من شكوك دارت في رأسه.. هل القاتل مازال طليقاً أم أسلوب يتكرر لا أكثر، لا يهمه أن يساعد هذا الضابط المتغطرس، كل الذي يهمه التأكد ليس أكثر.

***

جرنال الساعة

الحزن يخيم على المكان، النساء اللاتي يعملن بالجرنال يلبسن الأسود، بكت هناء كثيراً، جلس مصطفى في مكتبه يفكر ما الذي اقترفه هاني ليقدم القاتل على فعل ذلك به، التزم مالك الصمت في بعض الأحيان، يدخل إلى مكتبه ثم يجلس ليكتب، يطلب كوب الشاي ثم يعود لصمته مرة أخرى، خرج مصطفى من مكتبه واتجه إلى هناء، طلب منها بعض الأوراق، عاد واتجه إلى مكتب مالك وجده غارقاً في أفكاره يكتب بنهم شديد، فضّل ألا يقطع استرسال أفكاره، عاد إلى المكتب وبدأ يفكر.. لابد أن يغطي الجرنال حدث قتل هاني، فكيف يتجاهل أو لا يهتم بذلك الحادث، والضحية أحد

أفراد طاقم العمل لديه، الآن لا يهم استرسال أفكار مالك، هاتفه على تليفون مكتبه ودعاه ليحضر إليه، تقدم مالك في خطوات ثابتة، لم يَبدُ عليه شيء من ملامح الحزن أو الضيق، نظراته ثابتة، جلس في هدوئه المعتاد ليستمع إلى ما يريد أن يلقيه مصطفى على مسامعه، دخل عامل البوفيه ووضع كوب الشاي بالنعناع أمامه، كان قد طلبه قبل أن يدخل إلى حجرة مصطفى، نظر له مصطفى في حزن قائلاً:

- الموقف صعب وأنا عارف.. بس دا شغل ولازم ننفذه.

- أنا فاهم كلام حضرتك.

- أنا عارف إنه كان صاحبك.. كنتوا قريبين من بعض.. بس لازم نشتغل في القضية دي من نارعشان دا واحد من التيم بتاعنا.. أنت قدها يا مالك.

- ماتقلقش.

سأله مصطفى مباغتاً:

- إنتوا كنتوا صحاب.. إنت مش بتشك في حد معين؟

صمت مالك لبرهة قبل أن يجيب:

- هاني علاقاته كانت كتير وله أفعال كانت غريبة شوية.. مش هستبعد إن يكون حد من صحابه عمل كدا.

- لا وضّح كلامك يا مالك.. أفعال غريبة ازاي؟

- مش هيفيد الكلام عن الموضوع دا يا أستاذ مصطفى.. خلينا نمشي في القضية وبعد كدا كل شيء هيبان.

- اللي يريحك.. هسيبك تشوف شغلك بطريقتك.

- أشكرك.. أستاذن أنا.

- اتفضل.

بدا مالك أمره غريب غير متأثر بموت صديقه، كان قاب قوسين أو أدنى من إفشاء أحد أسرار صديقه، ولكنه تراجع، ليس بالحماس السابق عهده لكشف ملابسات الحادث، ماذا حدث؟ لماذا يسعى بحماس وقد نال ما يتمناه من شهرة و ترقيه؟ سيجلس الآن على مكتبه ويعمل كأحد الصحفيين الذين لهم باع في المهنة، لن يستطيع أن يعود مالك بنفس الحماس السابق؛ تلك الأفكار كانت تدور في رأس مصطفى عندما خرج مالك من مكتبه.

***

سراي نيابة العمرانية

في مكتب إسلام توفيق وكيل النيابة المسئول عن قضية قتل هاني اجتمع كل من محمد جمعة وأحمد خيري، تبادلا الحديث للوصول إلى الطريق الذي يقدوهما إلى فهم ما يحدث، الظنون تتحرك إلى ما هو سيئ، دار الحديث عن ملابسات الحادث، وكيف وُجدت الجثة، وشهادة الشهود من سكان العقار والمنطقة، أردف إسلام قائلاً:

- بس غريبة تشابه طريقة القتل.

قال خيري في حماسة:

- يمكن القاتل بيحاول يقلد الأسلوب.

قاطعه إسلام قائلاً وهو يُخرج من درج المكتب ثلاثة أكياس بلاستكية محُكمة الغلق شفافة:

- ما أعتقدتش يا أحمد.. من المعاينة الظاهرية واضح جداً إن القطع اللي في الرقبة واحد محترف هو اللي عامله.

قال جمعة وهو شارد:

- أتمنى اللي في بالي مايكونش صح.

قاطع شروده سؤال أحمد:

- إيه هو اللي في بالك؟

- مش مهم دلوقت لما نشوف إيه اللي هيحصل.

بعد أن وضع إسلام الأكياس الثلاثة على سطح المكتب بدأ في عرض محتوياتها عليهم، تعلقت أعينهم بمحتويات الأكياس، فالأول كان يحتوي على سكين المطبخ ملطّخاً بقليل من الدماء المتجلط من أعلاه، أما الكيس الثاني فيحتوي على رابطة العنق الخاصة بالقتيل، أما الكيس الثالث فمحتوياته لفتت انتباه الجميع، كانت عبارة عن ورقة مطوية، أخرج محمد جمعة من جيبه منديلاً ثم أمسك بالكيس الثالث، وأخرج الورقة وأمسكها بالمنديل حتى لا تختلط البصمات، فتح الورقة كانت تحتوي على بعض الكلمات غير المكتملة وبعض الرسومات، التقطها منه أحمد خيري، دقق النظر بها، تغيرت ملامح وجهه فأصبحت كموج البحر، تحوّل من هادئ إلى أمواج تتلاطم، لم يصدق ما رآه، سأله إسلام قائلاً:

- إيه يا أحمد إنت شوفت كلام عفاريت مكتوب ولا إيه؟

- لا.

اندفع جمعة متسائلاً:

- أمال فيه إيه؟ ماتتكلم.

- الكلام دا دلوقت مش هينفع.. بعدين.

***

عاد أحمد إلى مكتبه مرهقاً، فقد استحوذ ما رآه على تفكيره حتى وصل إلى مبنى النيابة، قبل أن يدلف إلى مكتبه هاتف "مالك" وسأله أن يحضر إليه، فهناك يده دليل قوي ربما يملك مالك القدرة على فك طلاسمه، جاء صوت أحمد هادئاً:

- إنت فين يا صديقي؟ مختفي ليه؟

ابتسم مالك:

- موجود يا خيري.

- طب عدي عليا في مكتبي كمان شوية عايزك عشان قضية هاني.. ماسكها واحد صاحبي وممكن يخدمك.

- ماشي هعدي عليك.. بس يا رب تكون فاضي.

- ماتقلقش أنا ماورايش حاجة غيرك النهارده.

- اتفقنا.. نص ساعة وهكون عندك.

أسرع مالك واستقل تاكسي، الطريق مزدحم وكلام السائق لا يتوقف عن حال البلاد والعباد، زاد توتره، أصرّ السائق على الحديث مع مالك، ولكن الأخير لم ينبس بكلمة، الأفكار في رأسه تركض ركض الوحوش في البرية، ولكي يستطيع أن يجاريها لابد له أن يكتب، أخرج متسلسلة الأفكار وبدأ يدوّن أجزاء من روايته الجديدة. وقف التاكسي أمام المبنى، دلف إليه وصعد مسرعاً إلى مكتب خيري، لم يجده، سأل أحد العاملين الرابض أمام المكتب أبلغه أنه في دورة المياه، وقد أبلغه أن يُدخله إلى المكتب لكي ينتظره، مرّ من الوقت عشر دقائق كان مالك جالساً في مكانه لا يتحرك، ولم يحاول أن يهاتف صديقه، تقدم أحمد إلى الغرفة، بدا عليه الإرهاق والقلق، التفت

مالك إليه وهو جالس، قام متجهاً اليه، تجاهله أحمد واتجه مباشرة وجلس إلى مكتبه، تعجّب مالك من رد فعل صديقه، ما فعله أحمد كان غريباً جداً على مالك، أخرج أحمد سيجارته وأشعلها، تقدم وجلس أمام مالك ثم مال بجذعه متكئاً بمرفقية على فخذيه وهو ينظر إلى مالك بحدة، سأله وهو ينفث الدخان باتجاهه قائلاً:

- عايز أسألك سؤال.

- إنت جايبني عشان تسألني سؤال؟ ما كنت سألتهولي في التليفون.. وكمان إيه أسلوب التحقيقات اللي بتعاملني بيه دا؟

سأله أحمد متجاهلاً كلامه قائلاً:

- تفتكر الكهف اللي اتكلمت عليه يوم ما كنا بنتغدى كلنا له عمق محدد جوا كل واحد؟

تعجّب مالك من السؤال، فكر قليلاً، وأصر أن يعطيه الجواب:

- حسب اللي انت عايز تخفيه جوا الكهف.

أعاد أحمد ظهره إلى المقعد قائلاً:

- إنت صح.. إجابتك منطقية.. طيب بحكم صداقتنا اللي بقالها سنين.. صحيح يا مالك هي بقالها كام سنة؟

- وليه السؤال؟

- جاوبني بس.

- حوالي خمستاشر سنة.

- بحكم الفترة الكبيرة دي تفتكر الكهف اللي جوايا عميق قد إيه؟

- مش عارف.

أجابه بعنف وهو يخبط بيده على المكتب قائلاً:

- لا عارف.. عارف كل حاجة عني.. أنا ماعنديش كهف جوايا ولا مخبي فيه حاجة عنك.. لكن أنت جواك كهف ضلمة مالهوش نهاية.. خسارة يا مالك.. خسارة.

- إنت عايز إيه يا أحمد؟

- ليه يا مالك؟ ليه توصل للنهاية دي؟

ابتسم مالك وهو يداعب أنفه:

- أنا ماعنديش نهاية.. العرض مستمر.

- قتلت هاني ليه؟

ضحك مالك بصوت عالٍ:

-هاني إيه اللي قتلته يا عم انت؟

أسرع أحمد متجهاً إلى درج المكتب، أخرج منه الورقة المطوية، فتحها ثم فردها أمام وجه مالك لكي يراها، في تلك اللحظة كان مالك مبتسماً هادئاً، اقترب أحمد إليه وهو يمسك الورقة قائلاً:

- فاكر الرسمة دي؟ أكيد عارفها.. دايماً كنت بلاقيك راسمها وأنت بتذاكر معايا لما بتسرح.. كل كتبك وملازمك أيام الدراسة مليانة بالرسمة دي.. الكومي.. الرسمة اللي طبعتها على التي شيرت اللي كنت لابسه يوم رحلة المدرسة واتصورنا مع بعض.

- برافو عليك.. شاطر يا حضرة الوكيل المحترم.

- لوسمحت اديني الكشكول اللي بتكتب فيه.

بكل هدوء أعطاه مالك ما يريد، أخذ يقلب في أوراقه حتى وجد ضالته، أحد صفحات متسلسلة الأفكار مقطوعة، وضع أحمد الجزء الذي بيده بجوار الجزء المقطوع فاكتملت الصفحة، نظر له أحمد وقد بدا عليه الثقة في إثبات ما رآه، لآخر لحظة كان يرغب أن ما يدور داخله من شكوك ربما تكون كاذبة في النهاية، هو الآن أمام اليقين الذي يقطع الفولاذ، أردف أحمد قائلاً:

- نفس الطريقة والأسلوب.. كرافتة.. خنق.. دبح.. بس المرة دي مافيش اغتصاب.

- تفتكر إن كل اللي معاك دا هتقدر تثبت دليل واحد عليا؟ أبداً.. حسني مات خلاص.. وسخ.. يستاهل أكتر من كدا.. كان فاكر نفسه دكر.

- واشمعني حسني اللي اخترته يلبس القضية.

- عشان طماع وبيبص في حاجة غيره.. بص على حاجة أبويا..

قاطعه أحمد:

- حاجة أبوك إيه؟ الشغل؟

- لا.. أمي.. اتعدى عليها في مرة لما زارنا في البيت وأبويا كان مسافر.. كان لازم يموت بإيده هو.

كان أحمد يستمع باهتمام لما يقوله مالك.. مسح بيده وجهه في محاولة منه للثبات، حتى يتسنى له التركيز في كل كلمة يلقي بها مالك على مسامعه، سأله ليكمل الدائرة المفرغة قائلاً:

- ليه قتلت هند ونسرين؟

- كانت وسيلة.

-وسيلة لإيه؟؟

- للغاية الأهم.

- غاية إيه يا مالك؟

رد مالك:

- هدم الأصنام.

- مش فاهم.

- كل واحدة فيهم افتكرت نفسها صنم لازم يتعبد.. اتحكموا في أجوازهم وفرضوا قوانينهم هما.. اللعب في إيدهم والقوة معاهم.. سيطرة رأس المال وسيطرة الرغبة والطمع.. نسرين ماكانتش تنفع تبقى أم.. وهند ربنا رحم عيالها اللي كانوا المفروض ييجوا.. اتجوزت هند براجل جنسياً ضعيف وغني.. لعبت صح.. واستفادت من المال والنفوذ وسيطرت عليه.. اتحكمت في حياته.. واتحكمت في اللي حوليها.. كانت بتستفيد من الكل.. ووصلت لقمة الطغيان على جوزها.. أما الهانم التانية من أول يوم جوازوهي فارضة عليه كل أنواع السيطرة.. حاولت تتدخل في شغله.. لكنه رفض.. ولما رفض كان عقابه قواضي عشان تنفصل.. وأخدت بنتها عافية وبمساعدة هند وقوانينها.. حتى يارا صاحبتها سيطرت على تفكيرها، وكانت بتقويها على أمها عشان تتمرد.. تفتكر يعيشوا يعملوا إيه؟؟ لو أطول كل الستات اللي شبهم هعملّهم محرقة زي بتاعة هتلر..

- من غير أي سلطة قررت تعاقبهم؟ ليه؟

انفعل مالك من سؤاله فظهرت عروق جبهته:

-ليه؟؟؟ بتسألني ليه؟؟

نهض مالك بعصبية شديدة وكشف عن ساقه وذراعه قائلاً:

- شايف يا أحمد بيه.. شايف كم الحروق اللي في جسمي؟ عايدة كانت صنم زيهم وعايزه اللي حوالها يعبدها.. سيطرت على أبويا.. كان ضعيف وهرب ورفض المواجهة.. ماخدتش من ريحته غير الكرافتة.. كانت بتربط بيها رجلي وإيدي وتبدأ جلسات التعذيب.. ماكانش حد قدامها غيري.. فسيطرت عليا لحد لما قررت أكون أنا..

- وأنت هتستفيد إيه لما تتعدم أو تموت؟

- اكسر الصنم التالت.. عايدة.

- أمك؟؟

- اسمها عايدة.. لما هموت.. هتتكسر.. وساعتها أبقى عملت الصح.

لم يعطِ مالك لصديقه أي فرصة لمساعدته.. أُغلقت اللعبة كأوراق الدومينو، اتجه إلى هاتف المكتب واتصل بمحمد جمعة فلم يجده، هاتفه على المحمول وطلب منه أن يحضر إلى مكتبه، انتهى من مكالمته مع جمعة واتصل بقسم قصر النيل.. الآن يبدأ العرض.

***

قبل الحادث بسنة وثمانية أشهر..

في الملهى الذي يعتاد حسني الجلوس فيه بصحبة النساء، لاحظ مالك وهو جالس في إحدى زوايا الملهى أن حسني يعتاد الجلوس واصطحاب امرأة تكرر وجودها معه؛ استمرت زيارات مالك للمكان مراقباً حسني، حتى جاء يوم واستدعى أحد العاملين في المكان، وسأله عن اسم المرأة التي كانت تجلس مع حسني، تحمّس الشاب الثلاثيني معتقداً أنه زبون يريدها وسيحصل منه على مبلغ مقابل تسهيل إقامة علاقة معها، أخبره الشاب باسمها.. عزة.. وقال له

إنه يستطيع أن يجعلها تذهب معه أينما شاء، أخبره مالك أنه يريدها خارج المكان لمدة نصف ساعة وستعود مرة أخرى، دس مالك في يد الشاب ورقة حمراء فئة الخمسين جنيهاً، فانطلق الشاب مسرعاً ليلبي طلب سيده، تقدّمت عزة إليه وجلست بجواره على الطاولة، كان حسني وقتها مشغولاً بإجراء بعض الاتصالات خارج الملهى: بدأت عزة في عملها بعد أن جلست مباشرة، أخذت تداعب شعر مالك، فإذ به يمسك يدها بقوة، حدجها قائلاً:

- مش عايزك عشان كدا.

تشدقت عزة قائلة:

- هو انت منهم ولا إيه؟

- بقولك إيه.. عايزك في شغلانة هتاخد منك يومين.. اليوم بألف جنيه.

ابتسمت عزة قائلة:

- هتشغلني إيه؟ سكيرتيرة؟! (ثم أطلقت ضحكاتها).

- لا.. هاقابلك بكره تحت كوبري الجامعة، في مَرسى هناك هتلاقيني مستنيكي في مركب، هناخد رحلة نيلية وهشرحلك كل حاجة.

همّ بالذهاب ثم ألقى بين يديها مبلغ خمسمائة جنيه.

- دا العربون.. ماتتأخريش بكره الساعة تمانية.. ولو فكرتي ماتجيش وتاخدي الفلوس.. هزعّلك.

كانت نبرة صوته قوية وسط صخب الموسيقى العالي، رأت في عينيه قوة فشعرت بالخوف منه، ولكن عندما تذكرت الألفي جنيه، عاد الاطمئنان إلى قلبها مرة أخرى.

في تمام الثامنة حضرت عزة إلى المَرْسى، وجدت مالك جالساً بالمركب في انتظارها. تقدّمت وجلست بجواره، تحرك المركب في طريقه وسط المياه، تحدث معها عن مهمتها التي يجب أن تكون دقيقة جداً في تنفيذها. طلب منها عند اصطحاب حسني لها الخميس المقبل أن تُحضر له رابطة عنق خاصة به، وأن تحتفظ بالواقي الذكري وبداخله السائل المنوي، اتفقا أن تنتظره في نفس المكان بعد إتمام مهمتها، أعطاها خمسمائة جنيه، واتفق أن يعطها باقي المبلغ بعد أن تُحضر معها ما طلبته منها، أخبرها أن هذا سيتم على مرتين، وفي كل مرة ستُحضر ما طلبه منها، أخرج من جيبه شريطاً لاصقاً شفافاً، وأعطاها إياه، تعجبت فقال لها:

- لما البغل دا ينام بعد ما تخلصوا.. أقطعي جزء من الشريط دا وألزقيه على صباعه من غير ما يحس.. وهاتيه تاني.. أهم حاجة بصمة إيده ماتضيعش من على الشريط، وخدي بالك بصمتك ماتكونش موجودة.

نفّذت ما طُلب منها على مرتين، في كل مرة كان هو المجهول القابع في الظلام ينتظر نتيجة تخطيطه، ويتأكد أنها قامت بالمطلوب.

***

أدرك منذ وصوله إلى الجرنال أن هناك عناصر في هذا المكان ستساعده في ما يريد إذا استطاع أن يكسبهم في صفه، تأكد من خطته عندما رأى صور هاني، بدا له أن السيطرة عليه أمر سهل، ولكن عندما وقعت الصور أمامه وجدها سلاحاً قوياً، طلب من هاني أن يساعده في القتل، وافق هاني وزادت رغبته عندما رأى هند ونسرين، أيقن أنهما فرائس سهلة المضغ، الاتفاق بينهما واضح، سيقوم مالك بقتلهن وذبحهن، أما هاني فسيقوم

بمضاجعتهن. أكد عليه مالك أن يرتدي الواقي حتى لا يترك أثراً له في المكان، ارتدى كل منهم حُلة سوداء مصنوعة من الجلد كالتي تظهر في الأفلام الأجنبية، تلتصق في الجسم، وخُف من الجلد السميك في القدم حتى لا يترك أي آثار للأقدام على السجاد، كل هذا حتى لا يترك أي أثر لبقايا قشور الجلد أسفل أظافر الضحية، وحتى لا يترك الحذاء أي أثر فيستطيع المعمل الجنائي معرفة هوية القاتل.

يحدد مالك الموعد المناسب، يصعد إلى الشقة ويطرق الباب، تفتح له الضحية في ترحاب، وما أن تستدير حتى يضربها على رأسها من الخلف فتسقط، يسرع ويفتح الباب ليدخل هاني، يذهب مالك إلى المطبخ ويحضر السكين، ثم يُخرج من حقيبته رابطة العنق الخاصة بحسني، يطوّق رقبتها برابطة العنق ويضغط في قوة، تقاوم الضحية، ثم يقوم بذبحها، يحملونها إلى غرفة النوم لكي يقوم هاني بمهمته، بعد أن ينتهي هاني يقوم مالك بسحب عينة السائل ووضعه داخل الجثة عن طريق حقنة مجهّزة لذلك الغرض، يُخرج الشريط اللاصق ويخلطه بدم الضحية ويبدأ في لصقه على الأماكن التي وُجدت بها البصمة، ينتهي من مهمته، يذهب إلى المطبخ ويزيل بقايا الدم الموجودة على السكين، يخلع بدلته وينصرف هو وصديقه في هدوء.

***

يومان مرّا على التحاق مالك بالجرنال، بدأت هناء في الاقتراب منه، بدا لها مالك الشاب الهادئ ذا الملامح الطيبة، قرأها سريعاً وعرف أنها ترغب في أحد يشاركها مشاعرها التي تفيض، ترغب في الحب وهو يرغب في مكانتها

عند مدير التحرير، تبادُل مصالح. لم تشعر أنها كانت في يوم من الأيام له ككوبري للعبور إلى الجهة الأخرى، تصنّع أنه يهتم بها، بعض المكالمات بعض النظرات المتصنعة، حتى جاءت الفرصة ورشّحته لمدير التحرير بعد أن أوقع بزهير منصور عن طريق مروة بعد أن أخذت منه كل الأوراق المهمة المتعلقة بالقضية، مما أسفر عن طرده من الجرنال؛ لتتدخل هند وتدفع به إلى الأمام، أمسك مالك الخيط جيداً، واستطاع أن يتقن عمله، بدأ اهتمامه يقل تدريجياً بهناء، حتى وصل إلى مكانة عالية داخل الجرنال.

***

قبل مقتل هند بعامين

تقدم سلمان ودلف إلى غرفة مالك سأله متعجبا:

- أنت لسه مالبستش؟ معاد الحفلة الساعة تسعة.

نظر له مالك وهو ممدد الساقين على السرير:

- هو أنا لازم أحضر معاك الحفلة دي؟

- طبعاً.. كل الموظفين وعائلاتهم هيحضروا الحفلة دي بمناسبة مرور عشر سنين على تأسيس الشركة، مش معقولة يعني أبقى صاحب الشركة وماجيبش عيلتي معايا.

- هي عايدة رايحة؟

- آه.

تشدق مالك قائلاً:

- طيب هقوم ألبس.

في القاعة الكبيرة بأحد الفنادق وقفت هند وسط مجموعة من الرجال

والنساء تتحدث بثقتها المعهودة، بدا عليها وكأنها فنانة مشهورة يلتفّ حولها المعجبون، أناقتها وجسمها الرشيق لا يعكسان أنها قد تجاوزت الأربعين، الموسيقى صاخبة وضحكتها أعلى من الموسيقى في أذن من حولها، تقدمت عايدة ومالك ليصافحا هند، قالت هند وهي تبتسم وتتأمل ملامح مالك:

- إزيك يا مالك.. عامل إيه؟

أجابها مالك ببرود:

- كويس يا هند.

حدجته عايدة، نظر لها مالك في تحدٍّ قائلاً:

- أيوة هند.. المفروض أقولها طنط والكلام دا؟ (ثم أداروجه إليها متسائلاً):

- مش هند أحسن برضه؟

ابتسمت له قائلة:

- اللي يعجبك يا قمر.. بقيت راجل وبتعرف تقدّر الجنس اللطيف. (ثم أطلقت ضحكتها).

علمت هند من عزت ذات مرة أن مالك وأمه على غير وفاق، ودائماً يتنازعان فيما بينهما، ولا يتدخل سلمان لحل الخلاف بينهما، في معظم الأوقات يتحدث سلمان إلى عزت عن تلك العلاقة المتوترة، علمت هند فقررت أن تخبر مالك إذا احتاج لها في أي شيء ستكون دائماً موجودة معه، جنح لها مالك في بعض الأوقات، زارها في البيت وتحدث معها، رأى فيما بعد معاملتها وتحكمها مع عزت، وعرف أن عزت يتحدث مع فتيات في الهاتف ليشبع رغباته، رآها تتوحش أمامه، وأحكمت السيطرة على كل شيء، فنالت المرتبة الثانية من ضحاياه.

منزل هاني

صمت هاني بعد أن ذكّره مالك بتفاصيل الصور، حاول أن يتجنّب الحديث المتكرر عنها، ولكن مالك دفعه دفعاً للحديث مرات كثيرة، سأله هاني محاولاً تجنّب الصدام معه:

- ممكن آخد الفلوس؟ ولا لسه هتسمعني كلام تاني؟

- أنا ماجبتش معايا فلوس.

تغيّرت ملامح هاني واندفع باتجاه الحقيبة؛ للتأكد من صحة كلامه، باغته مالك بضربه على مؤخرة رأسه بمطفأة السجائر الكريستالية، سقط هاني أرضاً على بطنه، انقضّ عليه مالك وأخذ يضربه وهو يصيح:

- إنت فاكر نفسك هتعرف تمسك عليا حاجة يا ابن الكلب؟

حاول هاني أن يفلت منه، ولكنه لم يستطِع فقد كان لتأثير الضربة مفعول قوي أفقده توازنه، أغرقت الدماء ملابس هاني، أسرع مالك إلى المطبخ وأحضر السكين، ثم اتجه مسرعاً إلى غرفة هاني، وأحضر رابطة عنقه، أسرع إلى الغرفة ووقف يراقب هاني وهو يحاول الوقوف، مدّ يده إلى الكرسي المُذهب ليستند عليه ليقف، قبض بيده على جزء من متسلسلة الأفكار التي كانت صفحتها مفتوحة فقطع جزءاً منها ظل عالقاً بيده، تقدم مالك بعد أن استطاع هاني أن يقف على قدميه، جاء مالك من خلفه وطوّق رقبته برابطة العنق وبدأ يخنقه، حاول هاني أن يفلت منه ولكنه لم يستطِع تحت تأثير الضربة الأولى، سحب مالك السكين ثم ذبحه، دفعه فسقط أرضاً، أغرقت دماؤه الأرض، اندفعت من رقبته كصنبور اندفع منه الماء متدفقاً، اتجه مالك في هدوء إلى المطبخ، ومسح السكين ثم تركه داخل الحوض، أسرع إلى

الغرفة مرة أخرى وأخذ كوب الشاي وبداخله أوراق النعناع وعاد إلى الحوض وأفرغ محتويات الكوب، لملم أشياءه ثم انصرف في هدوء.

***

نظر مالك إلى أمه، وهو خلف القضبان الحديدية يتأمل آلامها ودموعها التي تنهمر، ابتسم، ثم نظر إلى أبيه الذي جلس في انكسار، وجّه نظره إلى أحمد خيري الذي يستعد للمرافعة، فقد طلب أحمد من النائب العام أن يحقق في القضية كوكيل نيابة، وبعد الموافقة على طلبه أعدّ المرافعة، وجاء في آخرها طليه بوقوع أقصى العقوبة على المتهم وهي الإعدام، انتفضت القاعة من التصفيق، وظلّ مالك مبتسماً، طلب القاضي من الحضور الهدوء، وعلّق الجلسة للمداولة، اقتربت عايدة من القفص الحديدي، ونظرت إلى مالك وهي تبكي، بينما ظل سلمان قابعاً في مكانه، ابتسم لها مالك في سخرية قائلاً:

- أول مرة أشوفك كدا.. ضعيفة.. وهو دا اللي كنت عايزه..

- هو أنا كنت للدرجة دي وحشة في نظرك؟

- جسمي أكبر دليل على ساديتك.. كل حتة فيه بحروق شكل.. وشخصيتك اللي فرضتها عليا وصلتنا للطريق دا.. أنا عارف إني هتعدم.. مش فارق معايا شيء.. روحي عيشي حياتك زي مانتي عايزة.. سيطري أكتر.. واثبتي للعالم كله إن انتي على طول اللي صح.

عاد القاضي مرة أخرى بعد المداولة، وأعلن عن الحكم.. ستنتظره البدلة الحمراء عما قريب.

***

بعد مرور عامين

ترك سلمان تجارة الأراضي، عاد مرة أخرى إلى شقة عين شمس ليستمتع بما تبقى له من أيام يقضيها مع نفسه، ترك الشركة لعزت بعد أن فضّ الشراكة بينهما، كل يوم يستيقظ صباحاً يرتدي ملابسه ويذهب لشراء الجرنال، ويعود يعدّ لنفسه الفطور، استمر على هذا الحال بعد انفصاله عن عايدة لمدة عام، داهمه المرض، تردد على المستشفيات، ولكن رأى أن ذلك دون أي جدوى، عاد لروتين حياته مره أخرى، حتى رحل في هدوء دون أن يشعر به أحد.

تركت عايدة العمل في الوزارة، طلبت أن تسوّي معاشها، باعت شقتها في مدينة نصر وعادت إلى دار الخطاطبة مرة أخرى، تغيّرت أشياء كثيرة هناك، جلست وحيدة بالدار تتذكر الأيام الجميلة التي قضتها هناك، يحضر إليها أخوها مرة كل أسبوع لانشغاله بالتجارة، طلبت منه أن تعطيه مبلغاً من المال لكي يوسع تجارته، لم يعارض وسألها هل تريد الأرباح سنوية أم تريد مبلغاً كل شهر، أخبرته بأنها لا تريد المال الذي جمعته من العمل، نفذ رغبتها، علمت بموت سلمان بعدها بشهور عندما كان أخوها في زيارة إلى القاهرة ماراً بأحد أصدقائه في منطقة عين شمس وأبلغه، حزنت عليه بقلب منكسر، وقالت لنفسها إنه كان سبباً في شقاء هذه العائلة!

***

فوق هضبة المقطم وقفت سيارة بالقرب من حافة الهضبة، كانت الشمس تستعد للمغيب، والبيوت تظهر في الأفق بهيئة صغيرة جداً، طوّق رقبتها بيده يداعب خصلات شعرها، بينما جلست جواره تنظر له بابتسامه صافية،

أستأذنها أن يذهب ليُحضر بعض المشروبات من شنطة سيارته، ابتسمت له وأشارت برأسها بالموافقة. وضعت يدها على بطنها وأخذت تداعب طفلها الذي تجاوز عمره داخلها شهره السادس، نظرت إلى قرص الشمس الذي بدأ يسقط خلف البنايات، خرجت من السيارة وجلست على مقدمة السيارة وأمسكت في يدها متسلسلة الأفكار، لاحظ زوجها خروجها من السيارة فصاح قائلاً:

- إيه يا يارا.. فيه حاجة؟ خرجتي ليه؟

- مافيش يا محمود.. المنظر من هنا أحسن.

طيب هجيب بقية الحاجة وهجيلك.

أخذت تقلب في أوراق متسلسلة الأفكار، استقرت على صفحة بيضاء وأمسكت قلماً بيدها كان داخل المتسلسلة، نظرت إلى العمارات الرابضة أمامها، وبدأت تكتب حتى وصلت إلى نهاية ما كانت تكتبه، حضر زوجها وجلس بجوارها ينظر إلى المشهد الرائع لشروق الشمس، قدّم لها علبة مياه غازية، أخذتها منه في صمت، وعادت لتنهي ما كانت تكتبه، وضعت يدها اليسرى على بطنها وكتبت:

كم بيتاً في مصر سيُخرج "مالك" جديداً؟

تمّت

يونيو ٢٠١٤

شكر خاص

أحمد سلامة

أشرف العشماوي

عمرو سمير عاطف

عمرو الجندي

محمد مجدي

د. عصام منا

د.سارة القاضي

د.سيف علم الدين

أحمد على عطية

هشام مجدي

محمد فرج عبد الوهاب

بسمة خليفة

محمود على كومبوند

أحمد خيري

أحمد مكي

أحمد عبد الرءوف

طارق حسين

ماجد شيحة

سمير عز

محمد عز

"هذه الرواية من نوعية روايات أدب الجريمة الراقي، نمط روائي مكتمل يندرج تحت عنوان "مَن فعلها؟".. أجاد فيه سرد الرواية البوليسية دون تكلّف أو افتعال، وهو أمر يستحق الإشادة.. شخصيات الرواية مترابطة درامياً، غاص الكاتب في أعماقها بصورة تحسب له.. هذه الرواية خطوة واثقة لروائي واعد في أدب الجريمة، مختلف في التناول والطرح، وفي الوقت ذاته محتفظ بالتشويق اللازم".

أشرف العشماوي

ربما كان القاتل يستخدم الكرافته لقتل ضحاياه ، وربما الكرافته لم تكن أداة الجريمة، ولكن فقط كانت التميمة التي يتركها في مكان الحادث ليعرِّف عن نفسه كقاتل أنيق لن يستطيع أحد أن يحل لغزه .. وربما أن القاتل ليس موجود من الأساس وأن المصادفة وحدها هي بطلة القصص كلها .. لكن الأكيد أن أحداً لم يرغب في حدوث كل هذا الصراع وكل هـ[illegible] المتلاحقة وكل هذا الهم والوهم والأرق. وبرغم [illegible]



يحدث رغماً عنا..





تصميم أحمد مراد